العودة للتجسد

في المفهوم العلمي الحديث

تأليف

عبد العزيز جادو

دبلوم علم النفس من انجلترا وعضو نادى المتكلمين بلندن

تقديم

الدكتور رءوف عبيد

وكيل كلية الحقوق بجامعة عين شمس



الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية

جلال حزي وشركاه

العودة للتجسد

في المفهوم العلمي الحديث

تأليف

عبد العزيز جادو

دبلوم علم النفس من انجلترا وعضو نادي المتكلمين بلندن

تقديم

الدكتور رءوف عبيد

وكيل كلية الحقوق بجامعة عين شمس

الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية

جلال حزى وشركاه



للدكتور رءوف عبيد
وكيل كلية الحقوق بجامعة عين شمس



لا يوجد فى كل قضايا الوجود ما هو أجدر بالعناية من قضايا الذات الإنسانية . وهذه الذات كانت – ولا تزال – محور الاعتقادات الذائعة ، والفلسفات المتنوعة ، لكنها لم تصبح محلا للاهتمام العلمى الجاد بها إلا منذ عهد قريب نسبياً .. ولعل العامل الأول فى هذا الإهمال الفادح الضار الذى لاقته دراسة الذات الإنسانية فى القديم كان هــو الاعتقاد الخاطىء بأن جوانبها واضحة كل الوضوح ، لا تستحق حتى مشقة البحث والتنقيب .

وعندما تقدم عقل الإنسان ، ونضجت معارفه بعض النضج ابتدأ يدرك مدى جهله بنفسه . وابتدأ يلمس أنه مشغول بتحقيق رغباته الغريزية ، وبالجرى وراء مطالبه المادية أكثر مما هو معنىٌّ بالتعرف على دوافعه الحقيقية الكامنة وراء هذه الرغبات وتلك المطالب .

وبعبارة أخرى لقد بدأ عقل الإنسان يدرك أنه مشغول بمطالب الحياة أكثر مما هو معنىٌّ بفهم الحياة . وإذا وضعنا فى الاعتبار أن الحياة عبارة عن نمو متواصل فى تحقيق الذات فى سبيل الاتساق مع أسمى نواميس الحيــاة

الروحية والخلقية وأرقاها ، عن طريق النمو المتواصل للعرفان والوجدان ، لأدركنا مدى الجناية التي يجنيها الإنسان على نفسه عندما يجرى وراء تحقيق مطالبه المادية ، مهملا كل الإهمال دراسة ذاته ، أي عقله ووجدانه .

ومن هنا تعثر سير الركب الإنساني كثيراً وطويلا . ومن هنا تراكمت عليه الآلام والأهوال الجسام . ومن هنا ظهر التخبط والاضطراب واضحاً في مواجهة هذه الآلام وتلك الأهوال . ومهما قيل إن الإنسان قد قطع بالفعل شوطاً كبيراً في تحقيق حضارة المادة ، فهو لم يقطع بعد إلا أقل من القليل في تحقيق حضارة الروح ، وهي الحضارة التي تكاد تكون كل شيء في توفير سعادة الإنسان عن طريق تزويده بالقيم المعنوية الصحيحة اللازمة كل اللزوم لدرء جانب كبير من آلامه وأهواله قبل أن تقع ، ثم لمواجهتها بعد أن تقع بالفعل مواجهة جادة فعالة . إذ أنه لا بد للإنسان من أن يتألم ، ولا بد له من أن يعرف كيف يواجه آلامه ، مها تفاوت المدى بين ألم وآخـــر ، وبين أسلوب للمواجهة وآخر .

ولقد بدأ الساعون إلى خير الإنسانية يدركون ذلك تماماً . ولذا بدأوا في العمل على محاولة كشف أغوار هذه الذات الإنسانية ـ وهي أعمق شيء في الوجود وأثمنه ـ في مثابرة ملحوظة ، وفي تؤدة شديدة ، وفي حياد مطلوب ، وفي حذر مفرط ، وفي نقد متواصل .

أي أن هؤلاء الساعين أتبعوا في محاولة استطلاع أسرار الذات نفس المنهج الوضعي الذي قاد خطى التقدم الباهر الذي بلغه الإنسان في مجالات الكهرباء والأثير ، والمغناطيسية ، والفضاء ، والرياضة . . وغيرها من نواحي كشوف المادة التي اتضح أنها لا يمكن أن تواصل سيرها قدماً نحو الأمام مالم تقترن بكشوف مقابلة في تفهم الإنسان لذاته ، ولعلاقة هذه الذات بنواميس الكون في الروح ، وذلك إلى جانب نواميسه في المادة والطاقة .

وتفهم هذه العلاقة تفهماً صحيحاً في أي جانب من جوانبها لا يمكن أن يجيء

نتيجة لآراء مسبقة مهما كان رسوخها فى الأذهان ، ولا لأقوال مرسلة مهما كان فيها من براعة البيان ، ولا لاعتقـــادات متوارثة مهما كان فيها من قوة الإيمان .

بل إن هذا الفهم الصحيح لا يمكن أن يجىء إلا نتيجة اتباع أسلوب التحليل العلمى المثابر ، بعد تجميع أعداد ضخمة من الوقائع الثابتة فى مثابرة شديدة، وفى تفان كامل لهذا الهدف الأعظم الذى ينبغى أن يتجه إليه كل فؤاد أمين فى هذا الكون الفسيح ، وهو « حب الحقيقة للحقيقـــة » . وهذا الهدف الأعظم يرفض تماماً كل تعصب للرأى ، وكل اعتداد مفرط بآراء المحدثين أو الأقدمين من « رجال العلم » أو من « رجال الاعتقـــاد » مالم تصمد تماماً لأسلوب التحليل الناقـــد .

وليس هذا معناه مطلقا أن من واجب العلم أن يتخذ موقفا عدائيا - على أى وجه كان - من الاعتقاد أو من الفلسفة ، كما تصور البعض من المفكرين فى وقت ما ، أو لازالوا يتصورون . بل إن معناه هو - فحسب - أنه ليس من حق البحث العلمى فى الإنسان أن يخضع لأية وصاية قد تفرض عليه باسم الاعتقاد أو باسم الفلسفة . وكما رفض أسلوب البحث العلمى خارج الإنسان الخضوع لهذه الوصاية ، فان البحث العلمى فى الإنسان ينبغى عليه أن يرفض نفس هذه الوصاية لأسباب أقوى ، أهمها أن الإنسان ميـــال دائما إلى الغلو فى تقدير خلجات وجدانه ، وصدق عرفانه .

ولا ينبغى للباحث العلمى أن يغفل أبداً أن رسالة العلم هى أن يلقى أضواءه على المفاهيم المتوارثة - أياً كان مصدر الميراث - فيصحح خطأها إن كان ثمة خطأ ويدعم صوابها إن كان ثمة صواب . وهذا هو الموقف السديد للعلم من مفاهيم الاعتقاد ، بمقدار ماهو الموقف السديد له من مفاهيم الفلسفة أيضاً .

وهنا قد يعترض أحدهم قائلا : ولـكن هل تعتقد أنه يصح لمفاهيم الاعتقاد

أن تكون مشوبة بأى خطأ ، وأن تتقبل أى تصويب ؟ .. والجواب أنه عند الجهول المتزمت يكون الجواب دائماً بالنفى القاطع . أما عند الإنسان المؤمن الحكيم ، ذى الذهن المتفتح ، فان الإجابة بالإيجاب أوضح من أن تحتاج إلى برهان . لأن الاعتقاد كائن نام متطور ، ومفاهيم الاعتقاد جزء لا يتجزأ من وجدان الإنسان ، وكل ما فى الوجدان من مشاعر وخلجات يخضع بطبيعته لاحتمالات الخطأ والصواب . ويستوى فى ذلك المؤمن مع الملحد ، والمفكر مع المتزمت ، ومن يريد أن يتعقل إيمانه مع من يرفض بكل جوارحه أسلوب التعقل ، ويجد فيه مروقاً عن المألوف ، بل كفراً صريحاً !!.

وإذا كانت احتمالات الخطأ والصواب موجودة دائماً ، إلا أنها تتراوح بطبيعة الحال تراوحاً كبيراً بين من يريد أن يتعقل إيمـــانه ومن يرفض بكل جوارحه أسلوب التعقل ، ولو كان كلاهما ينتميان إلى مذهب واحد من اعتقاد واحد . ولذا فان نفس الاعتقاد يمكن أن يكون مصدراً من أكبر مصادر التقدم والارتقاء لو احسن الفهم ، كما يمـــكن أن يكون مصدراً من مصادر التخلف والجمود لو أسىء الفهم ، وبالتالى لو أسىء التطبيق . وإن نفس الاعتقاد يمكن أن يكون مصدراً لأنبل صور الفضيلة والرشاد ، كما يمكن أن يكون حافزاً لأسوأ صور الرذيلة والفساد .

* * *

فيأيها الناس خذوها منى كلمة قد تبدو غريبة الوقع على أذهان بعضكم ، لكننى أومن تماماً بأنها صادقة كل الصدق ، لازمة كل اللزوم ، نافعة كل النفع: وهى أنكم مالم تتعقلوا الاعتقاد فلن ينفعكم الاعتقاد فى شىء ، أياً كان اسمه ، أو موضعه بين كل صنوف الاعتقاد التى عرفها البشر منذ بدء الخليقة حتى الآن . وما لم يكن رائدكم تطبيق الفضيلة ، وحب الحقيقة الحقيقية ، فإيمانكم محض رياء وبهتان ، وعبادة صيغ وألفاظ ، وتملق أجوف بشخوص وطقوس ، وانقياد أعمى لقوى الإذعان والطغيان فى هذا الكون الفسيح الأركان !! ....

وفى هذا الرحاب الأسمى وهو تطبيق الفضيلة ، وحب الحقيقة الحقيقة ، يمكن أن تلتقى أرق مشاعر الإيمان ، وحب الإنسان للإنسان ، مع أنقى حقائق العرفان ، مع أسمى مناهج الفلسفة . وخارج هـــذا الرحاب لا يمكن إلا أن تستشرى الأحقاد الحمقاء ، والمفاهيم الجوفاء ، وطغيان الأنانية المدمرة لكل أمل ورجاء . وهذه هى الأدواء الخطيرة التى عانت منها الإنسانية طويلا ولا تزال تعانى بسبب جمود خطير فى مواجهة المفاهيم الروحية الصحيحة . وهو جمود وطيدة أسبابه ، رهيبة أخطاره .

وإذا كان للفلسفة من دور هنا فهو أن تبدأ دورها من جديد . أى أن تبدأ فى الاستناد إلى مبادىء أولية قاطعة عن حقائق الروح فرغ العلم من تحقيقها ، بعد جهود شاقة قام بها خيرة علماء الأرض ، وأكثرهم حـــذراً وقدرة على التحقيق ، وأشدهم رغبة فى الوصول إلى حقائق الأمور . ومن هـــذه الحقائق بالذات دوام الحياة الإنسانية بعد موت الجسد المادى ، ووجود صلات لاحصر لها بين أحياء الأرض ، وأحياء الفضاء . ومنها أيضا خضوع الحيـــاة الروحية للإنسان إلى نواميس طبيعية لاتقل فى اضطرادها وفى صرامتها عن نواميس المـــادة والطاقـة .

وعن طريق التسليم بالحقائق العلمية الثابتة عن خلود الإنسان ، وروحانية الحياة والكون ، يمكن للفلسفة أن تأمل فى تحقيق رسالتها الصحيحة من ناحية التقريب بين الإنسان وحقائق الوجود بدلا من المبـــاعدة بينه وبينها . هذه المباعدة التى طالما جنى منها الإنسان عناء وإعياء وتيهاً وضياعاً ، ولايزال يجنى، وسيظل يجنى حتى تفيق الفلسفة الضالة إلى نفسها ، وتجد طريقها ، وعندئذ يفيق الإنسان أيضاً إلى نفسه ويجد طريقه إلى حياة ناجحة خلقياً ووجدانياً .

* * *

وعن هذا الطريق يمكن للفلسفة أن تصحح مسيرة العلم والاعتقـــاد معاً . ولا يتأتى ذلك إلا بعد ثورة عارمة تكفل الإطاحة نهائيا بالكثير من أركان

«الهذيان المادى» عن الوجود الذى طالما ارتدى زوراً وبهتاناً وصف الفلسفة، وساد زوراً وبهتاناً على أجيال عديدة من البشر ، فى أنحاء عديدة من الأرض ، حتى جعل الحياة جحيماً لايطاق من الأنانية ، ومن التفـــاهة ، ومن الغرور الأحمق ، ومن الأحقاد البلهاء .

وثورة الفلسفة لن تكون عندئذ سوى صدى لاغنى عنه لثورة العلم المادى التى نجحت بالفعل فى الإطاحة بالكثير من معتقداته البالية التى طالما سادت على أجيال عديدة من البشر ، وفى أنحاء عديدة من الأرض . كما ســـادت أباطيل الفلسفة المادية وترهاتها متضامنة معها ، ومستندة إلى نفس مزاعمها الجوفاء .

ولا أشك الآن فى أننا على أبواب هذه الثورة العارمة العلمية الفلسفية ، التى تؤذن بشروق فجر جديد على الإنسانية ، قد آن أوانه عندما أصبحت الإنسانية جديرة به ، ومستعدة لتقبل ضياءه الساطع ، بعد ليل بهيم طويل من العنـاد ومن الغبـاء .

وعندما تشرق شمس هذا الفجر الجديد إشراقاً تاماً سنجد أن ضوءها قد صار مصدر صلح دائم وحقيق بين العـلم والاعتقاد والفلسفة . وبين الإنسان ونفسه ، وبين الإنسان وأخيه الإنسان بنفس المقدار . وبالتالى مصدر ازدهار ضخم لتقدمه الروحى ، وارتقائه العقيدى . وهو ازدهار وارتقاء طالما سعى إليها المصلحون الجادون فى كل مكان على غير جدوى ، أو على جدوى لا تكاد تدرك ، إزاء الصدام المستمر بعوامل التخبط الكثير ، والعثار المرير مع أدعياء العلم الضال ، والفلاسفة الجوفاء ، وما أكثرهم فى كل زمان ومكان ، وما أكثر أسنادهم وأتباعهم من العلماء وأشباه العلماء .

* * *

وإذا صح أن الفلسفة عبارة عن البحث الحر الاستدلالى ، وأنها تمثل رغبة التأمل العميق للوصول إلى الروابط الصحيحة بين شتى الظواهر للنفاذ منهـا إلى لب الأمور وجوهرها ، فإن الفيلسوف الحق لا يليق به أن ينأى عن حقائق

العلم الوضعى كما يعيش فى برج عاجى ، أو كما يحلق فى آفاق واسعة من الخيال الخصب ، لا يقوده فى تحليقه أى ضابط يضبط خياله أو أهدافه . كما لا يليق به أيضاً أن يتراجع عن إعلان الحقيقة التى وصل إليها عن طريق بحثه الحر الاستدلالى ، بغية تملق آراء الدهماء ، أو تحقيق كسب مادى أو معنوى أياً كان نوعه .

وفى هذا الشأن يقول فيثاغورس : « إن من الرجال قلة لا يستعبدهم طلب المجد أو يستهويهم المال ، بل يستهدفون البحث فى طبيعة الأشياء ، وهؤلاء هم محبو الحكمة ، أو الفلاسفة » . ومع مراعاة أن كلمة « فلسفة » بطبيعتها تتضمن مقطعين وهما : فيلو Philo أى الحب أو التفانى ، وصوفيا Sophia أى الحكمة، فالفلسفة على هذا النحو تمثل حب الحكمة ، والتفانى فيها .

ولا ريب أن الفلسفة كانت فيما مضى تمثل كثيراً من أساليب العلوم الإنسانية المعاصرة ، ومنها بوجه خاص القانون ، والطب ، والطبيعة ، والأخلاق ... لكنها مع مضى الوقت استقلت تدريجياً عن هذه العلوم التى أصبحت لها مناهجها الوضعية الصرف التى تلتئم مع مذهب الفلاسفة الوضعيين الكبار ، من أمثال أوجست كونت Auguste Comte وهربرت سبنسر Herbert Spencer ، الذين لا يعترفون إلا بالواقع المحسوس الخاضع للملاحظة وللاختبار العملى .

واقتصر دور الفلسفة الحديثة فى شأن هذه العلوم على مجرد تنظيم النتائج الفرعية التى تصل إليها كافة العلوم الوضعية ، والربط بين شتى عناصرها لاستخلاص نتائج عامة مجردة منها ، وثيقة صلة بتحديد الروابط الصحيحة التى تربط بين الإنسان من جانب والكون من جانب آخر .

ويصدق هذا الوصف على علم النفس أيضاً ، إذ أنه بدوره بدأ بوصفه فرعاً من الفلسفة النظرية ، ثم انسلخ عنها تدريجياً إلى أن أصبح علماً ذا طابع وضعى

لا يعترف إلا بالواقع المحسوس الخاضع للملاحظة وللاختبار العملى . ومثله « علم الروح الحديث » Psychic Science ، فان بحاثه هم أيضاً طبقوا أسلوب الملاحظة والاختبار العملى على دراسة جميع ظواهر الذات الانسانية بما فيها الظواهر غير المألوفة ، ومنها ظواهر الوساطة الروحية .

وقد اكتشف بحاث « علم الروح الحديث » عن طريق أسلوب الملاحظة والاختبار العملى حقائق مترابطة كثيرة تلتئم تماماً مع الكثير من معطيات الفلسفة النظرية القديمة بمقدار ما تلتئم تماماً مع معطيات العلوم الوضعية الحديثة ، وهو ما يدعم صحتها ، ويكفل الاطمئنان الكافى إلى رسوخ أسانيدها .

ومن هنا ازدهرت الفلسفة الوضعية الحديثة فى إطار آخر جديد ، وفى مقام قديم لكنه متجدد على الدوام ، وهو مقام دراسة الذات الإنسانية ، ولك أن تسميه مقام دراسة النفس فى مفهومها الحديث ، أو دراسة الروح فى مفهومها الخاضع للحواس. ويتمثل هذا الازدهار فى بحوث وآراء عدد ضخم من أبرز الفلاسفة الوضعيين الذين لمع اسمهم فى القرن الحالى ، ويكفى منهم الإشارة إلى وليام جيمس William James فى أمريكا ، وهنرى برجسون Henry Bergson فى فرنسا ، وكارل يونج Karl Jung فى سويسرا ، وتشارلى بروض Charlie Broad فى انجلترا .

* * *

وموضوعات هذه البحوث العملية الجديدة فى الروح ، أو إن شئت فى الظواهر غير المألوفة ، كثيرة وخطيرة . ومنها موضوع احتمال العودة للتجسد re - Incarnation ، أى عودة الروح إلى اتصالها بجسد مادى جديد بعد انفصالها عن جسدها السابق . وهذه العودة عقيدة قديمة ، وتتضمن جميع الأديان ـ بغير استثناء ـ إشارات متنوعة إليها تتفاوت فى مدى وضوحها ، ودرجة رسوخها . كما نادى بها عدد ضخم من أبرز الفلاسفة والشعراء والمفكرين الذين يضيق هذا المقام عن سرد أسمائهم .

ومن بين بحاث علم الروح الحديث ، وكلهم من العلمـــاء الوضعيين ، من اقتنعوا تماماً بصحة هذه العودة للتجسد . ومنهم بوجه خاص رواد هـذا النوع من الفرنسيين : من أمثال آلان كاردك Allan Kardek ، وجوستاف جيلي Gustave Geley ، وليون دينز Léon Dénis ، وجابريل ديلان Gabriel Delanne ، والكونت دي روشا De Rochas ، وجيرار أنكوس Gérard Encausse ، وهيكتور ديرفيل H. Durville ...ناهيك بعدد وافر من البحاث المعاصرين مثل جورج بارباران George Barbarin ، وبيير نوفيل Pierre Neuville ،وسيمون سانكلير Simone Saint Clair ،وك.نويل C. Noël ، وف.كريستين F. Christin ...وغيرهم الكثيرون من بلاد متعددة،ومن مدارس متنوعة . وقد قدموا جميعاً أسانيد لها وجاهتها من الناحيتين النظرية والعملية ، ويتعذر تماماً أن يهدرها إهداراً أي باحث موضوعي محايد عن الحقيقة في هذا الموضوع الخطير .

وهذه الأسانيد لم تجد لها حتى الآن صدراً رحباً في بلادنا لغير سبب واضح إلا أن يكون هو سوء فهم بعض النصوص ، التي لو فهمت على معناها الصحيح، وهو في كثير من الأحيان واضح تماماً ، لمـــا تردد الكثيرون في قبول هذه الأسانيد ، واستقبالها بصدر رحب ، وبرغبة أمينة في تعقل الأمور بدلا من اتخاذ موقف المقاومة الشديدة على غير أســـاس من منطق علمي ،أومن فهم صحيح لهـــا .

وعلى أية حال فالحقيقة بنت البحث العلمي ، والنقاش الموضوعي الهادىء . ولا نقاش موضوعي هادىء بغير اطلاع كاف على أسانيد هذه القضية الهامة ، المتشعبة النطاق ، المتعددة الأرجاء .

وهي في نفس الوقت قضية وثيقة الصلة بخلود الروح ، أو بالأدق بقضية دوام حياتها بعد انفصالها عن جسدها المادي ،التي هي كل شيء بالنسبة للإنسان. ذلك أنه إذا كان خلق الروح لايكون إلا ساعة تكون الجنين في بطن أمه ـ نتيجة

تحاد جذبى للأجساد الفانية ـ فان التكوين الجثمانى يصبح لاغنى عنه الروح ويصبح فناء الروح بفناء هذا التكوين الجثمانى هو الأمر الأقرب إلى المنطق من الناحية النظرية بالأقل .

أما إذا قلنا إن خلق الروح سابق على خلق الجسد ، وإن الجسد مجرد موطن عابر ومؤقت للروح الأزلية ، لأصبح من المفهوم التحدث عن دوام حياة الروح بعد فناء الجسد . وبعبارة أخرى فان النظرية الروحية كلها عن دوام حياة الروح بعد تخليها عن الجسد يصعب أن تقف على قدميها عند القول بأن حياة الجسد مبدأ لحياة الروح ، لأن موت الجسد يصبح على هذا النحو مبدأ لموت الروح أيضاً .

ولقد حاول العالم الطبيعى الكبير سير أوليفر لودج Oliver Lodge ـ الذى جعل ببحوثه فى الأثير الاتصال اللاسلكى ممكناً ـ أن يضع صياغة علمية لهذا المعنى فى مؤلفه عن « الجدران الوهمية » Phantom Walls عندما قال : «عندما يثار موضوع الوجود السابق للنفس pre - existence فان بمقدورى أن أقول إن الفرد كما نعرفه عبارة عن« ظهور طازج» A fresh Apparition ، أى تجسيد حديث لشيء موجود من قبل . . ويمكننى أن أتخيل أنه من آن إلى آخر تسنح للروح فرصة كيما تدخل فى ارتباط مع المادة ، وتصبح تدريجياً فرداً ، وتنمى طبعها وشخصيتها التى ستبقى . وبحيث يبدو بالأكثر وجود نوع من الاختيار فيما إذا كنا ندخل إلى حياة المادة أم لا ، وفى نوع هذه الحياة التى ندخلها . وعلى هذا النحو يكون لنا أن نتخير أبوينا ، وهو ما قد يبدو خارقاً للعقل ، لكنه قد لايخلو من الحقيقة . وهذا القول قد يدخل فى الاعتبار بعض حقائق الوراثة » .

° ° °

وإنه ليسعدنى جداً ـــ وقد تعددت فى هذا المقام ـــ مقام احتمال العودة للتجسد ـــ البحوث والأسانيد المتنوعة ، أن يأخذ الصديق الفاضل الأديب السكندرى المعروف الأستاذ عبد العزيز جادو على عاتقه مشقة تجميع جانب

هام من هذه الأسانيد الدينية والعلمية والفلسفية لعرضها فى مؤلفه هذا ، وهو « العودة للتجسد فى المفهوم العلمى الحديث » .

فهذا المؤلف هو ثمرة اطلاع وافر ، ومقدرة أدبية أصيلة ، ورغبة جادة فى خدمة الحقيقة كما وصل إليها ، بمقدار ما هو مرآة صادقة لحب الحكمة الذى يعتمل بعنف فى نفسه الصافية ، والذى جعل حياته كلها عبارة عن حلقات مترابطة من النضال النبيل فى سبيل الوصول إلى الحقائق الجليلة النافعة ، مهما تكبد من عناء متواصل ، ومن تضحيات جسام يعرفها جميع عارفى الأستـــاذ المحترم عبد العزيز جادو .

ولا ريب أن صداقة الروح التى تجمع بيننا فى عروة وثقى هى التى حملته على أن يشرفنى ـ من جديد ـ بأن يطلب منى أن أقدم لكتابه هذا ، مع أنه فى غنى عن كل تقديم ، لأن له من القراء ومن المريدين جم غفير يعرفه جيداً ، ويكنُّ له كل الحب والتقدير .

ومن يدرى فقد تكون صلتنا معاً أعرق مما نذكر ومما نقدر ؟! إذ قد تمتد اصولها إلى ماضينا السحيق فى الروح قبل امتدادها إلى ماضينـــا القريب فى الذاكرة ، ونحن مع ذلك عنها غافلون ، لكنها تنبع منا فى اللاشعور ، وهو ابداً أعرق من الشعور أمداً ، وأثبت منه قدماً ، لأنه يقتات من حنايا الروح والوجدان ، قبل مقتضيات علم المنطق ، والاستدلال الواعى للأمور .

وإننى إذ يسعدنى أن أستجيب إلى كريم رغبته بتقديم هذا السفر النفيس ، كما أسعدنى من قبل تقديم مؤلفه السابق فى « الروح والخلود بين العلم والفلسفة » ، أدع لقلمـــه الساحر أن يستولى على مشاعر قرائه وعقولهم ، وأن يغدق عليهم الكثير من روائع المعرفة والرأى فى هدوء جميل ، وفى ثقة تامة ، وفى وداعة مميزة ، كما هو العهد به دائماً .

١٩٧٤/٣/٢٨ — رءوف عبيد

العودة للتجسد

فى المفهوم العلمى الحديث

التناسخ بمفهومه القديم كما فهمه شراح النصوص من العرب جانبه الأكبر أسطورى مستمد من أساطير إغريقية ومعتقدات كثيرة واردة من الشرق الأقصى أو من بعض الشعوب البدائية فى أواسط أفريقيا وغيرها حيث يلعب التناسخ بهذا المعنى الأسطورى الغامض دوراً كبيراً فى الاعتقاد الدينى لدى هذه الشعوب . ولا ريب أن عدداً كبيراً من المفسرين العرب تأثروا بهذا الجانب الأسطورى الذى ينتهى إلى القول بفناء الشخصية الإنسانية فى بعض الكائنات الحيوانية أو النباتية بما يؤدى إلى تلاشى هذه الشخصية ومقوماتها ، ولهذا لم يتوانوا عن تكفير القائلين بالتناسخ على هذا النحو الاسطورى الصرف .

أما العلم الحديث فهو يرفض استخدام تعبير « تناسخ الارواح » الذى يعادل فى خطئه وصف « تحضير الأرواح » ، لما فيه من معنى النسخ والتلاشى ليستخدم تعبيرات أخرى أكثر دقة وتحديداً أحدهما تعبير فنى صرف هو Metempsychosis أى تعدد حيوات العقل ، أو Reincarnation أى « العودة للتجسد » فالمقصود هنا هو مجرد دوام حياة الروح مع احتمال عودتها للتجسد ، فى حين أن وصف « التناسخ » قد يثير فى الذهن معنى مغايراً تماماً . وهو أن الحياة اللاحقة للروح قد تنسخ حياتها السابقة ، مع أن النسخ لا محل له فى نواميس الطبيعة التى لا تعرف إلا الدوام مع التطور فى اتجاه أو فى آخر طبقاً لمدى الاتساق الصحيح مع هذه النواميس البيولوجية والروحية ، التى تتحكم فى تطور الحياة بوجه عام .

وفى ضوء العلم الحديث أصبح لهذا التعبير معنى آخر محدد واضح هو احتمال أزلية الروح بمعنى عراقتها من جانب وبمعنى أن الروح سابقة فى الخلق على الجسد، وهو ما كان يقول به سقراط وفلاسفة الإغريق جميعاً مع احتمال ميلاد الروح من جديد على المستوى الأرضى لتكسب المزيد من الخبرة والفضيلة ، ولكى تعطى

المزيد من فرص الخدمة وبالتالى الارتقاء . وهذا المعنى الجديد المحدود الواضح هو الذى تبنته وأيدته بحوث حديثة كبيرة جرت فى إطار العلم الروحى الحديث. وهذا المعنى هو الذى دافعت عنه طائفة كبيرة من الأرواح المرشدة لعلها تمثل غالبية هذه الأرواح وقامت عليه شواهد علمية كثيرة .

ولا شك أن موضوع « العودة للتجسد » ذو أهمية حيوية لبناء المذهب الروحى عموماً ، وللروحية بوجه الخصوص .

ومادة العودة للتجسد Reincarnation إنما هى من أعظم المواد المبحوث فيها على الإطلاق . إنها من المواد الأساسية والجوهرية إلى أبعد حد فى جميع الأعمال والبرامج والآثار الأدبية منذ عام ١٨٨٨ حتى اليوم .

ومما يؤكد أهمية هذه المادة فى الوقت الحاضر ما جاء بمجلة « سايكك نيوز » فى عددها الصادر بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٧٢ نقلا عن مقال للباحث المحقق « جون ماكلين » فى جريدة « إيفننج بوست » يقول فيه :

« إن هذا الفرع من فروع المعرفة كان مقصوراً فيما مضى على جماعات بعينها، إذ أنه كان من الموضوعات التى لم يكن يجرؤ على الخوض فيها إلا فئة قليلة من المهتمين بالروحية . ولكنه الآن قد أصبح من الحقائق الموضوعية ، ولذا فقد أعد له مشروع بحث جاد فى ست جامعات رئيسية فى أمريكا ، اعتبرته موضوعاً من موضوعات الدراسة الجامعية التى تختار كحقل اختصاص ، وخصصت له حداً أعلى من ساعات التدريس . وهذه الجامعات هى : جامعة هوارد بواشنجتون Howard, Washington ؛ وجامعة أدلفى بنيويورك Adelphi New York وجامعة سانت لورنس بنيويورك St. Laurence وجامعة لاسال ، فيلادلفيا La Salle, Philadelphia ؛ وكلية كاليفورنيا المعمدانية California Baptist college ؛ وكلية تكساس الوزليانية Texas wesleyan college » .

* * *

ولقد انحدر إلينا مذهب « العودة التجسد » منذ العصور القديمة النائية ، وبخاصة العصور السابقة القرون الوسطى ، ولقى قدراً كبيراً من التحولات الهامة والأساسية ، وتعرض لكثير من التغيرات والتوليدات والتشويهات . ولكن فى ضوء الانتصارات الفعالية التحقيقات الهامة والجادة والبحوث العلمية عظيمة الشأن ، لم يعد أقل من مذهب له أهميته الكبيرة وصارت منزلته الاجتماعية لا تقبل الجدل .

ويمكن أن نقول ، قبل متابعة البحث ، إن موضوع عودة التجسد يجب أن يبحث جيداً ويناقش من نواحيه الثلاث المتلازمة التي لا سبيل إلى فصل بعضها عن بعض وهى :

١ ـ الناحية العلمية .

٢ ـ الناحية الفلسفية .

٣ ـ الناحية الدينية .

مصادر موثوق بها :

إننا إذا رجعنا إلى الديانات القديمة والحديثة ، سواء كانت هندوكية(١) ، أو جينية(٢) ، أو برهمانية(٣) ، أو بوذية(٤) ، أو زرادشتيه(٥) أو غنوصية(٦)

---

(١) ديانة الهند الرئيسية .

(٢) مذهب دينى هندى ، يعتنقه نحو مليونى شخص . نشأ فى القرن السادس قبل الميلاد ، ويرى قدم الوجود وإمكان إدراك جوهر الروح بعد سلسلة من الحيوات تصل إلى « النرفانا » متحررة من كل قيد .

(٣) النظام الدينى والاجتماعى الهندوسى . وهى أسمى طبقة فى الهند .

(٤) نظام فلسفى أخلاقى ودينى ، أسسه جوتاما بوذا (٥٦٣ — ٤٨٣ق.م) يتلخص فى أن الألم جزء لايتجزأ من طبيعة الحياة ، وبأن فى استطاعة المرء الخلاص منه بالتطهير الذاتى العقلى والأخلاقى . وهناك حقائق أعلنها بوذا وهى : الوجود =

أو مانوية(٧) أو قبلانية(٨) ، أو إسلامية ، أو يهودية ، أو مسيحيــة بكل ما تحويه هذه الاديان من ينابيع العلم ومصادر المعرفة . نجدها متفقة وبدرجات متفاوتة حول مذهب العودة للتجسد .

= ألم مبعثه الرغبة أو الشهوة ويزول الألم إذا توقفت الرغبة والتخلص منها يجب اتباع طريق رسمته البوذية ، يتكون من ثمانى نقط ، تتوجه كلهــا إلى الصحة والصواب فى العقيدة ، والعزيمة ، والمسالمة ، والكلام والسلوك والحياة عامة ، وبذل المجهود ، والتأمل أو التعقل .

(٥) ديانة فارسية قديمة منسوبة إلى الحكيم زرادشت ، الذى كان يعيش على الأرجح فى القرن السابع قبل الميلاد . عرفه اليونان وذكروه فى تواريخهم ، وعرفه العرب وسموه الحكيم أو النبى الذى دعا الملك كشتاسف إلى عبادة الله والكفر بالشيطان ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وتسلم الزرادشتيه بالبعث والحساب والوعد والوعيد . كما تؤمن بظهور مخلص يولد من عذراء ، ينصر أعوان الخير ، وبذلك يسود إلى الأبد . وتوجد الزرادشتيه الآن فى جزء من الهند فى صورة فارسية محتفظة ببعض عناصر الثنائية ، مع الاتجاه إلى ما يدنو من فكرة التوحيد .

(٦) Gnostic : فلسفة دينية تهدف إلى إدراك كنه الأسرار الربانية . ظهرت فى القرون الأولى من المسيحية كرد فعل ضدها . وفى القرن الثانى ظهر غنوصيون مسيحيون من أشهرهم : باسيليوس وفالنتين ومرقيون .

(٧) Manichaeans : أتباع مانى بن فاتك الفارسى (٢٢١٦—٢٢٧٦ب.م) الذى دعا إلى الإيمان بعقيدة ثنوية قوامها الصراع بين النور والظلام . وقال عن نفسه أنه رابع ثلاثة تقدموه : المسيح وزرادشت وبوذا ، وقال عن مذهبه إنه دين جديد تتحد فيه سائر الاديان ..

(٨) Kabbalists : فلسفة دينية سرية عند أحبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط (القرن الرابع عشر) مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً صوفياً .

وإذا تأملنا جيداً الكلاسيكيات (٩) عموماً وأخذنا بعين الاعتبار المصادر الموثوق بها من بلاد اليونان عن : فيثـــاغورس (١٠) وأفلاطون (١١) ، وسقراط (١٢). ومن الاسكندرية فيما بعد عن: فيلوستراتو (١٣) ، وأبوالونيو (١٤)

---

(٩) الكلاسيكيات : آثار الإغريق والرومان الأدبية والفنية .

(١٠) فيثـــاغورس : فيلسوف وعالم رياضى ومصلح دينى إغريقى (٥٨٢ــ٥٠٠ ق.م تقريباً) ، وهو مؤسس الثقافة الاوروبية فى منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط . وينسب إليه مذهب العودة للتجسد . وكانت الجماعة الفيثاغورية طائفة دينية من إخوان اجتمعوا لممارسة التصوف ولدراســـة الرياضيات . وكانوا يؤمنون بخلود الروح وعودتها ، وبأن الجسد الفانى ما هو إلا مقبرة أو سجن تشغله الروح فترة من الزمن وكانوا يشتركون فى هذه المعتقدات مع غيرهم من أنصـــار الديانات الغامضة التى كانت منتشرة فى بلاد الإغريق . والصفة المميزة لنظام فيثاغورس أنه وجد فى الرياضيات مفتاحاً للغزالكون ، وأداة لتطهير الروح .

(١١) PLATO : ولد فى عام ٤٢٧ق.م . وينحدر من أسرة أثينية عريقة برز كثيرون من أفرادها فى المجتمع . اتصل فى بداية حياته بسقراط وأصبح من مريديه المخلصين . ومعظم كتابات أفلاطون كانت فى شكل محـــاورات Dialogues ، كثيراً ما كان هو نفسه أحد أطرافها والمتكلم الرئيسى فيها (وهى محادثات تناقش فيها موضوعات فلسفية) . وقد كانت أولى المحاورات التى كتبها تركز على الدفاع عن ذكرى سقراط . ويذهب أفلاطون فى الكتاب العاشر من موسوعته « القوانين » LAWS إلى أن الفلاسفة الطبيعيين ينادون بأن النار والماء والتراب والهواء هى العناصر الأولى لكافة الأشياء ، وأن هذه العناصر تكون الطبيعة ، وأن الروح قد تكونت من هذه العناصر فيما بعد .

(١٢) Socrates : (٤٧٠ ــ ٤٠٠ ق.م) من أشهر فلاسفة الإغريق ومؤسس فلسفة الأخلاق . جعل الفلسفة موضوعا هو الإنسان ، وغرضا :=

ومدارسهم ، نجد أن هذه المصادر تقدم لنا كل العناصر التي تذهب إلى أبعد من مجرد التفسير الادبي أو الفلسفي ، بل أصبحت مقولة لا تدحض تشمل الأخلاق والدين وعلم الجمال .

= تنظيم الحياة الخلقية والاجتماعية . وقد ذكر أفلاطون في محاورة « فيدون » كيف قضى سقراط أيامه الاخيرة في سجنه دون أن تفارقه شجاعته محدثاً تلاميذه عن خلود النفس .

(١٣) Filostrato : ولد في سنة ٢٥ق.م من أسرة نبيلة في الإسكندرية ومات سنة ٥٠ بعد الميلاد . وكان يؤمن بالوحي حسب ما جاءت به التوراة كما كان يؤمن بتعاليم الفلسفة اليونانية . وفيلو هو المسئول عن خلط التعاليم الفلسفية بالوحي والإلهام الشرقي .

وكان فيلو يعلّم أن الله ـ وهو الذي لا يحده حد ـ يجب أن يكون فوق هذا العالم المحدود ، وليس هناك لفظ ولا فكر يستطيع أن يساير أبديته ، وليس يمكن للفكر أن يدرك كنهه ، وهو فوق أن تدركه العقول . وليست تصل نفس الإنسان إلى الله عن طريق العقل والتفكير ، ولكن عن طريق رياضة النفس والكشف ، ولا يستطيع الله أن يدبر هـــذا العالم مباشرة لان هذا العالم مادى محدود ، وإنما لله كائنات روحانية هم سفراء الله يعملون في هذا العالم ما يريده الله، ويخلقون ويحكمون ، وعلاقة الله بالملائكة وعلاقة الملائكة بالعالم علاقة انبثاق كأشعة الضوء تنبثق من مركز ساطع ، ويقل ضوء الأشعة كلما بعدت عن المركز، وهذا النوع من الكلام يمثل لنا ما في كلام فيلو من تصوف وبعد عن منحى التفكير الذي كان عند اليونان .

. عن كتاب « قصة الفلسفة اليونانية » للدكتور زكي نجيب محمود وأحمد أمين الطبعة السادسة ١٩٦٦ ص٢٢٨ــ٢٢٩ .

(١٤) أبولونيو الطياني Apollonio of Thiana : نسبة إلى طيانه من أعمال كيادوكيا (القرن الأول الميلادي) . ورد ذكر اسمه في كثير من الكتب =

وإذا انتقلنا نقلة سريعة إلى الأمام ، لمحاولة الإقناع بالحجة ، وبأسلوب البحث التركيبي (١) Synthesis ، وأتينا إلى المحدثين مع توماس دى كامبانيللا Thomas de Campanella ، ذلك الفيلسوف الفيثاغورى الكبير الذى تأثر بتعاليم فيثاغورس ولقن مبادئه ومذهبه ، فإننا نلتقى فى الطليعة بـ : هويتير Whittier ، ولونجفيـــللو Longfellow ، ووردثورث Wordsworth ،

= العربية على أنه حكيم ومصلح دينى ورياضى عظيم . تبحر فى الهندسة حتى عرف « بالمهندس الأكبر » . ينسب له كتاب فى « سر الخليقة » وهو مخطوط بباريس . وينسب له كتاب فيما يشبه التاريخ الطبيعى يعرف بـ « Libre de Causis » وهو مخطوط بليدن . ورســـالة عن التنجيم نقلها حنين بن إسحاق إلى اللغة العربية ومؤلفاً عن الأجرام السبعة . ولقد عرف علماء المشارقة مؤلفاته معرفة جيدة ودرسوها دراسة طيبة . وخصه صاحب كتاب الحكماء بفصل شائق استعرض فيه رسالته الشهيرة فى المخروطات ، وهذه الرسالة تحتوى على ثمانى مقالات فقدت الأخيرة منها مع استثناء أربع مسائل . وقد ترجم هلال بن أبى هلال الحمصى المتوفى عام ٢٧٠هـ الأربع المقالات الأولى منها ، وترجم ثابت بن قرة الثلاث المقالات التالية والمسائل الأربع الباقية من المقـــالة الثامنة . وفى أكسفورد مخطوط من هذه الترجمات . أما الجزء الذى ترجمه ثابت فوجود فى عدة مكتبات. ودرس علماء آخرون من العرب مخروطاته وأعطونا نقولا لها مثل أحمد بن موسى ، وأبى الفتح الاصفهانى ، ونصير الدين الطوسى ، ويحيى بن أبى الشكر ، ومحيى الدين المغربى . أما الكتب العربية التى تتصـــل باسم أبولونيوس الطيانى فهى كثيرة .

راجع « دائرة المعارف الإسلامية » .

(١) الانتقال من المعانى البسيطة إلى المعانى المركبة . يقول ديكارت بصدد القاعدة الثالثة من قواعد منهجه : « أبـــدأ بأبسط الأمور وأيسرها معرفة ، وأتدرج فى الصعود شيئا فشيئا حتى أصل إلى معرفة أكثر الأمور تركيبا » .

وتنيسون Tennyson ، وسكوت Scott ، وبرانجر Boranger ، وجين بيير Jean Pierre ، وجين رينود Jean Reynoud ، وأندريه بيزانى Andrés Pezzani الذى كان أول مفكر من المفكرين القلائل الذين ذكرهم آلان كارديك Allan Kardec فى أعماله الأساسية ، وجوته أيضـاً Goethe ، وشيللر Schiller ، وادوارد يانج Edward Young (١٦٨١ - ١٧٦٥) وإدجار آلان بو Poe (١٨٠٩ - ١٨٤٩) وهويتمان Whitman ، وتايلور Taylor ، وكوليريدج Coleridge ، وباكون Bacon ، وبالزاك Balzac (١٧٩٩- ١٨٥٠) ، فى حالات أخرى . والذين يؤمنون بالعودة للتجسد يفتتحون القائمة بأسماء أخرى ذات شهرة واسعة من أهل العصر الحديث منهم : توماس مور Thomas More ، وجيوردانو برونو Giordano Bruno[1] (١٥٤٨ - ١٦٠٠) آخر فيلسوف متخصص بالسوسيولوجيا[2] منذ عهـد النهضة الاوروبية[3] ؛ وفورنيير Fournier ، وهيـوم Hume الذى يتناقض مع الظاهر ولـكنه يتفق مع وجهـة التجسد ؛ وهردر Herder ، وشوبنهور Schoppenhauer ، وإن كنا لا نتفق معه فى خط تفكيره فى جملته فيما يختص

---

(١) فيلسوف إيطالى، كان دومنيكانيا ، تحدى اللاهوتيين، مؤكداً أن لكل إنسان وجهة نظر فى العالم خاصة به ، وأن الحق المطلق فوق إدراك الإنسان ، وأن المعرفة الممكنة لانهائية . واعتقد أن العالم يتكون من عناصر أولية ، لا يرتد بعضها الى بعض ، بل تعمل وفق قوانين يحكمها مبدأ كونى شامل . اتهم بالزندقة وأحرق بالبندقية شهيداً لحرية الفكر .

(٢) علم الاجتماع .

(٣) Renaissance : حركة انتقالية فى أوربا بين القرون الوسطى والعصر الحديث ، نشأت فى القرن الرابع عشر فى ايطاليا واستمرت الى القرن السابع عشر . وقد تميزت بالتأثر بالمفاهيم الكلاسيكية وبازدهار الأدب والفن وبانبلاج فجر العلم الحديث .

بالروح التقليدية المتزمتة ، المتمسكة بالحرف بسبب علم القيم الخلقية (١) axiology . وهذا خلاف عدد هائل آخر من الرجال ذوى الامتياز والشهرة العريضة عن طريق مآثرهم وخدماتهم التى يؤدونها للحضارة والبشرية ، وعن طريق إسهامهم فى مجال الثقافة الإنسانية ، وآخرين غيرهم من المشتغلين بالعلوم الغامضة (٢) Occultists ، والمشتغلين بالكيمياء القديمة Alchemists ، والروزيكروشيين (٣) Rosicrucian ، والسويدنبرجيين (٤) Swedenborgian ولا يخفى ما لأعمال إيمانويل سويدنبرج (٥) وأعمال أندروجاكسون دافيز (٦)، وإرفنج وليام نوبلوك (٧) من أهمية عظيمة فى هذا المجال . ويعتبر هؤلاء من

---

(١) علم القيم (ويشمل الأخلاق والدين وعلم الجمال)

(٢) المؤمنين بالقوى الخفية وبامكان إخضاعها للسيطرة البشرية .

(٣) أعضاء جمعية سرية اشتهرت فى القرن الـ ١٧ والـ ١٨ وزعمت أنها تملك معرفة سرية للطبيعة والدين .

(٤) معتنقو المذهب السويدنبرجى ، نسبة الى شيعة دينيـة أسسها الفيلسوف المتصوف عمانوئيل سويدنبرج .

(٥) علم من أعلام الحركة الروحية ، فقد تعددت صور وساطته،وبالأخص فى ظاهرتى الطرح الروحى والإلهام . ولد فى استوكهلم فى سنة ١٦٨٨ وتوفى عام ١٧٧٢ ـ كان عضوا فى أكاديمية العلوم فى سان بطرسبرج فى سنة ١٧٣٤ وعضوا فى الأكاديمية الملكية للعلوم فى استوكهلم فى سنة ١٧٤١ ـ له مؤلفـات يقال إنها تتجاوز فى عدتها ماخلفه شكسبير كتب أكثرها باللغة اللاتينية .وترجمت الى ثمانى عشرة لغة أخرى بين أوروبية وشرقية .

(٦) وسيط معروف لا تقل حياته غرابة عن حياة سويدنبرج . ولد فى نيويورك فى سنة ١٨٢٦ وتوفى فى سنة ١٩١٠ ـ له أعمال عظيمة ومؤلفات عديدة تعتبر من أعمق المراجع فى فلسفة الروحية .

(٧) استاذ العلوم الطبيعية فى جامعة ميتشجان

الرواد لمرحلة آلان كارديك التى كان لها الفضل الكبير فى تقنين (١) هذا العلم الكبير الواسع الذى يطلق عليه الآن « الإلهام الثالث » The Third Revelation ليضفى شرفا على الدقة التاريخية . وهناك أيضا الصوفية والثيو صوفية الرفيعة ، وجميع الأنشطة والحركات الاجتماعية التى تقوم بأسماء مختلفة ولكنها فى الحقيقة تدخل فى نفس المحتوى كما تصل فى النهاية الى المسائل والقضايا المشيرة عن « البارا سيكولوجى »(٢) parapsychology ، وهى بحوث أمضى الدكتور ج . ب . راين J. B. Rhine فى دراستها أكثر من ثلاثين عاما وأصبح علماً مؤسساً على الآراء النظرية والبحوث المعملية التى تجرى فى جميع البلاد الأوروبية . ويبحث بعناية خاصة فى العصر الحاضر فى جامعة ديوك بالولايات المتحدة الامريكية بإشراف الدكتور راين أستاذ السيكولوجى ومدير معامل البرا سيكولوجى بها ـ ولقد كانت هذه البحوث والدراسات مرتبة بأسلوب علمى مميز (٣) ، موضحة جميع الظواهر العجيبة القديمة التى كانت تعتبر كمرحلة علية للروحية عند لودج Lodge ، وكروكس Crooks ، وباريت Barret ، ومايرز Mayers وبادمور Padmore ، وديلان Delanne ، وريشيه Richet ، وجيلى Geley ، وأوستى Osty ، وفينزى Finzi ، وارماكورا Ermâcora ، ولمبروزو Lombroso ، وشيايا Chiaia ، وبوزانو Bozzano ، وفيكونت

---

(١) جمع الشرائع فى دستور

(٢) يعبر عنه فى بعض البلاد بـ « ما وراء الروح » وفى بلاد أخرى بـ « ما وراء النفس » ، وكلا التعبيرين يشيران الى موضوع واحد وهو دراسة كافة الظواهر الوساطية برمتها بدون ارتباط مبدئى بمصدرها من عالم آخر ولكن بغير انكار لهذا المصدر . وهذه الدراسة تمثل الجانب المعلى من علم الروح الحديث ، أما جوانبه النظرية فتعددة .

(٣) راجع هذه البحوث فى كتابنا « الروح والخلود » فى سلسلة « اقرأ » رقم ٣٢٦ صفحات ٩٤ / ١١٠

ثورس سولانوت Viscount of Torres Solanot ، وأوتـيرا أكفيدو Otera Acevedo ، وكثيرين آخرين غيرهم ممن قدموا بينه مقنعة على صحة هذه البحوث ، منهم : دى روكاس De Rockas والاخوة دورفيل Brothers Durville ، وأكزاكوف Aksakoff . وهذه الاسماء على سبيل المثال لا الحصر من بين آخرين غيرهم لا يقلون عنهم صيتا قاموا بمئات من التجارب الناجحة التى تم إجراؤهـا بدقة متناهية للتأكد من أن الشاهد ليس فقط هو نفس الروح الحقيق للإنسان كوجود (ذاتية) أو كيان مستقل وحر الإرادة العمل بعد الحقيقة البيولوجية للموت الفيزيقى ، بل هو فى ذات الوقت يعتبر الحافز والحاث لهذا الكائن الروحى ـ فى حالات محـددة ومقررة ـ على أن يكون بقربة من مرحلته الاخيرة ، وعلى اتصال مباشر بالمخلوق (الكائن) المادى ليقدم الحقائق التى تؤكد صحة ماحدث بعد الوفاة (الفحص التشريحى للجثة بعـد الوفاة) ومذهب العودة للتجسد .

حقائق روحية مؤكدة :

وهنا لا بد من التنويه بالجهود العظيمة التى بذلتها المؤسسات الروحية وفى طليعتها جمعيـة البحث الروحى Society For Psychical Research التى تأسست فى سنة ١٨٨٢ ومثيلاتها فى أمريكا وباريس والجمعية التركية للبحث الباراسيكولوجى ومعاهد ما وراء الطبيعة التى أنشئت منذ سنة ١٩١٩ خصيصاً لبحوث الظواهر غير المألوفة ، وما تزال جميع هذه المعاهد والجمعيات موجودة تدب فيها الحياة وتزخر بالنشاط ، للاستزادة من البينات والوقائع الهامة التى تكشفت عنها بحوث عدد وفير من العلماء الأفذاذ ، بعد تجارب متواصلة لمدى قرن تقريباً . ومن هذه الحقائق : سبب تأثير العقل ـ أو الروح ـ فى المادة تأثيراً مباشراً Psycho - Kinesis ، وموضوع الإدراك عن غير طريق الحواس Extra Sensory Perception .

وهذه البحوث المؤكدة عن الإدراك الفوق العادى Extra-normal Perception

وتأثير العقل ـ أو الروح ـ المباشر في المادة ، قام باجراء آلاف التجارب فيها ريشيه Richet ، وأوستى Osty ، وريمو فيـــدى Remo Fedi ، وبوزانو Bozzano ،وانتهوا إلى أنها دراسة معقولة ومنطقية عن الحياة بعد الموت (بقاء الشخص بعد الموت) ، وعن العودة للتجسد كتحية وعاملة من أحد قوانين الطبيعة ضمن وجود الخليقة ، ونتيجة منطقيةوطبيعية فى الحقل الباراسيكولوجى الذى تابع البحث فيه بهمة ونشاط كل من : الدكتور راين Rhine ، وسول Soal ، وبرات Pratt ، وبرايس Price ؛ ونآندور فودور Nandor Fodor وغيرهم من لا يقلون أهمية عن الرواد الأكفاء المقتدرين الذين بدأوا عملهم بادراك واهتمام وتقدير لتلك الكشوف التى كانت نقطة الانطلاق لتفادى صخور سوء الفهم الدينى ، ولتجنب أى جدال يعوق الاهتمامات العلمية ، حتى لا تنقلب ضد التقدم المتمهل للبحث العلمى الذى يستأهل هذا الإسم بحق .

إننا لانود الدخول فى الحقل الوافر الخصيب والميدان الواسع الرحيب لظاهرة الطفل غير العادى ، ذى الذكاء المبكر Prodigious ،وتذكر الأحداث الماضية reminiscences ؛ وعلاج المس الروحى Obsession والاستحواذ الخارجى Possession وغيرها من الظواهر العقلية للوساطة الروحيـــة ـ وكلها شواهد على أهمية مذهب العودة للتجسد ـ إذ أن هذا يحتاج منا إلى كتابة المطولات ، ولكننا ، مع ذلك، لم نجد بدا من العروض لها بايجاز فى بعض فصول هـــذا الكتاب .

إننا نذكر ذلك الحقيقة ذاتها ولا شيء غيرها ، إذ أن هذه الحقائق كما تعطى الإستمرار والمواصلة والإصرار والمثابرة تعطيها أيضاً فى العودة إلى تجســد الذاكرة فى تجارب التنويم المغنطيسى العلاجى . ومن المفيد هنا أن نوضح أن كل تلك الحقائق تقودنا تجاه حقيقة العودة للتجسد .

ولقد أقام الدكتور لويس كريستوفورو بوستجليونو Dr. Louis Cristoforo Postiglione البينة على هذه القضية فى كتابه القيم « فلسفة علمية أساسية عن

الحياة بعد الموت والعودة إلى التجسد « Fundamental Scientific Philosophy about Survival and Reincarnation وكان هـذا الكتاب الممتاز موضوع أطروحة تقدم بها المؤلف إلى « الكونجرس الدولى الثانى » مطبقـــاً فيه عملياً دراسة نظرية العودة للتجسد ـ ولقد نفدت جميع النسخ المطبوعة منه فى بيونس إيرس فى شهر نوفمبر ١٩٥٦ .

أما قبل ذلك وإلى قرب العشرينات فلم يكن الأمر بهذا القدر من الوضوح فيما يتعلق بنظرية إمكان عودة الإنسان للتجسد على المستوى الأرضى ، وقد قال فى شأنها الفيلسوف والأديب موريس ماترلنك Mourice maeterlinck إنه حتى مع عدم إقتناعه بثبوتها علمياً يأسف جداً لذلك لأنه « لم يوجد قط من قبل اعتقاد أكثر جمالا ، وعدالة ، ونقاء ، وخلقاً ، وغنى فى نتائجه ، وتعزيه . وقرباً إلى التصور من هذا الاعتقاد ..

« فهو بما يقيمه من فقه عن التكفير والتطهير المتتابع مرة بعد أخرى يفسر التفاوت بين إنسان وآخر فى الجسد وفى العقل ، كما يفسر المفارقات الاجتماعية ، وما يبدو من مظالم صارخة فى المصائر . ولكن مزايا أى اعتقاد ليست دليلاعلى صحته ، وبالرغم من أن هذا الاعتقاد يمثل عقيدة ستمائة مليون من البشر(١) فهو أقربها إلى تفسير الأصول الخفية ، ولعله التفسير الوحيد الذى لا يثير الامتعاض، ولا يبدو بعيداً عن التصور ، وينبغى أن يلقى من العناية فى دراسته أكثر مما يلقاه غيره ، وأن يقدم لنا الباحثون فيه أدلة لا تدحض أما ما قدموه لنا حتى الآن (قبل ســـنة ١٩١٣) فهو ليس أكثر من ظلال أولية لأدلة لا تزال

---

(١) يشير إلى ذيوع هذا الاعتقاد فى بلاد الشرق الاقصى بوجه عام . وعقيدة رجعة الروح هذه تمثل الآن عقيدة أكثر من نصف سكان الكرة الارضية وإن كانت قد داخلتها المبالغات والخرافات فى كثير من الأحيان .

في مبدئها(١) » .

المذهب الروحي الديناميكي :

ومن الهام هنا أن نلاحظ أن ما يعرف بـ « المذهب الروحي الديناميكي الجوهري » Essential dynamic psychism في المفهوم البيولوجي المؤاتى عن جيلي Geley يشتمل على تشابه فعلى مع المبدأ الأساسي لـ « الفكرة الاتجاهية(٢) » Direction idea التي قال بها العلامة كلود برنار Claude Bernard أبو الفسيولوجيا(٣) التجريبية ؛ وهذا المفهوم الأساسي في مؤلف جيلايان Gelayan عن « المذهب الروحي الديناميكي » الذي يعد بمثابة قائد ، ومنسق ، ومركز للأفراد الحقيقيين الذين يعملون خلال الشخصية المتنقلة المؤثرة فيه، يوضح أن البيولوجيا والسيكولوجيا إنما هما ناحيتان متصلتان غير منفصلتين للمسألة التي نعالجها. وهذا الجهد(٤) للمذهب الروحي الديناميكي هو الينبوع الخالق فيما يختص بـ « العقل » المدرك ، ليس كواحد من الحقائق الروحية التي تعترف وتسلم بالعلم الرسمي المقرر في عهدنا ، ويطلق عليه وصف خاص به ، وينظم الجانب العيني ابتداء من الدرجة الأولية حتى يصل إلى المجموع الكلي الجسماني ؛ كثير من الخبرات والتجارب وكثير من المراحل موجودة في حيوات كثيرة أخرى .

ومن هنا كانت المبادىء الأساسية والقضايا المسلمة لعقلية الشخص الذي يفترض فيه أنه شديد الحساسية للقوى الروحية ، أو الشخص الذي يزعم أنه

---

(١) عن « مطول الإنسان روح لا جسد » للدكتور رؤوف عبيد ، الجزء الثاني الطبعة الثالثة ص ٢٧٤ — ٢٧٥ عن كتاب La mort ص ١٦٨ — ١٧١ .

(٢) الدالة على الاتجاه .

(٣) علم وظائف الأعضاء .

(٣) الجهد : القوة الدافعة الكهربائية معبراً عنها بالفولتات .

صلة وصل بين العالم الأرضى وعالم الأرواح ، أو النفس ، أو الروح ، بصرف النظر عن حساسية الكلمات والألفاظ فى العالم الأكاديمى ، كلها متماثلة ومتطابقة.

ومن الحقائق المسلم بها أن طاقة العقل البشرى أرفع وأسمى من أن تتأثر بالتنظيم البدنى ، وباستطاعتها علاوة على ذلك أن تدفع وتحرك بدون استعمال النوافذ الفسيولوجية التى هى الحواس الخمس العضوية بالإضافة إلى ما يؤيده « ريشيه » Richet من أن هناك حاسة أخرى سادسة .

ولنستمع إلى الأستاذ الكبير سكوت شيرنجتون Scott Sherrington الحائز على جائزة نوبل عن مؤلفاته فى البيولوجيا ، عن الفسيولوجيا المخيـــة حيث يقول :

« إن مجموعة الجسيمات الدقيقة فى مخلوق ضخم ، فى تفاعلها المتواصل المطرد خلال مسيرة الحياة ، توشك أن تكون تحت خـــدمة الشخص الذى يشغل اهتمامه أو نشاطه بها . وثمة بقايا لا يمكنها أن تتكامل أو تتجمع للتفاعل الفيزيقى وتظل موجودة فى النشاط المخى . هذا الجزء المتبقى هو « العقل » » .

ومن بين الباحثين والمحققين الأستاذ المشهور إيان ستيفنسون Ian Stevenson العميد السابق لجامعة فرجينيا ، يقول مؤكداً إن : « الإنسان يجب أن يعتبر مالكاً لأحد العناصر الروحية التى تحكم الآلية (١) الدماغية المعقدة وتسيطر عليها . »

وفى مجال بيولوجيا الفضاء (٢) ، والبيولوجيا النووية (٣) ، نرى أنفسنا أمام

---

(١) mechanism : المذهب الآلى أو الميكانيكى ، هو المذهب القائل بأن العمليات الطبيعية (كالحياة) قابلة للتفسير بنواميس الفيزياء والكيمياء .

(٢) بيولوجيا الفضاء : دراسة المشكلات التى تتصل بجسم الكائن الحى فى الفضاء الكونى ، مثل تأثير العجلات الكبيرة التى تلازم اللحظات الأولى لإطلاق =

حقائق بليغة وثابتة تفتح أبواب المجهول لعـــلم رسمي مقرر ؛ وعن طريق « الميكروفزيقا microphysic » نعرف أن الألكترون ينفصل من ذرة واحدة ذات بنية عضوية ، تنطلق في آخر الأمر بعملية عادية من عمليات التحلل ذى النشاط الإشعاعى ، محتفظة بخاصياتها الفعالةوصفاتها المميزة لطاقية [١] . ويمكنها بذلك أن تتمم بناء ذرياً جديداً بعد انطلاقهـا .. ونظـــرية التوازى تفرض نفسها منطقياً وتظل راسخة وفعالة إلى أن يغدو النقيض أو الضد واضح الحجة، ثابت البرهان ، بوساطة توفير البحوث العلمية وتنظيم الرسائل الجامعية : العامل الروحى الذى نطلق عليه بحق « العقل » حين ينسحب أو ينفصـــل عن الجسم المماثل الخاص بالشخصية التى تنعش الفردية وتنفخ فيها الحياة فى أثناء التحول أو التنقل ، حينما تقوم بحفظ وبصيانة صفاتها المميزة الاساسية Characteristics (كما هو الحال فى الألكترون حينما يكون مهيئاً أو معداً لتوافق جديد) يمكن أن يعود مرة أخرى كيما يوجه تطور التركيب العضوى ابتداء من الجرثومة الأساسية (الجنين) . ومبدأ البقاء أو الحفظ بماله من قيمة كبيرة وأهمية قصوى فى مجال البحث ، والصلات الخاصة بالحقول الطاقية الفعالة ، تنطوى جميعاً على الصدق والدقة فى هذا الضبط العلمى لبؤرة النور .

ويعبر دوكاس Duccasse الأستاذ بجامعة براون عن رأيه فى هذا الموضوع بقوله :

« سواء أكانت الحياة بعد الموت حقيقة أم لم تكن فيما يتصل بتعدد الحيوات

= الصواريخ ، وانعدام الوزن ، والاهتزاز العنيف ، واختلافات الضغط ، والحرارة، والأشعة الكونية ، وذلك باجراء التجارب باستخدام أجهزة خاصة على الأرض أو إرسال الأحياء إلى الفضاء الكونى داخل الصواريخ أو الأقمار الصنـــاعية .

(٢) طريقة علمية حديثة .

(١) الطاقية : نسبة إلى الطاقة .

على الأرض ، فإنه من الممكن أن نتصورها مترابطة وملتحمة منطقيا وليست متعارضة أو متضاربة مع الحقائق التى نعرفها تجريبيا فى الفعلية (١) العلمية » .

ومذهب الولادة الثانية Palingenesis أو مذهب الإحياء (٢) الذى جعل الدكتور جوستاف جيلى (٣) Gustave Geley يصرح بأنه بمقتضى حكم سوى جاء بصورة طبيعية وكان مرضيا تماماً ، و بمقتضى المذهب العقلى (٤) الفلسفى على وجه الإطلاق ، و بمقتضى الدراسة العلية المرجحة والمتيحة أساساً للاعتقاد ، فإن هذا المذهب الخاص بالولادات الجديدة الذى يعد بمثابة سلسلة موصولة الحلقات منذ عهد سان بابلو San Pablo الى عهد الدكتور راين Rhine ، إن هو الا جولة طويلة من جولات العدل الفطرى ، نشأ الآن عن القياس العلمى الذى يبدأ من التقديرات التقريبية كما هو الحال فى العلم الذى يبدأ بالقيم التقريبية ، وبحدود مرنة جداً بحيث يمكن أن تكون الحتمية اليوم فى مواجهة الرفض غداً كلما كانت نتيجة الفحوص والبحوث فى تقدم دائم منبثق تجاه الضوء الطبيعى أو النور الإلهى خلال انتشاره على الارض .

---

(١) الفعلية : (تعبير فلسفى) مقابل الإمكان ـ أى كون الشىء فعليا .

(٢) مذهب الإحياء : أو البعث (عنـــد الرواقيين يفيد العود الأبدى للأحداث) .

(٣) الدكتور جيلى (١٨٦٨-١٩٢٤) كان مديراً « للمعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس منذ انشائه عام ١٩١٩ إلى أن توفى فى حادثة سقوط طائرة فى يوليه ١٩٢٤ ـ وكان من الباحثين الروحيين الذين عنوا عناية خاصة بظواهر التجسد ودراسة مادة الاكتوبلازم . وله مؤلفات عديدة لها قيمتها ودراسات فريدة لنظريات التطور الإنسانى ونشوء الحياة على هذا الكوكب ، أو بالأدق للوعى الإنسانى وتطوره نحو الاكتمال .

(٤) المدلول الخاص يقصد به الاعتداد بالعقل ضد الدين بمعنى عدم تقبل المعانى الدينية إلا إذا كانت مطابقة للمبادىء المنطقية والنور الفطرى .

يقول الدكتور جيلي في كتابه « من العقل غير الواعي إلى العقل الواعي»(١) :

«إن الموت للإنسان المتطور تطوراً كافيا يؤدي إلى انفجار الدائرة المحدودة التي كانت الحياة المادية تعتقل فيها الوعي الذي يتجاوزها ، وهي دائرة المهنة والأسرة والوطن فيجد الكائن نفسه محمولا خارج الأفكار والذكريات المألوفة ، وخارج حبه وأحقاده وعواطفه وعاداته . .

« ..كما أن فرحاته الكبرى ، وآلامه ، وانفعالاته التي لا تتناسب مع النتائج ، ومشاعره التي اجتاحت حياته ، ومطامحه التي افترسها ، كل ذلك يتضاءل عندئذ إلى مقداره الحقيقي ، فلا يشغل بعد الا مكاناً ضئيلا في تسلسل ذكرياته الواعية ، وبين روابطه القديمة ، يتلاشى الواهي منها كما يتلاشى الضباب الخفيف مع طلوع الفجر ، أما الروابط القوية فهي تكون جزءاً لا يتجزأ من سلسلة مصيره ، ولا يمكنه التخلص من حلقاتها إلا تدريجياً . .

« . . وفي الجملة يبدو أن المراحل التابعة للحياة العضوية وخارج الأعضاء لها دور في التطور متميز هنا عنه هناك ، ولكن مكمل له . وفي سلسلة الحيوات المتعاقبة لا يبدو للحياة الأرضية من قيمة تذكر إلا كقيمة يوم واحد في مجرى هذه الحياة . فللحياة الأرضية برمتها ولليوم الواحد نفس القيمة ، وبينهما تماثل حقيقي ، فهناك أيام سعيدة وأخرى سيئة . كما توجد حيوات سعيدة وأخرى سيئة ، كما توجد أيام وحيوات مفيدة وأخرى ضائعة .

« .. وفي الفترة بين وجودين أرضيين (فالمؤلف من أنصار تعدد الحيوات الأرضية والأثيرية) يعد الكائن المتطور تطوراً كافيا برنامجه للمستقبل. وتفصل بين الحيوات ، كما تفصل بين الأيام ، فترات للراحة الظاهرة ، ولكنها في نفس الوقت لحظات للجهد المثمر ، ولهضم ما مضى وللاستعداد لما هو آت . وكما تبدو

---

(١) طبعة ١٩١٩ ص ٣٢١-٣٢٣ عن كتاب « تطور الإنسان روح لا جسد » للدكتور رؤوف عبيد الطبعة الثالثة ، الجزء الثاني ص٩٥/٩٦ .

مشكلات كثيرة وقد حلها التوفيق عند اليقظة من النوم فكذلك يبدو الكائن فى مستهل حياته الأرضية متوداً فى خطواته الأولى فيسير فى اطمئنان كما لو كانت تمسك بزمامه يد ما فى الطريق الذى رسمه لنفسه ، والذى يجهله بمجرد ولادته ، ومع ذلك يسير فيه مغمض العينين .

« هكذا الحال من وجود الى وجود . وعن طريق فيض التجارب الكثيرة المسجلة المهضومة يصل الكائن شيئا فشيئا إلى الأوجـــه السامية من الحياة التى لا يكفلها إلا التطور الكامل للوعى ، أى عند تحقق السيطرة عليه . والسيطرة على الوعى ينبغى أن تمتد - كناية مثلى - على الحاضر والماضى والمستقبل ، بمعنى أن تحقق نوعاً من الإحساس الغامض بالمستقبل الذى لا يبدو مفهوما الآن . ولكن ما يمكننا بالأقل أن نصل إليه عن طريق المنطق هـــو حالة من معرفة الذات والكون متسقة بالقدر الذى يمكنها من إلغاء نسيان المـــاضى ، ومن السماح بالاستخدام المنظم والطبيعى للملكات السماوية ، وما وراء الروحية ، وبالتالى من رؤية معجزات التطور المتحرر السعيد ، المنبثق فى النهاية من ظلمات الجهل ، ومن قيود الحاجة ومن الآلام الرهيبة » .

الارتقاء الروحى ، والتقدم العلمى :

والارتقاء أو التقدم الروحى هو المبدأ الأساسى العلمى الهام عند ديلان Delanne ، ومورسيلى Morsellf ، وراسل والاس Russell Wallace . ولذا لم يقف فهم التطور لديهم - وبالأخص لدى ألفريد راسل والاس - عند حـــد التسليم بوجود عوامل روحانية وراء تطور الحياة على هذا الكوكب الضئيل ، بل راح والاس يؤكد أيضا اقتناعه الصريح بوجود الملائكة -هذا الاقتناع الذى كان يبدو أمام علماء القرن التاسع عشر فى أوروبا مبعثاً للسخرية - غير عابىء بسخريتهم ، بل راح هذا العالم الفيلسوف يؤكد « إن للملائكة دورهم فى النشاط الكونى ، بل وفى تفسير سير عجلة الحياة فى العالم . وأن مجموع العالم عبارة عن مظهر للقوة العظمى التى تبعث فى الكون الحياة ، وربمـــا لا تبعثها رأساً بل عن

طريق توسط سفراء لهذه القوة وهم الملائكة الذين يعمل كل منهم بحسب درجة ذكائه وقدرته .. فلا يمكن أن توجد هوة لا نهاية لها بين الإنسان وبين الروح العظمى العالم ، إن افتراضا كهذا يبدو غير راجح إلى أقصى الدرجات . » [1]

ولا يفوتنا أن نذكر أن كلا من كونان دويل Conan Doyle ، وليون دنيز Léon Denis جعل الارتقاء الروحي مذهباً في صفحات رائعة ، وسياقاً التحقيقات النووية ، وتقيض المادة ، ومضاد البروتون [2] ، ومضاد النيوترون [3] ، والاعتراف بأن عالماً من العوالم المضادة للمادة مماثل لعالم من العوالم المادية الذى يكثف الطاقة ، يضع أمام أعيننا ، كل عمل نقوم بإنجازه (ونفرغ منه تماماً) ، وأننا في مواجهة حقيقة التقدم العلمي فيما يتعلق بعصرنا ؛ وأن الحقيقة الروحية ، الحياة الروحية والإمكانية المطلقة للعودة عدداً كبيراً من المرات حسب الضرورة لعمل « الرحلة الإنكفائية » [4] – round trip – فلسفيا ودينيا ، الخ .. ؛ وأن النفس تبنى نفسها عن طريق درجات أو طبقات أو مراحل ، وأعنى بذلك عن طريق العودة للتجسد حيث تجنى في كل واحـــدة من تلك المراحل نتاج أعمالها من الفضـائل أو الرذائل التى تصحح دائمـا وبصفة مستمرة في المســيرة الظافرة للخلود . .

وهذه المرحلة من المماثلة الفعلية الثابتة في مشروع الطبيعة لكل شيء خلقه

---

(١) عن « مطول الإنسان روح لا جسد » الجزء الثانى ص ٧٦٤ ٧٦٥ .

(٢) antiproton : جسيم يحمل وحدة من الكهربائية الموجبة ويشكل جزءا من الذرة .

(٣) antineutron : دقيقة أولية متعادلة ذات كتلة تعادل كتلة البروتون تقريبا .

(٤) رحلة يقام بها إلى مكان ما ثم يرجع إلى نقطة الإنطلاق عبر الطريق نفسها عادة . ويطلق عليها أيضا « الرحـــلة العودية » : أى الرحلة إلى مكان والعودة منه .

الله تعالى ، يمكن أن تكون مطابقة تمام المطابقة لما تسميه بعض البحوث بالبعد الرابع . ولذلك نفهم أن الكسيس كاريل الطبيب والجراح السابق الحائز على جائزة نوبل كان موافقا ومتفقا على هذا الرأى حينما قال :

« الإنسان عقدة من الأنسجة أى عبارة عن أنسجة معقدة، وسوائل عضوية وضمير ؛ فهو لذلك ليس محصوراً تماما فى الأبعاد الأربعـــة الزمكانية (١) كالضمير ، حتى ولو كانت فى أعضائنا ، فانها تمد نفسها إلى خارج الوجود الفيزيقى » .

وهكذا عبر هذا العالم الكبير عن نفسه بوضوح ، وألف كتاباً ضخماً قيما اسمه « الصلاة » . وفى هذا الكتاب يقدم لنا المؤلف مثالا مقنعاً بأن ليس هناك أية حواجز أو عوائق حينما يتدخل ويفرق بين البحوث الجـــوهرية الخاصة بالحياة الأخروية (٢) والفكرة العامة التى هى بمثابة العمود الفقرى لمفهوم الله الخالق كسبب أو علة (٣) لكل مايمكن تخيله أو تصوره فى الخليقة من مخلوقات ومبدعات والمشاهد المذهـــلة العجيبة غير الاعتيادية واللافتة للنظر التى يقدمها العالم المتقلب والمتلون (٤) علم الإنسان بوصفه صورة مصغرة عن العالم .

---

(١) الزمكان : (الزمان ـ المكان) : المتصل الرباعى الأبعاد الناشىء (وفقا لنظرية النسبية (عن إندماج الزمان بالأبعاد الأربعة . وتقرر نظرية النسبية أن الزمان بعـــد رابع للأشياء ، وأن كل واقعة توجد فى الزمان وفى المكان معاً ، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر .

(٢) الـكائنة بعد الموت .

(٣) المعنى العام لـ « السبب » كل ما كان له تأثير أياً كان . ويمكن أن يكون له معنى « العلة » فيقال عن الله السبب الأول (المدينة الفاضلة ف ١) ، ويقـــال المخلوق المسبب ، ويقال السببية . ولـكن لفظ « العـــلة » أدق وأكثر شيوعا عند الفلاسفة . وهى مايتوقف عليه وجـود الشىء ويكون خارجاً مؤثراً فيـه . ويقال : علة الشىء مايتوقف عليه ذلك الشىء أوعنه يحدث أو ما من أجله ينتج.

(٤) ذو لون أو مظهر يتغير باختلاف زاوية النظر إليه .

شواهد تاريخية :

ولقد أشارت جماعات كثيرة من أبناء العصور القديمة إلى العودة للتجسد ، وكثيراً ما أقاموا شرائعهم وقوانينهم على أسسه ، وأكثر من ذلك فان من كبار الفلاسفة وأئمة الدين من مختلف الطوائف والملل من علموا - بشتى الطرق - العديد جداً من تلك الشواهد التاريخية .

أما الان فاننا نلاحظ أن نظرية العودة للتجسد أخذت تشق طريقها من جديد لتأدية عمل كان مألوفاً فى التواريخ الأساسية للدين والفلسفة والعلم منذ عهد بعيد ، وكان يعبر عن نفسه فى التشريعات والقوانين القامعة والتكوين الأخلاقى والإلهام للمواطنين وفى سلوك كالذى كان عند اليونان القديمة المتحضرة . ولقد كانت الولادة الجديدة أو الولادة الثانية rebirth إحدى الحقائق التى لا يرقى إليها الشك فى ضوء تلك البيانات التى أحدثت تأثيرها الفعال فى الثقافة الحديثة والحضارة المعاصرة ؛ وقد كان نفس الشىء موجوداً عند الفارسيين ، والفينيقيين الذين كان لهم وجود حضارى على الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد حتى ظهور الاسكندر الأكبر فى القرن الرابع قبل الميلاد [١] ، وكذلك منذ المزدكية [٢] Mazdeism التى تدعى لنفسها الرسوخ والأهمية فى فهم التجديد [٣] الأخير فى نهاية سلسلة محتومة لاسبيل إلى إجتنابها من حيوات متكررة . ولقد أقام الغاليون [٤] Gaules بدورهم الدليل على هذا الاعتقاد الذى كانوا يؤمنون به إيماناً راسخاً فى عاداتهم وطريقتهم المميزة عن الحياة والموت .

---

(١) عن كتاب « تناسخ الأرواح » للأستاذ مصطفى الكيك ص ٢٦ .
(٢) ديانة أهل فارس القديمة .
(٣) redemption الخلاص أو الفداء .
(٤) سكان الغال (الاسم القديم لفرنسا) الذين سكنوا وسط فرنسا وبلجيكا فى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد .

ولقد انتشر هذا الاعتقاد بدرجات متفاوتة وبمفاهيم مختلفة فى كثير من بقاع العالم ويدين به الآن مئات الملايين من أهل الشرق الأقصى ويؤمنون به إيمانهم بحقيقة الجاذبية الأرضية ، كقانون عظيم محتم لامناص منه ولا مجـــال للشك فيه أو الاعتراض عليه . ومنهم من يدين به فى أوربا وأمريكا. والمرجح أن يكون عدد المؤمنين بهذا الإعتقاد فى الوقت الحاضر أكثر من ألف مليون نسمة أى أكثر من نصف سكان العالم (١) .

ومیزة النظرة الشاملة التاريخية أنها فصيحة وبليغة ، وهى أشبه ماتكون بمنظر شامل عريض كامل فى كل إتجاه ؛ فهيرودوت Herodots قد استوعب المعرفة المصرية وفهمها فهماً جيداً ونشرها فى اليونان . وإذا شئنا أن نرجع إلى مصدر واضح يمكن أن يمدنا بمعلومات أكثر فى هذا الموضوع فعلينا أن نذكر الفيلسوف اليونانى العظيم فيثاغورس الذى كان يوصف بأنه «أحكم وأشجع الأغريق» ،وأنه فيلسوف كل عصر، فلقد أقام الدليل باشارة عابرة لاستيعاب تعاليم الإسينيين(٢) Essenism المتطورة تطوراً عالياً . وهو الشخص الذى نقل إلى بلاد اليونان جميع الحقائق الروحية التى استطاع أن يجرى فيها تحقيقاً دقيقاً فيقول إن النفس تهبط بعد الموت إلى « الجحيم » لتتطهر بالعذاب ثم تعود إلى الأرض تتقمص جسماً بشرياً أو حيوانا أو نباتا ولاتزال مترددة بين الأرض والجحيم حتى يتم

---

(١) عن كتاب تناسخ الأرواح » للأستاذ مصطفى الكيك ص ٢٨ .

(٢) طائفة يهودية مؤسسة على الأخوة كانت موجودة فى القرن الثانى قبل الميلاد إلى نهـاية القرن الأول بعـد الميلاد . وكانت تعيش على النظام الرهبانى فى جماعات ذات تنظيم مشترك ومصالح مشتركة فى ظل قوانين واحدة فى موطن واحد يقع فى منطقة البحر الميت. وكانوا يمارسون التنسك والتقشف عن طريق تمارين خاصة فيها كثير من الجهد الجسدى والعقلى . واكتشاف أوراق البردى المدون بهـا وثائق البحر الميت أماط اللثام عن كثير من البيانات والمناقشات الخاصة بالصفة الإسينية . «عن دائرة المعارف البريطانية» .

تطهيرها . وفيما يتعلق بمذهب العودة للتجسد على وجه الخصوص ، فقد عرفه تعريفا واضحاً بأنه يتخذ سبيلا لولبيا (حلزونيا) آخذاً فى الصعود إلى مالا نهاية ، ووضعه موضع الاستعمال كقانون « الكارما » أو الجزاء ، فيما يتعلق بالارتداد (١) الظاهر الصريح الذى لا يوحد حقيقة علم الأحياء وحقيقة الروحية كما يعبر عنه فى العودة للتجسد فى وقتنا الحاضر بأنه قانون طبيعى لمستقبل الأفراد والجماعات.

وكان من رأى فيثاغورس أن الأرواح لاتفنى غير أنها تسير فى أثير الجو إلى أن تصادف جسما أيا كان فتدخل فيه . وإذا خرجت من جسد إنسان يتفق أن تدخل فى جسم حيوان آخر ولذلك كان فيثاغورس يحرم ذبح الحيوانات وأكلها . وأن المادة تبقى ولا يعتورها الفناء بل التغير فقط فى الشكل .

والغرض من الحياة التشبه بالآلهة وإطاعة إرادتها - والحياة تجربة فليس للإنسان حق فى التخلص منها بالإنتحار كما أن الجندى لا يحق له التخلى عن مركزه .

وكان فيثاغورس يدعى أنه متجسد للمرة الخامسة وأنه يذكر حيواته السابقة .

وعند الفيثاغوريين أن أزمنة العودة للتجسد قد حددها الإله ونحن ملكه. فليس لنا أن نخالف النظام الذى وضعه بالانتحار أو بإهلاك الحيوان فيما عدا التضحية . فالغاية من عودة التجسد الطهارة التامة والسعادة الدائمة (٢) .

---

(١) الارتداد : قانون الارتداد هو القانون الذى يدل على تفكك الذكريات عندما تمرض الذاكرة . أو ضعف تدريجى يلم بعضو من أعضاء الجسد أو بالذاكرة والمهارات المكتسبة ، وبخاصة كتغير فسيولوجى يصاحب الشيخوخة وهو فى علم النفس : إرتداد إلى مستوى عقلى أو سلوكى سابق ، كالنزعة إلى العودة إلى أنماط السلوك الطفلى .

(٢) راجع كتاب « الفلسفة اليونانية » للدكتور يوسف كرم .

وعلينا أيضاً أن نقدر كل التقدير الأهمية العظيمة التى نالها فكرة الولادة الجديدة عند سقراط وأفلاطون، المعلنين الحقيقيين لتعاليم فيثاغورس والمبشرين لمدرسة الروحية وكانا بمثابة منبعين للتشريع الكارديكى (١) فى كثير من أسسه الأخلاقية والميتافيزيقية (٢) والأدبية والمعنوية.

أما أفلاطون فيتلخص مذهبه فى « أن النفس البشرية قوة تتحرك بذاتها قد اتحدت بالله قبل أن تظهر فى العالم الحسى ثم تسفلت بحلولها فى المادة وصارت على شكل جسم ناسية وجودها السابق لكى تكفر عن آثام ارتكبتها فى حياة ماضية - وهى واحدة أبدية لا تتغير » .

ولكى يثبت أفلاطون نظريته فى خلود النفس جاء بأربعة براهين تتلخص فيما يلى :

« الصورة معقول ، والمعقول من جنس العاقل ، والعاقل هو النفس ، أى أن النفس من جنس الصورة ، والصورة بسيطة ، فالنفس إذن بسيطة ؛ والنفس مشاركة فى الحياة ، فهى إذن تحيا ، والنفس تتذكر المثل ، فهى إذن قد حيت حياة تأمل فى حياة سابقة ، ثم إنها بعد الموت ستحيا هذه الحياة نفسها ، لأن الحياة بعد الموت من جنس الحياة قبل الوجود » (٣).

وينتهى من تلك البراهين إلى أن التغير يجرى بين ضدين ويجرى فى اتجاهين. فبالنسبة إلى النفس والموت والحياة نرى أن الأحياء يولدون من الأموات ، ومعنى هذا أن النفوس التى تدخل فى أجسام جديدة فتأخذ الحياة ، كانت موجودة بعد الموت فى مكان ما ، ومن هذا المكان أتت فأخذت أجساماً جديدة . أى لا بد من القول بفكرة التناسخ بمعنى بقاء الارواح بعد الموت

---

(١) نسبة إلى «آلان كارديك» الفيلسوف الروحى والعالم التربوى الفرنسى.

(٢) Metaphysic : ماوراء الطبيعة .

(٣) عن كتاب « أفلاطون » الدكتور عبد الرحمن بدوى الطبعة الثالثة ص ٢٠١ / ٢٠٢ .

وسيرها لمدة تأتى بعدها فتحل فى الجسم ، ثم تخرج من هذا الجسم عن طريق الموت لكى تحل مرة أخرى فى جسم جديد ، وهكذا باستمرار (١) .

أما تيميو اللوكريسى، Timeo of Locres ، الذى كان من حوارى فيثاغورس فنرى أنه قام بعمل الكثير جداً كما يصلح من أمر الجماعة التى كانت تحيا فى ذلك الوقت الغابر حياة مشتركة وفقا لنظام خاص ، ويثبت فيها فكرة التناسخ بوصفها الارتباط الرئيسى لتحول الفرد والحياة الحاضرة بالانتقال من رجال إلى نساء ، ومن آدميين إلى حيوانات ، مطرقة بالآراء والأبحاث فى السلم الحلزونى المتطور ، وفى حدود سلسلة هذه الأبحاث كان يجب أن يشار إلى تفسير تعدد الحيوات الإنسانية metempsychosis .

إن هذا البيان الموجز لا يمكن أن يقف ازاءه سوفوكليس أو أبوللونيو الطيانى أو الكتب المقدسة نفسها - صامتين . ولكننا نجدهم جميعاً يذكرون الشواهد والمراجع التى تترجم بوضوح وبساطة الرأى الذى نعرفه اليـــوم باسم العودة التجسد . ولقد أضاف كليمان السكندرى Clement of Alexandria، وجيرونيمو Jeronimo، وأوريجينس Origenes، وروفينو Rufino وغيرهم إلى جامبليكو Jamblico ، وبورفيريو لايرتس Porfiris Laertes وكثير غيرهم بينـــات بأسلوب جميل لا نستطيع أن نرقى إليه وذلك بسبب الثقافة التى يقدمونها ويعبرون بها فصارت منـــذ ذلك الحين شواهد وحججاً يعتمد عليها ويستشهد بها ويسلم بصحتها لمصلحة العودة التجسد ، ليس كمجرد تكفير على مستوى القانون البشرى ، ولكن كمرحلة إضافية فى الطريق تجاه : **الكمال أو الاكتمالية (٢) عنـد المخلوق الروحى ، والخلود ، وعدم الفناء .**

ان لامارتين (٣) Lamartine ، الشاعر الموهوب الذى إذا ذكرناه فانما يعيد

---

(١) نفس المرجع ص ٢٠٣ .

(٢) الاكتمالية : إمكانية بلوغ الإنسان مرتبة الكمال .

(٣) لامارتين : كانت رحلته المشهورة إلى الشرق إحدى الخطوات البالغة الأهمية فى حياته . وكان لها أثر بالغ فى تكوينه . إذ أنه اكتسب عرفاناً =

إلى أذهاننا، رحلاته إلى الشرق »، وثيوفيل جوتييه Theophile Gautier ، ودوماس Dumas ، وبونسون دى تيراى Ponson du Terrail ، ووالتر سكوت Walter Scott ، ودانتى اليجيرى Dante Alighierie ، وجوته Goethe ، وكثير غيرهم ممن يضيق المقام بذكر أسمائهم يعدون من الشواهد القائمة بشكل أو بآخر ، على أن انتماءهم إلى مذهب العودة للتجسد واقتناعهم به كان مبنيا على أساس أنه نظرية دينية . والآن عن طريق التذكر أو التفكير فى الخبرات السابقة والتحدث عنها reminiscincea ، ثم عن طريق المنطق الفلسفى ، أو بمجرد الحدس ، فأنهم يتفقون جميعا على أن تعدد الحيوات « **هو طريق العدالة الأبدية التى هى الكمال ذاته** » . . . وأكثر من ذلك ، فان تعدد الحيوات هو أفضل تفسير لظاهرة النبوغ المبكر عند الاطفال أمثال : موزار وبيتهوفن ، وميكاييل أنجلو ، وباسكال . وهؤلاء جميعا وغيرهم ممن اتصفوا بالنبوغ المبكر

= وفلسفة جديدتين ، وفى ذات الوقت تحولت أفكاره السياسية تحولا جارفاً ، حيث أشاعت إيطاليا له النور وأشاع له الشرق الفضاء الذى لا حد له ، مرآة العالم اللانهائى والجمال القاحل فى الصحراء أمام آثار بعلبك وأمام أشجار الأرز فى لبنان فتآلفت فى خياله مع المقدرة الفائقة ، واكتسب شعوراً وذوقاً فى الوحدة ، وفى الألم تجاه هذه المناظر الحافلة الطبيعة وللماضى ، واكتسب تفكيره جرأة واسعة من أساطيرها التاريخية أو الحربية الشاسعة كالصحراء المتضاربة كميدان قتال ، إن هذه الذكريات الشرقية جعلته يعرف نشوة النفس التى لم تدعه يرتاب فى دراسته الواقعية ، الشرقية والغربية حيث اكتشف تقاربا موحداً بينهما . ولم تكن الشريعة الإسلامية التى جعلته يشعر بهذا التأثير فحسب، بل المحيط الأدبى الذى قضى فيه أشهراً طوالا هو الذى غذاه دون أن يستطيع دفعه . ولقد تركت الشريعة المحمدية فى نفسه آثاراً لا تمحى ، فعاد مدركا إدراكاً أفضل النظم الأولية للمجتمع وللأدب الإنسانى .

سواء فى الفنون أو فى العلوم ، قد بينوا لنا أن « العلم تـذكر » (١) كما اعتاد أن يقول ذلك « أفلاطون » تلميذ « سقراط » المحبوب وحواريه المخلص الملهم . ولقد أفردنا فصلا خاصا بموضوع النبوغ المبكر .

ومن وراء تعدد الحيوات نجد أن قضية الكائنات التى أذهلت العقـــول فى كثير من ضروب النشاط الاجتماعى والإنسانى ـ تلك المخلوقات التى تظهر فى كل مكان من حين الى آخر لتثير التساؤل بين العديد من الناس ، وتجتذب أنظـــار الصحافة ـ ليس هناك مايفسرها الا أنها تأكيد لهذا المذهب .

مشاعل على الطريق :

ولقد كان المسيح « وبوذا ، وكونفوشيوس ، وكل من جاء من بعدهم من معلمى وقادة الشعوب والمجتمعات ذوى القيم الاخلاقية والشخصية والعقلية ، ومن أئمة الأديان الحقيقيين ، لايزالون حتى اليوم بمثابة منارات على الدرب ، ومشاعل تضىء بنورها الساطع الوهاج دياجير الظلام ، وما تزال رسالاتهم مستمرة فى إلقاء ضوئها على البشرية جمعاء للأخذ بيدها لبلوغ حد الكمال الخلقى .

إن إيقاظ الحركة الاجتماعية التى طغت واشتد اصطخابها منذ ظاهرة « هايدزفيل » Hydesville ، وبخاصة التقنين الكارديكى ، بالإضـــافة إلى الروحية الحديثة ، قد أنتج المدرسة التى نطلق عليها « الروحية » . وساعـــد فى ذلك الظروف التى أتيحت لإنشاء طور ذى وحدة كاملة (يشتمل على جميع العناصر المقومة) للمنوال (٢) التاريخى للمعرفة . والدراسة التامة المتكاملة لمذهب على

---

(١) عند أفلاطون « العلم أو التعـــلم تذكر والجهل نسيان » . ذلك ان أفلاطون كان يعتقد أن النفس قبل اتصالها بالبدن كانت فى صحبة الآلهة تشاهد موجودات ليس لها لون ولا شكل ثم ارتكبت إثما فهبطت إلى البدن ، فهى إذا أدركت أشباح المثل بالحواس تذكرت المثل . (.menon - XV - XX1 - 18o)

(٢) المنوال : تعاقب عدد من الظواهر بشرط أن تنطوى هذه الظواهر =

وفلسفي وديني إنما تشكل ثورة أخلاقية وتؤسس نظاماً اجتماعيا جديداً ، كما تحقق سلوكا أخلاقيا أصيلا موثوقا به .

وبدون دراسة مذهب العودة للتجسد فإن هذا البناء الحتميق للمبادىء الطبيعية التطورية لايجد مكانا معقولا ولاموضعاً منطقيا يمكن أن يستحوذ عليه ويوطد أركانه فيه ، ولا طريقة يمكن أن يفسر بها الحياة كخدمة ، والخـــير كحتمية جوهرية هامة للفرد بين أنداده ونظرائه . وفي هذا المعنى يقـــول القديس أوغسطين Saint Augustin بعبارة واضحة مهذبة :

« لقد هدم الشيطان نفسه باختياره طريق السيطرة والهيمنة ، بدلا من طريق الموافقة ومجرد تصادف (التعاصر الزمنى) Coincidence » .

فهيا نتعلم معاً هذا الدرس الواضح بكل ما يحتويه :

« العودة للتجسد هي قانون طبيعي ، عن طريقه تقوم الروح ، كذاتية ثورية ، بتعزيز ارتقائها الادبى ، وتصل الى حالات (طبقات) سامية من التكامل الروحي »

* * *

اسس علمية :

١ ـ البينة على التجارب الوساطية ، التي يكشف الروح المرسل عن طريقها مثل تلك الحالات الضرورية لأجل التقدم الأخلاقي أو العلمي .

٢ ـ الصور الوساطية التي تقدم الأرواح المتراسلة على المستوى الروحي ، حيث يقرر الروحيون الأخلاقيون الأصلاء أن ما يسجلونه له صلة ـ عن طريق التراسل ـ بحياتهم السابقة ، وأن أفضل الإمكانيات للتصحيح أو الأصلاح أو

= على الوحدة أو تنطوى على انتظام تعاقبها . ولهذا يطلق المصطلح على الظواهر الفسيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية ونادراً ما يطلق على الظواهر الفزيائية (لالاند) .

التحسين إنما تقوم عن طريق كائنات جديدة فى المستوى الأرضى ، الدنيوى .

٣ - القدرات العقلية الخاصة التى تقدمها الأرواح الموصلة لاعن الحياة الدنيوية فحسب ، وانما عن حيوات كثيرة أخرى أيضا ، فتكون نبرة الصوت الشخصية ، ومعنى هذا أن التطور الذى يذعنون له إنما يتم خلال تعدد مراحل الحيوات ، بكيفية متبادلة، حاليا فى العالم الأرضى ثم بعد ذلك فى العالم الروحى .

٤ - تجارب التنويم المغنطيسى hypnosis ، والسرنمة (١) ، وتجارب الرجعة (٢) ، وارتداد الذاكرة الذى يسمح لها بالزحف منقادة وراء المتصور ، أو مايسمى باللاشعور عند الأفراد - وبمعنى أدق - فرديته الذاتية ، أو مستودع الحيوات ، لتتأثر (تتعقب) عدة حيوات تظهر لوعيه السرنمى (٣) بكيفية مترابطة .

٥ - تذكر الخبرات الماضية للحيوات السابقة . ويحدث هذا - بطرق وأساليب مبهمة لم تتوصل العلوم الرسمية لفهمها - لكثير من المخلوقات،والمراهقين، مما تسجله الصحف والمجلات من حين إلى آخر فى كل مكان ، ولكنها فى الحقيقة تنتمى إلى سناهيات (٤) أو حوليات علية ، أو أخبار على الطريقة التى كان

---

(١) Somnambulism : السير خلال النوم . ويطلق عليه أيضاً : (الروبصة) .

(٢) regression : ارتداد إلى مستوى عقلى أو سلوكى سابق ، كالنزعة إلى العودة إلى أنماط السلوك الطفلى . ويمكن أن يطلق عليه : نكوص أو ارتداد .

(٣) نسبة إلى السرنمة ، يلاحظ « بيبرجانيه » أن الإنسان المصاب بهذه الحالة ، فى حالة اليقظة ، لا يذكر شيئاً عما كان يفعل وهو نائم . ولكنه يتذكر ذلك كله أثناء تجواله فى المرات التالية .

(٤) مدونات تاريخية للأحداث تكتب سنويا .

يقبعها «كاميل فلاماريون» (١) فى مؤلفاته . ولقد ظلت هذه الحقائق باقية بدون أن يكون ثمة ضوء يلقى إيضاحا أو معرفة على العلم الأكاديمى .

٦ ـ القدرة العقلية عند الأطفـــال الموهوبين ذوى الذكاء المبكر . تلك القدرة التى تجعلهم يسلكون سلوكا حسناً فى مجال إلهاماتهم الخاصة ، مبرهنين على أن هذه القدرات ربما تكون فى بعض الأحيان نتاج ثقافة أو تدريب فى الحيـــاة الحالية ، ولكنها فى الواقع ثمرة حيوات ماضية ، كانت مخزونة فى دوشعورهم (٢) أو فيما يسمى بالحالة الفردية ، ودبت فيها الحيـاة قبل الأوان متخطية الفكرة العامة التقليدية عن الزمان والمكان . والفضل فى ذلك يرجع إلى الجسد الأثيرى الذى يتيح الملكات والاستعدادات الفيزيقية فرصة التعبير الألفى (٣) .

٧ ـ الأمراض العقلية أو النفسية ـ التى غالباً ما تكون أمراضاً روحيـــة تأخذ شكل صور باثولوجية (مرضية) كالمس obsession من أرواح بعد انفصالها عن الجسد unincarnated spirits ـ حقائق وجد بالدلائل القاطعة أنها جذور فى الحيوات السابقة لبطل الرواية الأول ، هذا بين المريض على

---

(١) Camille Flammarion (١٨٤٢ - ١٩٢٥) كان فيلسوفا كبيراً وعالم فلك . أسس «الجمعية الفلكية الفرنسية» ، وله عدة مؤلفات تعتبر من المراجع العلمية التى يعتد بها ، منهـا «الموت وغامضه» فى ثلاثة أجزاء ، و «المنـازل المسكونة» التى حققها بنفسه ، و «قوى الطبيعة المجهولة» ، و «تعـــدد العوالم المسكونة» ، و «المجهول والمشكلات الروحية» ، و «الله فى الطبيعة ـ أو الروحية والمادية إزاء العلم الحديث» فى مجلدين .

(٢) الدوشعور : ما دون الشعور أو الوعى : النشاطات العقلية تحت عتبة الشعور مباشرة .

(٣) ألف سنة ـ متعلق بالعصر الألفى السعيد .

المستوى المادى وبين مرض الكائن على المستوى الروحى . وستكون هذه هى القاعدة لعلم الأمراض الجديد فى القرن القادم حيث يكون المعالج الروحى حقيقة واقعة أكثر ثورية من عصر مضادات الحيوية .

أسس فلسفية :

١ - العدل الإلهى يعبر عن نفسه على المستوى الدنيوى عن طريق قوانين العودة للتجسد ، بالمساواة فى المقامات الاجتماعية أى بالاشتراكية وبالتعويض وبتوزيع العدل بين البشر .

٢ - قانون العلية [1] Causality (الكارما) ، لا يمكن أن يكون واضحاً وصريحاً إن لم يكن منتمياً إلى العودة للتجسد أو تعدد الحيوات . ولقد عبر كاميل فلاماريون عن الوقائع المشهود لها بالصحة من مئات الحقائق الروحية التى جمعها فى كتبه الخالدة ، سبب وجود كل مخلوق هو التطور ويجب أن يظل محدوداً أو مذموماً إذا لم تكن هناك الفرص المتكررة التى تمنحها كل حياة جديدة ، كيما تصحح شيئاً يمكن أن ينفصل الكائن عن القوانين الطبيعية أو الإلهية ، أو لكى تنجز عملا أو تبت فى أمر بدأت الشروع فيه .

وقانون العلية الذى ينطبق عملياً على التعويض، والثواب والعقاب إنما يقوم بعمله من خلال أفعالنا . فاذا كانت أفعالنا سيئة فلا شك سينالنا العقاب ، أما إذا كانت أعمالنا حسنة فاننا نلقى ثواباً عليها ، و « ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . وقوانين الطبيعة تبلغ حد الكمال فى عملها ، فهى دقيقة غاية الدقة فى سيرها ، لا تقصر عن إتمام شىء ، ولا تكف عن أداء وظيفتها أبد الدهر .

٣ - قانون التطور ، تقبله العلم المادى فى النظام البيولوجى وتنمية النوع

---

(١) العلية ، هى العلاقة القائمة بين العلة والمعلول . ومبدأ العلية وصيغته أن « كل ما يظهر للوجود فلوجوده علة » وهو ينطبق على الموجود بالفعل .

الثانوى قليل الأهمية الذى يلازم الإنسان حتى يحدد أو ينشىء موطنه فى العالم ، ولقد تم قبوله أيضا فى النظام الروحى . والكائن يتطور بصفة دائمة وبغير انقطاع ضمن حدود هاتين النقطتين الأساسيتين اللتين هما القـــانونان الطبيعيان : قانون العلية ، وقانون عودة التجسد . والروح تستجيب مقتنعة بالحجة والمنطق للبقاء ، والتطور ، والتجسد ، والتناسخ من بعض النواحى العلية او الكارمية karmic .

٤ - قانون الجاذبية (١) : يقوم بعملية أو بسلسلة عمليات من خلال إرادتنا الحرة ، التى وهبها لنا الخالق جل شأنه . والذبذبات أو الاهتزازت التى تطلقها مع أفكارنا تؤثر تأثيراً مباشراً فى كل شىء حولنا علاوة على ما تحدثه فينا من تأثيرات ومؤثرات . وهذه الذبذبات عندما يستقبلها أو يتلقاها الآخرون فانها تؤثر فيهم . فاذا كانت أفكارنا إيجابية فاننا نجتذب رجعاً إيجابيا من الآخرين بعكس ما إذا كانت أفكارنا سلبية فاننا نجتذب منهم استجابات سلبية .

٥ - مصير الكائن Being يقوم بتنقية الإنسان عندما يعرف فقط أنه مسئول عن نفسه ، وأعنى بذلك أن هلاكه ودماره يتعلق به والأفعال actions - كنتيجة منطقية - علية ، ويمكن أن تتم هذه الأفعال فقط عن طريق تكرار الفرص والوسائل من أجل تعديل فى القانون يخضع آخر الأمر للتناسخ أو تعدد الحيوات .

٦ - ثبوت تعدد الحيوات يضع الإنسان فيما يتعلق بالأرواح بعد انفصالها عن الجسد فى الكون الذى ينتمى اليه . وهذا التعيين الذى يتم له فى كونه universe يجعله بطلا أو ممثلا مسئولا أمام المصير ، قضاءه وقدره ، ويتم ذلك عن طريق ومن خلال القوانين الثلاثة الموحدة والمتماسكة : العلية ، والتطور (الارتقاء) ، وتعدد الحيوات . . ولقد كان لانسلين Lancelin ، أحد الرواد الكبار فى هذا

---

(١) قوة الجذب ، وهى القوة التى يؤثر بها الجسم على آخر دون أن يكون هنالك اتصال ظاهر بين الجسمين (مجمع) .

الموضوع الخاص بمفهوم « حـــرية الارادة »[1] وماتعنيه « الحتمية »[2] ؛ وكان أندريه لويز Andre Luiz واضحاً فى هذه النقطة الأساسية من الموضوع : « حرية الإرادة فى العمل والحتمية لإصلاح ماأسىء عمله ».

أسس دينية :

إن « عودة التجسد » ليست عقيدة جديدة جاء بها علم الروح الحديث ، بل هى اعتقاد قديم قدم الفلسفة ، وجد سبيله إلى أذهان عدد ملحوظ من فلاسفة الإغريق ، كما عرف سبيله من بعدهم إلى عدد أقل منهم من فلاسفة المسيحية ، ثم الإسلام ، وأيده بعض هؤلاء وأولئك ببعض الشواهد والأدلة الدينية . ولا يخفى أن جميع العقائد والمذاهب الدينية تؤمن بحياة أخرى وراء الموت الفيزيقى ، وتحدد له ، بصورة محجبة أو بصورة دقيقة واضحة ، عودة أو رجعة إلى الحياة المادية (البدنية) عن طريق النفس كيما تتمم عملية الإنجاز والهيمنة .

فطائفة الاسماعيلية مثلا كانت تقول بأن النفس لم يحكم عليها قط بالجحيم الأبدى ، ولكن النفس تعود ثانية إلى الأرض بالتناسخ إلى أن تعرف الإمام الموجود فى العصر الذى عادت فيـــه إلى الأرض وتأخذ عنه المعارف الدينية[3] .

---

(١) Free Will : حرية الاختيار أو القدرية ؛ قدرة الإنسان على اختيار أفعاله . القدرية : من القدرة ، وهى تعنى إسناد فعل العبد إليه لا إلى الله تعالى ، بحيث يصير العبد خالقا لأفعاله بالاستقلال .

(٢) Determinism : الصورة العلمية النظرية الحتمية هى بقاء الطاقة بمعنى أن الطاقة باقية خلال تحولات المادة بحيث تكون كل ظاهرة صورة جديدة لطاقة سابقة .

(٣) عن « دائرة المعارف الاسلامية » المجلد الثالث جزء ٢١ ص ٣٨٢ .

والبكتاشية (١) التي كانت تميل إلى التقشف والزهد وكانت تعتنق مذهب الصوفية في الأعداد وبخاصة عقيدتهم في العدد ٤ وهو مذهب متأثر بالفيثاغورية إلى حد كبير ، كانت هي الأخرى تعتقد في العودة للتجسد اعتقادا راسخاً .

وطائفة «أهل الحق» (٢) الذين كان يقابل اعتقادهم بالتجسد المتكرر اعتقادهم العام بالتناسخ . «أيها الناس . . لاتخافوا عقوبة الموت ، فموت الإنسان شبيه باختفاء البطة تحت الماء» . وكانوا يعتقدون بأن الإنسان لابد أن يمر في أطوار من التجسد يبلغ عددها ألفا وواحداً يلقى أثناءها جزاء أعماله . على أن إمكان التطهير في قول كتاب «فرقان الأخبار» (٣) يتوقف في جوهره على طبيعة الموجودات ، فبعضها مخلوق من الطين الأصفر وهم الأخيار ، والباقون خلقوا من طين أسود وهم الأشرار . «وكلما أوغل الأولون في عالم التجسدات وكلما زادت آلامهم اقتربوا من الله وزاد نصيبهم من النور» . أما «أهل الظلام» فلن يروا الشمس قط . ويكمل «أهل الحق» هذه العقائد بترقبهم مجيء «صاحب الزمان» الذي سيجيء «ويحقق أماني الأحباب ويحيط بالعالم» . وعندهم كثير من العبارات التنبؤية التي تبشر بظهور المسيح . وجاء في «فرقان الأخبار» (ج ١ ،ص٥٧) أن الأخيار سيدخلون الجنة التي هي التأمل في جمال رب المكارم، أما الأشرار فمصيرهم العدم .

---

(١) نسبة إلى «بكتاش» ولى من أولياء المسلمين نسبت إليه طريقة الدراويش البكتاشية . يقال إنه ولد بنيسابور ودرس على أحمد يسوى . ويقال إن الانكشارية أسلموا على يد بكتاش في عهد أورخان . ويروى أن بكتاش هو الذي أنشأ طريقة الدراويش التي تنسب إليه .

(٢) «أهل الحق» ومعناها «أهل الله» وهم أصحاب نحلة باطنية توجد في غربي بلاد فارس على وجه خاص .

(٣) كتاب من أربعة أجزاء ألفه «الحاج نعمت الله» من بلدة جيحون آباد قرب دينور (١٨٧١ - ١٩٢٠) .

أما جماعة « إخوان الصفا »(١) فإنهم يستشهدون لتأييد مذهبهم فى العودة للتجسد ببعض آيات القرآن الكريم ، كقوله تعالى فى صفة أهل الجنة : « لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى » ويفسرون ذلك بأنه « مفارقة النفس الجسد مرة واحدة » وذلك السعداء . فأما الأشقياء فهم الذين يتمنون العود إلى الدنيا والتعلق بالأجساد مرة أخرى ، ويذوقون الموت مرة أخرى كما ذكر الله تعالى حكاية عنهم « قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل » .

ويقولون فى بعض رسائلهم : « إن نفوس الحيوانات بعد الذبح يستأنف بها أمر آخر » ، ويؤيدون ذلك بأن الأديان لم تجعل التقرب إلى الله بذبح البهائم لأن لحومها تنفع الناس فحسب ، بل غرضها من وراء ذلك « تخليص نفوسها - أى نفوس الحيوانات - من دركات جهنم عالم الكون والفساد ونقلها من حال النقص إلى حال التمام والكمال فى الصورة الإنسانية التى هى أتم وأكمل صورة تحت فلك القمر ، وهذه الصورة هى آخر باب فى جهنم عالم الكون والفساد » .

فهم يزعمون أن الروح تتجسد فى أجسام حيوانية ، مترقية فى كل مرة حتى تنتهى إلى التجسد فى جسم بشرى ومن هذا الباب يخرج الإنسان إلى « الباب الذى باطنه فيه الرحمة ساجداً فى صورة الملائكة » .

وطائفة الحارثية أصحاب عبد الله بن الحارث وقد تابعوا أحد أفراد بنى هاشم من غير الفاطميين وهو عبد الله أبو معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وكانوا مغالين فى هذا المذهب . وكانوا يختلفون قليلا عن الأبى مسلمية ، فهم يرون أيضاً أنهم ينتقلون من جسد إلى جسد فى دورات منظمة ، وهم يتعارفون

---

(١) جماعة سرية فلسفية سياسية نشأت فى منتصف القرن الرابع الهجرى فى البصرة ، وكان لها فرع فى بغداد . وكانت تهدف إلى قلب نظام الحكم القائم آنذاك ويظهر أنها تأثرت فى آرائها بالمذاهب الفلسفية اليونانية والهندية .

فى انتقالهم فى كل جسد صاروا فيه ، وانتهوا إليه على ما كانوا عليه مع نوح فى السفينة ، ومع كل نبى فى عصره ، الأخيار منهم مع الأخيار، والأشرار مع أقرانهم ، وأخيراً وصلوا إلى عصر النبى محمد صلى الله عليه وسلم فانتقلوا إلى أجساد أصحابه ، وانتقل أعداؤهم إلى أجساد أعدائه ، فأرواح الصحابة فيهم ، إذن هم شيعة البيت ، وأرواح المنافقين وأعداء النبى فى جمهرة المسلمين من أهل السنة والاعتزال ، وذلك مصداقا لحديث الرسول الذى رواه على القائل : «إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منهـا ائتلف وما تنافر منهـا اختلف » . أما الأجساد الحيوانية فتعيش فيهـا أرواح من أرواح الناس وتبقى فيها مدة ، وحددت هذه المدة بألف سنة تنتقل فيها الأرواح من الحشرات الحقيرة إلى الدواب الممتازة ثم تحول إلى الأبدان الإنسية وتبقى فيها عشرة آلاف سنة ، « وإنما ذلك امتحـان لهـا لكى لايدخلهم العجب فتزول طاعتهم ، أما الكفار والمشركون والمنافقون والعصاة فلا ينتقلون من الأبدان المشوهة عشرة آلاف سنة ، ثم تنتقل تلك الأرواح مرة أخرى إلى الأبدان الإنسية ألف سنة . وأما سبب اختلاف الناس فى درجة الكائنات فهو أنهم امتحنوا فى آماد سابقة فى أجساد إنسانية بالإيمان بالأئمة والأنبياء ومعرفتهم ، فمن آمن منهم انتقل إلى مستقره الطبيعى ، إلى نفس كلية أولى ، أما من لم يؤمن فقد رد إلى العذاب والامتحان والابتلاء ، وهكذا الدورة تدور والأئمة تعود . يقول النوبختى : « هذه حالهم أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، هذه قيامتهم وبعثهم ، وهذه جنتهم ونارهم ، والقوالب تفنى وتتلاشى ولاتعود ولاترد أبدا »[1] .

وهناك فرق وطوائف وجماعات أخرى كثيرة كانت تؤمن بمذهب العودة التجسد منها: فرق الحمدية ، والعلبانية ، والمغيرية ، والقدرية،وكانوا يستشهدون على ذلك بما سموه من شعر عبد المطلب الذى يقول فيه :

---

(١) عن كتاب « نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام » للدكتور على سامى النشار طبعة ١٩٥٤ ص ٢٠٦/٢٠٧ .

أيها الداعى لقد أسمعتنى ... ثم مالى عن نداكم من صمم
إن للبيت لرباً مانعاً ... من يرده بآثام يصطلم
رامه تبع فيمن جندت ... حمير والحى من آل قدم
فانثنى عنه وفى أوداجه ... جارح أمسك منه بالكظم
قلت والأشرم تردى خيله : ... إن ذا الأشرم غر بالحرم
نحن آل الله فيما قد مضى ... لم يزل ذاك على عهد ابرهم
نحن دمرنا ثموداً عنوة ... ثم عاداً قبلها ذات الإرم
نعبد الله وفينا سنة ... صلة القربى وإيفاء الذمم
لم نزل لله فينا حجة ... يدفع الله بها عنا النقم

ولقد أيدوا ذلك الشعر بشعر العباس بن عبد المطلب فى مدحه النبى صلى الله عليه وسلم وهو ماذكره قريم بن أوس بن حارثة بن لأم الطائى أنه هاجر إلى رسول الله صلى الله علية وسلم فقدم عليه منصرفه من تبوك فأسلم ، قال : سمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يارسول ، إنى أريد أن أمتدحك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل لايفضض الله فاك ياعمى » . فأنشأ يقول :

من قبلها طبت فى الظلال وفى ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد ، لابشر ... أنت ، ولا مضغة ، ولاعلق
بل نطفة تركب السفين ، وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صلب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما ... فى صلبه أنت ، كيف يحترق !
وأنت لما ولدت أشرقت الـ ... أرض ، وضاء بنورك الأفق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ ... نور وسبل الرشاد نخترق(١)

---

(١) عن كتاب « مروج الذهب » للمسعودى جزء أول ص٣٨٣ / ٣٨٤ =

قالوا : وهذا الخبر قد ذكره أصحاب السير والأخبار والمغازى ، ونقلوا هذا المديح من قول العباس ، وما كان من سرور النبى صلى الله عليه وسلم بذلك واستبشاره به ، فجعلت هذه الطائفة ماذكرنا من الشعرين ــ شعر عبد المطلب، وشعر العباس ــ دلالة لهم على مذهب التناسخ الذى كانوا يعتقدون به .

ولقد ذكر ذلك جماعة من مصنفى كتبهم ، ومن حذاق مبرزيهم ، من فرق المحمدية والعليانية وغيرهم ،منهم: أسحق بن محمد النخعى المعروف بالأحمر فى كتابه المعروف بكتاب « الصراط » [١] .

ولعل أول من نادى بهذه العقيدة بين المسلمين كما جاء فى مراجع كثيرة أحمد ابن حائط [٢] ، وكان ذلك قبل عام ٢٣٢ هـ (٨٤٦ ــ ٨٤٧م). فكان يقول بمبدأ « الكرور » أى تناسخ الأرواح التى ابتدعتها النفس الكلية فى صور تزداد حسناً أو قبحاً بمقدار الفضائل التى اكتسبتها فى تجسدها الأول . وهذه النظرية تقتضى وجود خمس مراحل : دار عذاب وهى النار ، ودار ابتلاء وامتحان وهى دار الدنيا ، ودارين للجزاء النسبى ، ثم أخيراً دار النعيم التى خلق الخلق فيها [٣] . فقد جاء فى القرآن (سورة الأعراف الآية ٣٤) :

« ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون » أى إذا حان حينهم بعد أن استوفوا حياتهم من خير أو شر فإن أمرهم ينتهى إلى الجنة أو إلى النار .

= تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد . كما جاءت هذه القصيدة أيضاً فى كتاب « حياة الحيوان » للدميرى جزء ثان ص ٦١٥ طبعة دار التحرير ١٩٦٥

(١) نفس المصدر .

(٢) متكلم يسلك فى زمرة المعتزلة كان تلميذ النظام وشيخاً بالذات للفضل الحدثى .

(٣) عن « دائرة المعارف الإسلامية » المجلد الثانى ، الجزء ١٣ ص ٣٣٢ عن حياة الحيوان للجاحظ ، و « الخطط » للمقريزى .

وفى سورة يونس ، الآية ٥٠ :

« قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون »

وفى سورة الصف ، الآية ١٢ :

« يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم » .

وكان ابن حائط يقول أيضا :

« إن الله تعالى خلق الخلق فى أبدان صحيحة وعقول سليمة فى دار نعيم ليست هى الدنيا ، وخلق فيهم معرفته والعلم به وأسبغ عليهم فى هذه الدار نعمته ، فمن أطاعه فى كل ما أمر به من التكليف أقره بها ومن عصاه أخرجه منها إلى النار وهى دار العذاب الدائم . أما من أطاعه فى بعض ما أمر به وعصاه فى البعض الآخر فإنه يخرجه إلى الدنيا ويلبسه فيها بعض هذه الأجسام التى هى قوالب كثيفة للروح ويبتليه بالشدة والألم لبعض عصيانه أو الراحة والمتعة لبعض طاعته عن طريق التجسد فى صور مختلفة من صور الناس والحيوانات على اختلاف أنواعها . وبالقدر الذى كانت عليه معصيته فى دار النعيم الأولى . فمن كانت معاصيه أقل وطاعته أكثر كانت صورته فى الدنيا أحسن . ومن كانت طاعاته أقل ومعاصيه أكثر صار قالبه فى الدنيا أقبح . ولاتزال الروح فى هذه الدنيا تنتقل فى قوالب وصور مختلفة مادامت الطاعة مشوبة بالذنوب . فإذا تمخض عمل الإنسان والحيوان عن طاعات مطلقة فإنه يرد إلى دار النعيم الدائم وهى الدار الأولى التى خلق فيها أولا . أما إذا تمخض عمله عن معاص فإنه ينقل إلى النار دار العذاب الدائم »[1] .

---

(١) عن كتاب « تناسخ الأرواح » للاستاذ مصطفى الكيك ص ٣٧ عن « الفرق بين الفرق » للبغدادى ص ٢٧٤ / ٢٧٥ و « التبصير فى الدين » للاسفرايينى ص ٨١ .

ولقد جاء بعد ذلك كثيرون ممن كانوا يؤيدون نظرية العودة للتجسد نذكر منهم : ابن باقوس ، وجعفر القاضى ، وأبو مسلم الخرسانى ، ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب ، والحسين بن منصور المعروف بالحلاج ، ومحى الدين بن عربى ، والسهروردى المقتول ، وأصحاب أبى يعقوب المزايلى ، وأبى جعفر محمد بن على الشلمغانى المعروف بابن أبى الغرائر ، وغيرهم ممن كانوا يستندون إلى قوله تعالى : « يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ماشاء ركبك » ، وقوله تعالى : « جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرأكم فيه » (١) .

وجدير بالذكر هنا أن كثيراً ممن ذكرناهم كانوا يقولون بما قاله « الدوانى » شارح هياكل النور من أن التناسخ ينقسم إلى أربعة أقسام : النسخ ، والمسخ ، والفسخ ، والرسخ . فأما النسخ فهو اتخاذ الروح بعد مفارقة الجسد بالموت جسداً إنسانياً آخر (عن طريق الحلول فى الجنين ثم الولادة الطبيعية) ؛ والمسخ اتخاذ الروح لجسم حيوان ؛ والفسخ حلول الروح فى النبات ؛ والرسخ حلولها فى الجماد .

وفى هذا المعنى جاء تفسير الشيخ محى الدين بن عربى للآية القرآنية : « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » إذ يقول : (أى جعلهم متشابهين الناس فى الصورة وليسوا بهم . والمسخ بالحقيقة حق غير منكر فى الدنيا والآخرة ، وردت به الآيات والأحاديث كقوله تعالى « وجعل منهم القردة والخنازير » ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر بعض الناس على صور يحسن عندها القردة والخنازير » . وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام الممسوخ ثلاثة عشر ، ثم عدهم وبين أعمالهم ومعاصيهم وموجبات مسخهم ، والحاصل أن من غلب عليه وصف

---

(١) عن كتاب « مروج الذهب » للمسعودى جزء أول ص٣٨٤ ، و « مجلة علم الروح » عدد مايو ١٩٥٩ من مقال للأستاذ حسن عبد الوهاب .

من أوصاف الحيوانات ورسخ فيه ، بحيث أزال استعداده ، وتمكن فى طباعه ، وصار صورة ذاتية له — كالماء الذى منبعه معدن الكبريت مثلا — صار طباعه طباع ذلك الحيوان ، ونفسه نفسه . فاتصلت روحه عند المفارقة ببدن يناسب صفته ، فصارت صفته صورته . والله أعلم بذلك) (١) .

* * *

وفى جميع الكتب السماوية كثير من الآيات التى نجد من يسوقونها التدليل على صدق الفكرة التى تقول باحتمال العودة التجسد .

ففى الكتب المقدسة شواهد وإشارات ربما يجد فيها المقتنعون بإمكان رجعة الروح أسانيد تؤيد دعواهم . منها ما أعلنه السيد المسيح من أن يوحنا المعمدان الذى كان معاصراً له هو بنفسه إيليا الذى كان قد توفى منذ أكثر من أربع وعشرين قرناً سابقة . وذلك بقوله : « إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه . . . حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » (٢) .

وجاء فى إنجيل متى عن يوحنا المعمدان مايلى :

« وبينما ذهب هذان ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا ، ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا ؟ أقصبة تحركها الريح ؟ . .

« لكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ إنساناً لابساً ثياباً ناعمة. هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك .

« لكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبيا . نعم وأقول لكم وأفضل من نبى .

« فإن هذا هو الذى كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيء طريقك قدامك »

---

(١) عن كتاب « تفسير العارف بالله محي الدين بن عربى » الجزء الأول ص ٢٠ المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٧ هـ .

(٢) انجيل متى ١٧ : ١٢ - ١٣ .

« الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه

« ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن وملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه

« لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا

« وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى

« ومن له أذنان للسمع فليسمع » (١)

ويواصل القديس متى فى إنجيله قائلا :

« ولما جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان . فقالوا : قوم يوحنا المعمدان . وآخرون إيليا . وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء » (٢) .

وهذا الجواب يميط اللثام عن وجهة النظر العامة المؤسسة على النبوءة ، وعلى العقيدة العامة ، فى إمكانية الولادة من جديد (٣) .

وذلك يفيد أيضاً أن الاعتقاد فى العودة للتجسد كان شائعاً عند اليهود منذ أيام السيد المسيح ، كما كان شائعاً عند شعوب كثيرة فى أوروبا وفى الشرق الأوسط ، وكما هو شائع لغاية الآن لدى شعوب الشرق الأقصى

---

(١) متى : اصحاح ١١ : ٧ - ١٥

(٢) متى : اصحاح ١٦ : ١٣-١٤ (يوحنا : هو سيدنا يحى بن سيدنا زكريا وإيليا : هو سيدنا إلياس) .

(٣) عن كتاب « العودة الى الحياة » للأستاذ زكى عوض المحامى ص ٢١ المترجم عن كتاب **Reincarnation: Fact or Falacy** تأليف جوفرى هدسن ص ١٧

بوجه عام (١) .

والقارىء أن يستخلص لنفسه الحقيقة من الحديث التالى بين التلاميذ والمعلم ونحن نورد هذا الحديث بنصه :

« وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغى أن يأتى أولا ؟.. فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتى أولا ويرد كل شيء . ولكنى أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه ، بل عملوا به كل ما أرادوا كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم .. حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » (٢) .

وفى رواية القديس مرقس هكذا :

« لكن أقول لكم إن إيليا أيضاً قد أتى وعملوا به كل ما أرادوا ، كما هو مكتوب عنه » (٣) .

وهذه العبارات قاطعة لا تحتمل الجدل . فإن عودة إيليا إلى الحياة هى التى تنبأ عنها الأنبياء وكان يؤمن بها اليهود . وهى التى أيدها المسيح . فإيليا الذى رفع الى السماء ، عاد إلى الأرض كيوحنا المعمدان ، متخذا جسما ماديا جديداً ، مظهراً مميزات معينة بتجسده السابق ، لا سيما خشونة المظهر ، والمنطقة الجلدية على حقويه . (٢ مل ١ : ٨ ، مت ٣ : ٤) .

وحتى إذا أنكر يوحنا المعمدان أنه كان إيليا (يوحنا ص ١ : ٢١ - ٢٥) فإنه ليس بمستغرب أن ينسى المرء حيواته السابقة ، قبل أن يبلغ درجة معينة من التقدم الروحى . فعلم المسيحية تحدث من وجهة نظر سامية ، وقال أيضاً إن

---

(١) عن (مطول الإنسان روح لا جسد) للدكتور رءوف عبيد الجزء الثانى ص ٢٧١ / ٢٧٢

(٢) متى : ص ١٧ : ١٠ - ١٣

(٣) مرقس : ٩ : ١٣

يوحنا ولو أنه كان نبيا عظيما ، ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه ، (متى ١١ : ١١) وهذا يوحى بأن يوحنا لم يكن يضارع فى النمو الروحى حتى من بلغ الدرجة الأولى من التكريس (١) . ويؤيد ذلك ما ورد فى يعقوب ٥ : ١١ من أن إيليا كان إنسانا تحت الآلام كسائر البشر . وأمام هذه الظروف فإنه ليس بمستغرب أيضا أن يوحنا لم يكن قد وصل لتذكر حيواته الماضية . وعلى أى حال ليس لإنكاره نفس القيمة بإزاء التأكيد الجازم الذى أورده المعلم نفسه (٢) .

* * *

وفى القرآن الكريم عدة آيات بينات ربما تؤيد عقيدة العودة للتجسد منها :

« كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون » .

سورة البقرة آية ٢٧

« ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابراهيم »

سورة البقرة آية ٣٢

« وما من دابة فى الأرض ولا طير يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون »

سورة الأنعام آية ٣٤

« قل الله يبدىء الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون »

سورة يونس آية ٣٤

« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة اخرى »

سورة طه آية ٥٥

---

(١) أنظر كتاب Initiation, The Perfecting of Man تأليف آنى بيزنت

(٢) عن كتاب « العودة الى الحياة » الذى ترجمه الأستاذ زكى عوض المحامى عن كتاب Reincarnation : Fact or Falacy ص ٢٠ / ٢١

« والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا » سورة النحل آية ٦٩

« ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ، إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً »

سورة الإسراء آية ٧٣

« وهو الذى احياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم إن الإنسان لكفور »
سورة الحج آية ٦٦

« يبرؤ الخلق ، ثم يعيده ، ثم اليه ترجعون »

سورة الروم آية ١١

« أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ، إن ذلك على الله يسير »
سورة العنكبوت آية ١٩

« وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ (مجمع البحرين) أو امضى حقبا »
سورة الكهف آية ٥٩

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله أحسن الخالقين »

سورة المؤمنين آية ١١

« وقالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل » سورة غافر آية ١١

« وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس أنهم كانوا خاسرين »

سورة فصلت آية ٢٤

« لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم »
سورة الدخان آية ٥٥

هذه بعض الآيات التى يمكن أن تتخذها دليلا على عودة التجسد . . وهناك غيرها أيضاً كالآية :

« إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ، إن الله كان عزيزاً حكيما » .

سورة النساء آية ٥٦

وهناك أيضاً بعض الأحاديث الشريفة التى تلقى بعض الضوء فى هذه القضية ، ومن هذه الأحاديث حديث الغيضتين وهو :

قال ابن اسحق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال حدثنى من لاأتهم ، عن عمر بن عبد العزيز بن مروان . قال : حدثت عن سلمان الفارس أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن صاحب عمورية قال له : ائت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلا بين غيضتين (١) يخرج فى كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزاً ، يعترضه ذوو الأسقام ، فلايدعو لأحد منهم إلا شفى ، فاسأله عن هذا الدين الذى تلتمس ، فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجت حتى أتيت حيث وصف لى ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك ، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، فغشيه النـــاس بمرضاهم لايدعو لمريض إلا شفى ، وغلبونى عليه حتى دخل الغيضة الأخرى ، وتوارى منى إلا منكبه فتناولته فأخذت بمنكبه فلم يلتفت إلى وقال : من هذا ؟ فقلت : يرحمك الله ، أخبرنى عن الحنيفية دين ابراهيم ، قال: إنك تسأل عن شىء مايسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبى يخرج من عند هذا البيت يأتى بهذا الدين الذى تسأل عنه فالحق به ، ثم انصرفت . . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدثه بهذا الحديث :

---

(١) الغيضة : الشجر الملتف .

« لئن كنت صدقتني ياسلمان لقد لقيت عيسى بن مريم » (١)

وقول الرسول الكريم الذي يعد مصداقا للرأي القائل بظهور أوادم كثيرة قبل آدمنا المعروف وهو :

« إن آدم هذا قبله مائتا ألف ألف آدم » . أما أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف فله أيضا مايتفق مع هذا الرأي إذ يقول :

جائز أن يكون أدم هذا قبله آدم على إثر آدم

وقوله أيضاً :

إذا صح ماقال الحكيم فلا خلا زماني منى منذ كان ولايخلو

اسس اخلاقية :

١ — تظهر الروح لكي تؤدي — وفقاً لعرف معين — عملية التطور التي هي أصلا سبب الوجود. ولهذا التطور حاسة غائية فذة ، هي: **التطور الاخلاقي**. ونظراً إلى أنه ليس في الإمكان إدراك هذا التطور خلال حياة واحدة (مفردة)، بوساطة قانون طبيعي ، فمن الضروري أن تؤديها على مراحل أو أطوار ، على قدر ماهنالك من ضرورة ، حتى تضيء الحقيقة الإلهية بكل فخامتها وأبهتها ، وبكل إشراقاتها السرمدية . ولقد ترجم المرادف للفظ « **التطور** » عندنا في المجالات السماوية العليا بـ «**الأخوة العالمية**» أو « **التآخي العالمي**» **UNIVERSAL FRATERNITY**.

٢ — العدل الإلهي يتم توزيعه بالتساوي على كل المخلوقات وعلى جميع الكائنات ، وثمة تعبيران جميلان يترجمان قلب القانون ولبه هما :

(١) عن كتاب « سيرة النبي » لأبي محمد بن عبد الملك ابن هشام ص ٢٤١ / ٢٤٢ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ١٣٨٣ هـ . و « الطبقات الكبرى » لمحمد بن سعد كاتب الواقدي الجزء الرابع ص ٥٧ .

المحبة والحكمة love and wisdom ؛ الأول يهدى إلى الصلاح، والتقوى ،والكمال ، والطيبة ،والثانى يقود إلى : التعلم ، والمعرفة ، والخبرة ، والتجربة . وهذه الأهداف ، التى هى القوة المنظمة والوجهة الصحيحة للعدل الإلهى ، بمعنى آخر ،هى الهدف الموضوعى للوجود ، والسبب الفعلى للحياة كبوتقة فيها اختبار قاس للنفوس فى التطور ، وصورة المطلق أو الحقيقة المطلقة تتطلب العمل، والتنسك، والفهم . والوقـــت الروحى إنما هو بالانتصار ، وبالأشياء المكتسبة ، وبالتحصيل . ويتم هذا عن طريق مرات عديدة من رجعة الروح للبحث عن قدرها ، فإذا وصلت إلى هذا الوقت، فإن الحاجة أو الرغبة الملحة لعودة التجسد ستختفى فى سبيل الروح المتطورة .

٣ ـ المبادىء الأساسية لقانون العـــودة للتجسد فوق كل الاعتبارات الأخرى . . وحيث أنها تفسر وتحقق النظام والأمن الناشئين عن فرضها وتطبيقها ، وتوزع ثمراتها بمقادير مقيسة ، وتضع حدوداً لأحكام الشريعة وأصولها وقواعدها ، فإن لهذه المبادىء علة أخلاقية جوهرية هى : **التطور (الارتقاء) . . والتقدم** . . وهذا التقدم إنما هو من أجل الخير والفضيلة تجاه : **الحب والحكمة** . وهذا هو الشكل الذى أراد الله تعالى أن يحقق به كلمته بين بنى البشر ، حتى نحس بأنه أقرب إلينا من حبل الوريد . . وأنه قريب ، يجيب دعوة الداع إذا دعاه . .

عقيدة «العودة للتجسد»

متى وكيف بدأت؟

سجلت الـ ٧٥ عاماً الأخيرة تطوراً كبيراً فى علوم الثيوصوفية الروحية. فقد حققت فى هذه الحقبة ما تعده انتصاراً عظيماً لجهودها، وهو أنها أعادت إلى الحياة بعض التعاليم المنسية أو التى تكاد أن تكون منسية، مع أنها ليست أقل شأناً مما جاء فى بعض الكتب المقدسة التى كانت أساساً لكثير من ثقافاتنا وقاعدة لطريق الحياة.

إن هذه التعاليم الروحية الأصيلة، قد بزغت منذ زمن سحيق، وكان على هؤلاء الجهابذة من أقطاب الثيوصوفية أن ينتشلوها من هذه الآبار الغائرة ليرتوى منها البشر فى عصر الظمأ الروحى العصيب.

ومن خلال هذا النصر المظفر الذى حققه الثيوصوفيون والروحيون فإنهم يستغربون موقف الذين لا يزالون يصرون على أن عقيدتى «الكارما» و «العودة للتجسد» هى من الابتكارات الحديثة المبتدعة التى تفتقر الى التأصيل والاستناد إلى نصوص قديمة فى غاية الأهمية.

واصطلاح «العودة للتجسد» ترجم بأشـــكال متنوعة كالولادة الثانية rebirth، ورجعة الروح return transmigration، وتعدد الحيوات أو التجسدات المتكررة metempsychosis، والإحياء أو البعث[1] Palingenisis. وكل هذه المصطلحات تنطوى على فكرة الوجود السبق[2] pre - existence، الذى يعنى تجسد الروح البشرية مرة أخرى.

---

(١) عند الرواقيين يفيد العود الأبدى للأحداث.

(٢) الوجود فى حالة سابقة أو قبل شىء آخر. وبخاصة وجود الروح قبل اتحادها بالجسد.

إن هؤلاء العلماء الأفذاذ يلمحون إلى : دراسة صحيحة سليمة وأساسية عن مبادىء التطور ؛ وإقـــرار بأن الولادة الثانية إنما تنتج عن الرغبات والميول والاتجاهات الناشئة عن عمل ماض ؛ وأخيراً تجديد أو انبعاث روحى لبلوغ حد الكمال أو المطلق Infinite أو كمال الوجود اللامتناهى .

وهم يعبرون عن تلك القضية فى بعض الأحيان بالتعويض أو التكفير عن الخطايا - كما قلنا من قبل - أو مطـابقة الذات مع الأنا (أى مماثلة الذات مع حالة المرء الطبيعية أو الفضلى) identification .

وهذه التعاليم كانت محصورة فى الأصل وفى المقام الأول فى جماعة صغيرة منتقاة من دارسى الأسرار الغامضة التى غدت الآن فى صورة مبسطة وفى متناول مدارك الجمهور على نطاق واسع عن طـــريق الصوفية فى مشـارق الأرض ومغاربهـا .

ولقد عملت الجماعات الصوفية جهـــدهـا التمييز بين « العودة للتجسد » reincarnation و « الرجعة » transmigration ؛ و « تعدد الحيوات أو التجسدات المتكررة metempsychosis ، إذ أن الأمر كان ملتبساً بينهما سواء فى الشرق أو فى الغرب .

والمبدأ المقرر بأن الروح التى كانت تعيش من قبل فى صورة بشرية، لا يمكن أبداً أن تعاد ولادتها فى جسد مادى لحيوان - إذ أن المخلوقات الآدمية التى لم يتم نضجها وارتقاؤها ربما تسلك سلوكاً بهيمياً أو تتصرف بكيفية وحشية - واضح وصريح.

ولقد أكد « هيرودوت » أن مذهب العودة للتجسد أو رجعة الروح نشأ فى مصر . وقرر أحد كبار المعلمين أن « كل إنسان إنما هو صـاحب الشريعة لنفسه والمشرع المطلق لهـا . وهو الذى يدبر لنفسه المجد والجلال والبهاء أو الغم والكآبة والقلق . وهو الحاكم المسيطر على حيـاته ، وهو الذى يقرر لنفسه

الثواب والعقاب » .

ويقال إن بعض فلاسفة اليونان تبنوا هذه التعاليم ونشروها في البيئة التي كانوا يعيشون فيها ، فكان يصدقها البعض وأكثرهم من الطوائف اليهودية ، التي يحتمل أن يكون منها طائفة « الإسينيين » (١) التي قضى المسيح بينها سنوات عمره المبكـــرة .

ومن المعروف أن عقيدة العودة للتجسد من أهم وأقدم العقائد الهندوكية . وهي تتضح بأبرز معالمها في « جيتا » ولذلك قال غاندى في مقالته عن جيتا (٢) : « إنه يعطى الإنسان الطموح إلى الله . لأن الإنسان لا يستريح ولا يطمئن إلا إذا استطاع أن يتمثل بمظهر الله ولا يمكن له التشابه به تشابها كليا . وبهذا تتحقق رغباته التي تختلج في صدره ، وهذا ما نعبر عنه بالإدراك النفسي . ولا شك أن مؤلف جيتا لم يفصح لنا عن هذه الغاية بكلمات واضحة ولكنه مهد لنا السبيل لكي نصل بجهودنا إلى تلك الغاية العظمى . وهذا ما فهمته من دراستي لنصوص جيتا وعباراته » (٣) .

كذلك أورد باحث هندوكي معاصر هو « سرى جي ديال كوئند » في كتابه « الآخرة والتناسخ » (باللغة الهندية) : « أن عودة التجسد عقيدة علقت في أذهان الهندوكيين منذ أقدم العصور . والهند هي الأرض الأصيلة لها » . وبالبحث والتحقيق في هذا الموضوع نجد أنها وجدت لدى الأمم الأخرى أيضاً منذ أقدم العصور ولكن في ضوء الأدلة ليس من البعيد أبدا أن نحكم أنها هندية قدماً وأصالة ، وقد يقال إنها وجدت لدى الفراعنة أيضا منذ أقدم العصور .

« وإذا كان الأمر كذلك فإن عقيدة العودة للتجسد انتقلت إلى مصـــر عن

---

(١) جاء تعريف عنها في هامش الصفحة ٣٩ .

(٢) The Selected Writings of Mahatma Ghandi

(٣) عن مقال الأستاذ محمد اسماعيل الندوى بعنوان « جيتا » في مجلة « تراث الإنسانية » العدد ٨ المجلد الثاني .

طريق الهند لأن عقيدة الآخرة هي التي ظلت عقيدة خالدة لدى الفراعنة على مدى الدهر » (١) .

ويذكر البيروني : « أن اليونانيين اتفقوا مع الهندوكيين في عقيدة التناسخ ، وذهب سقراط الى هذه النظرية » (٢) .

ثم انتقلت عقيدة عودة التجسد إلى إيران عن طريق الهند أيضاً وفي ذلك يقول البيروني : « وكان ماني (مؤسس الدين في إيران) قد نفى إلى إيرانشهر (أي إيران) فدخل أرض الهند ونقل التناسخ منهم إلى نحلته » (٣) .

وفي العصر العباسي حين التقت الثقافتان الهندية والعربية انتحلت بعض الفرق الإسلاملة هذه العقيدة مثل : البيانيـــة ، والخباحية ، والخطابية ، والراوندية ، والقدرية ، والنظامية (٤) . ويرى البيروني أن بعض المتصوفين المسلمين أيضاً ذهبوا إلى هذه العقيدة في بعض معتقداتهم (٥) .

وفي كتاب « الزهر » أو كتاب «النور » (٦) نقرأ :

« إن الأرواح كلها خاضعة لتجربة (الرجعة)..إذ أن الروح يجب أن تدخل مرة أخرى في الجوهر المطلق Absolute Substance الذي منه انبثقت ..

---

(١) عن « تاريخ الحضارة المصرية » جزء أول ص ٢١٥ (وزارة الثقافة بالقاهرة) .

(٢) « تحقيق ما للهند » للبيروني ص ٢٨ .

(٣) عن نفس المرجع السابق ص ٢٤ .

(٤) عن « الفرق بين الفرق » للبغدادي ص ٢٥٣ .

(٥) عن « تحقيق ما للهند » ص ٢٤ .

(٦) كتاب يحتوى على الفلسفة القبلانية . والكلمة عبرية معناها بالعربيـــة « الإضاءة أو الإنارة » .

« ولكن لكى تتم هذه الغاية وتكمل ، يجب عليها أن تنمى جميع الكمالات وتحسنها .. أى أن الجرثومة أو النطفة التى زرعت فيها ينبغى أن تبلغ أعلى درجات الكمال ؛ وإذا هى لم تحقق هذه الحالة فى خلال حياة واحدة ، وجب عليها أن تبدأ من جديد فى حياة ثانية ، وثالثة ، وهكذا إلى أن تنال الحالة أو الدرجة التى تناسبها للوصول ، أو التوصل إلى رحاب الله » .

وأعلن يوسيفيوس المؤرخ اليهودى أن الإعتقاد بالعودة للتجسد ، كان شائعاً بين الفريسيين (١) Pharisees الذين كانوا معتادين فى ذلك الوقت على تلك التعاليم الخفية بالرغم مما كانوا عليه من نقص وعيب فى نواح أخرى .

وملاحظات يوسيفيوس التالية عن جنود اليهود الذين فضلوا الإنتحار على أن يأسرهم الرومان ، تصلح مثلا طيباً ، قال (٢) :

« ألستم تذكرون أن سائر الأرواح النقية التى تعيش طبقاً للناموس الإلهى قد عاشت فى أدنى الأماكن السماوية . وعلى مر الأزمنة تبعث ثانية لكى تقطن أجساماً نظيفة . ولكن أنفس أولئك الذين ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة ، قد قضى عليها بالبقاء فى أصقاع مظلمة فى الأرض السفلى ؟ » .

(دى بيللو جودايكو)

ويمكننا أن نستخرج نفس النتيجة من كتابات فيلوستراتو السكندرى وغيره من الفلاسفة اليهود الآخرين .

وكانت هذه التعاليم معروفة بين الغنوصية Gnostic ، والمانوية (٣)

---

(١) طائفة من يهود عهد المسيح عرفت بتمسكها بالطقوس وبالتقوى .

(٢) عن كتاب « العودة إلى الحياة » ص ٢١ عن كتاب Reincarnation لجيوفرى هودسون ص ١٧ / ١٨ .

(٣) أتباع مانى الفارسى (٢٢١٦ — ٢٢٧٦ ق.م) الذى دعا الى الإيمان بعقيدة ثنوية قوامها الصراع بين النور والظلام .

والقبلانية (فلسفة دينية سرية، عند أحبار يهود وبعض نصارى Manichaeans ، العصر الوسيط مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً صوفيا) .

قال سيدنا عيسى عليه السلام : « لابد لكم بأن تولدوا مرة أخرى » وقال فى مقام آخر : « من لم يولد من الماء والروح لايقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح » أى أن النفس التى لم تحى من ماء المعرفة الإلهية وروح القدس العيسوى ، فإنها غير لائقة للدخول والورود فى الملكوت الربانى . لأن الذى ظهر من الجسد وتولد منه فهو جسد ، والمولود من الروح التى هى نفس عيسى فهو روح وخلاصة المعنى هو أن العباد الذين ولدوا من روح المظاهر القدسية ، وحيوا من نفحتهم فى أى ظهور يصدق عليهم حكم الحياة والبعث والورود فى جنة المحبة الإلهية . وماعداهم من العباد يصدق عليهم حكم آخر ، هو الموت والغفلة والورود فى نار الكفر والغضب الإلهى .

وفى مقام آخر فى الإنجيل مسطور بأنه فى ذات يوم توفى والد أحد أصحاب عيسى عليه السلام . فعرض الأمر على حضرته وطلب منه أجازة ليذهب ليكفنه ويدفنه ثم يرجع . فأجابه بقوله : « دع الموتى يدفنون موتاهم » .

* * *

ويمكن أن يقال نفس الشيء فى ما يتعلق بتعاليم « الكارما » أو القانون الأخلاقى الخاص بالسبب والنتيجة أو العلة والمعلول .

وفى الكتب المقدسة جميعها إشارات كثيرة تشير إلى هذا المعنى . فنى القرآن الكريم كثير جداً من الآيات البينات التى نفهم منها مايعنيه هذا القانون :

« من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون »
سورة الجاثية آية ١٥

« أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون »

سورة الجاثية آية ٢١

« قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى »

سورة الكهف آية ٨٨

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا »

سورة الكهف آية ٣٠

« وإنى لغفار لمن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى »

سورة طه آية ٨٢

« إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما »

سورة الفرقان آية ٧٠

« من كفر فعليه كفره ، ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون »

سورة الروم آية ٤٤

« من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب »

سورة غافر آية ٤٠

« من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد »

سورة فصلت آية ٤٦

« يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ماعملت وهم لا يظلمون »

سورة النحل آية ١١١

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »

سورة الزلزلة آية ٧ و ٨

« ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط »   سورة يونس آية ٤
كما نرى أيضاً فى الانجيل والتوراة مايؤكد هذا المعنى،فأيوب يقبهنا إلى:«أن الذين يزرعون إثما ويزرعون شراً إنما يحصدون نفس الشيء » . وحكمة سليمان تعلمنا : أن الشيء الذى يخطىء الإنسان به ، ينال جزاءه به »
وسيكال للإنسان بالكيل الذى به يكتال .

ويقول القديس يوحنا (١) «: وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته. فسأله تلاميذه قائلين يامعلم من أخطأ ، هذا أم أبواه حتى ولد أعمى ؟ »
وليس ثمة ماينص على أنه وبخهم أو عنفهم على جهلهم أو على أفكارهم الحمقاء، وكان من الواضح أن الرجل قد ولد أعمى ، لأنه اقترف خطيئة فى حياة سابقة على الأرض .

إن التوراة ذاتها تشير إلى أن السيد المسيح قبل أن يأتى ليخلص البشرية ، سيعود النبى إيليا لشعبه بالرغم من موته المادى . « ها أنذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل مجىء يوم الرب العظيم والمخوف » (٢).
فليس بمستغرب إذن أن تقرأ فى إنجيل متى :
« ولكن ماذا خرجتم لتنظرو ؟ إنساناً لابساً ثياباً ناعمة ، هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك . لكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبيا ، نعم وأقول لكم وأفضل من نبى . . . . » (٣) الى آخر ماذكرناه فى الفصل الأول.
وهذه تعاليم واضحة غاية الوضوح عن حقيقة الوجـــود السابق والرجعة الى الحياة .

ومن المعروف أيضاً من مؤلفات كبار الفلاسفة والمعلمين فى العصور المبكرة أنهم تقبلوا هذه التعاليم وسلموا بها دون أى تردد أو شك . .

---

(١) يوحنا ص ٩ : ١ - ٣
(٢) ملا ٤ — ٥
(٣) متى : ص ١١ : ٧ — ٥ و ص ١٧ : ١٠ — ١٣

وإذا تساءل القديس أوغسطين فى « اعترافاته » (١) : « ألم أولد فى جسد آخر ، أو فى مكان آخر ، قبل دخولى فى رحم أمى ؟ »

وإذا سأل أوريجن (٢) : «ألم يكن طبقا للسبب أو المبرر فقط أن كل روح إنما تدخل فى جسد لأسباب مؤكدة وغامضة ، ويكون دخولها هذا طبقـــا لاستحقاقاتها وأفعالها السابقة ؟ » .

فإن القديس جيروم يميط اللثام عن ذلك بقوله إن عقيدة تعـــدد الحيوات كانت تعلم (تدرس) كسر من أسرار الدين الخفية يعرفه الإنسان عن طريق الوحى وحده ولا يستطيع مع ذلك أن يفهمه فهما كاملا . ويقتصر تبادل هذه الطقوس السرية الخاصة على فئة قليلة منتقاة من خاصة أعضاء المصلين.

---

(١) القديس أوغسطين : (٣٥٤ - ٤٣٠) أعظم آباء الكنيسة، تأثر بمختلف التيارات الفكرية السائدة فى عصره ، وانتهى الى الإيمـــان بالمسيحية ، وروى تجربته فى ترجمته الذاتية المشهورة « الاعترافات » وكان يؤمن بالجبر ، وبأن تاريخ البشرية صراع بين مملكة الله ومملكة الدنيا أو الشيطان . دافع بقوة عن روحانية المسيحية ، وكان من أقوى الشخصيات تأثيراً فى تاريخ الكنيسة . وله مؤلفات كثيرة منها : « الرد على الأكاديميين » و « الحياة السعيدة » و «المفاجأة» و « خلود النفس » و « حرية الارادة » و « مدينة الله » و « فائدة الاعتقاد » .

أما « الاعترافات » فهو كتاب فى ثلاثة عشر فصلا أجمع كثير من مؤرخى الفلسفة على اعتباره « تحفة نادرة » فى تاريخ التراجم الذاتية التى انحدرت الينا من القرون الأولى للمسيحية ، أو على الأصح من عهد أباء الكنيسة الأولين .

(٢) أوريجن : (حوالى ١٨٥ - ٢٥٤ تقريبا) ، فيلسوف مسيحى ، ولد بمصر وعلم بالاسكندرية . نشر الإنجيل بست صور مختلفة : عبرية ، ويونانية ، لمقابلة بعضها ببعض . نادى بأن الأرواح كلها تنبثق من الله، وترتكب الخطيئة، ثم تعود إليه بعد توبتها وتكفيرها . من مؤلفاته : « المبادىء الأولى» باللاتينية، و « معارضة سلسوس » .

ويقرر القديس جريجورى : « إنها ضرورة حتمية أن النفس يجب أن تعالج لتبرأ وتطهر ، وإذا لم يتم هذا فى أثناء حياتها على الأرض فلابد من أن يتم فى حيوات قادمة » .

وكذلك كانت تعاليم القديس فرنسيس الأسيسى St. Francis of Assisi والقديس بونا فنتورا St . Bonaventura ، وتوماس كامبانيلا Thomas Campanella ، بالرغم من أنهم كان محظوراً عليهم الخوض فى هذا الموضوع ـ وكان ذلك فى القرن الخامس تقريبا ـ وإلا حكم عليهم بالنفى .

ولكن مع نمو الاستنارة والتثقيف وعودة العلم والمعرفة لتحل محل المخاوف السيـــاسية ـ كما يذكرنا بذلك (لوتوسلاوسكى) فى كتابه « الوجود السبقى والعودة للتجسد [1] » ـ بدأ رجال الاكليروس [2] يعلنون أن الاعتقاد بمذهب العودة للتجسد لا يخالف المذهب الكاثوليكى . وكان رئيس الأساقفة (المطران) باسافالى Passavalli الذى كان يعيش فى القرن الأخير ، يقوم بتعليم هذه العقيدة علانية .

وليس لنا أن ننسى أن الإسلام ، دين المسلمين فى بقاع الأرض من المشرق إلى المغرب ، أقر هذه العقيدة ، كما أقرتها المسيحية ، واليهودية ، والبوذية ، والهندوكية .

ولقد ذكرنا فى بعض فصول هذا الكتاب وبالأخص فى الفصل الأول منه كثيرا من الشواهد والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التى يستدل منها على هذه الحقيقة .

وهذا دليل واضح على أن عملية التطور من المادة إلى الروح .. من النقص إلى الكمال .. إنما تتم عن طريق العودة للتجسد .

---

(١) Pre - existence and Reincarnation

(٢) رجال الدين المسيحى .

ويصف العالم الديني والشاعر الصوفي جلال الدين الرومي (١) هذه العملية بإيجاز وبلاغة في بعض أبيات «مثنويته» (٢) الخالدة :

« كنت جماداً فصرت نباتاً . . ثم حيواناً !
كيف خفي ذلك عليك ؟
ثم مت حيواناً ، وولدت إنساناً ذا عقل وعلم وإيمان . .
فانظر أي زهرة أصبح هذا الجسم الترابي !
فلماذا أخاف ؟ وماذا فقدت بالموت ؟ »

* * *

إن عقيدة الروح المتجسد هذه كانت مقبولة ومسلماً بها في كل مكان وعلى نطاق واسع كعلم حقيقي في الغرب منذ عصور موغلة في القدم . ويدلنا على ذلك

---

(١) هو محمد جلال الدين ، ابن سلطان العلماء محمد بهاء الدين بن حسين بلخي ، ينتهي نسبه إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه . يعتبر مولده حدثاً مباركاً في تاريخ الصوفية والشعر الصوفي الفلسفي . وكان ذا مواهب فطرية نادرة ، وكانت ملازمته لأبيه في أسفاره وحضوره مجالس العلماء وحلقات مشايخ الصوفية ، لها أكبر الأثر في نسج خيوط شخصيته الصوفية . وتدرج (مولانا) في تلك الرياضيات النفسية والتجارب الروحية حتى بلغ درجة رفيعة ، وصار قطب السالكين . أسس طريقة صوفية اشتهرت بالطريقة المولوية نسبة إلى مؤسسها . ولهذه الطريقة أتباع عديدون منتشرون في أكثر من دولة اسلامية في الشرق والغـــرب .

(٢) المثنوي : ملحمة فلسفية صوفية ، نظمها جلال الدين باللغة الفارسية على طريقة الثنائيات وهي تقع في ستة مجلدات ، وتحتوي على ٣٥٧٠٠ بيت من روائع الشعر الصوفي الروحي . وتضمنت أفكاره وآراؤه كثيراً من الآراء الأفلاطونية الحديثة ، وقد عبر عن هذه الآراء بجرأة متناهية . وليس أدل على ذلك من رأيه الصريح الجريء في العدل الإلهي ـ وهو أن الشر نفسه رمز إلى عظمة الله وجزء من كماله .

كثير من كتاب اليونان والرومان والسلتيين Celtic (١) .

فنرى سقراط مثلا يقول :

« إذا كانت كل الأشياء التى من طبيعتها الحياة أو التى لها بعض صفات الحياة يجب أن تموت ، وبعد أن تموت تظل باقية فى صورة الموت ، ولا تعود إلى الحياة مرة أخرى . كل شىء سوف ينتهى إلى موت ، ولن يبق شىء على قيد الحياة - فما هى النتيجة الأخرى التى يمكن أن تكون ؟ » .

ويقرر أوفيد Ovid (٤٣ - ١٨ ق. م) : « أن الموت ، كما يطلق عليه ، إن هو إلا مادة قديمة تتسربل هيئة جديدة . والروح تظل كما هى ، يقذف بها من مسكن إلى مسكن وفى ثوب مغاير ، والشكل فقط هو الذى يفقد » .

ويقول أفلاطون : « إن التذكر هو التزام طبيعى لمبدأ (مذهب) حياة ماضية . فالنفس ليس لها بداية ؛ والإنسان فى حياته الحاضرة ليس له بداية ، فالحياة الحاضرة إذن حالة جديدة للنفس ؛ لأنها كانت تعيش فى مكان آخر ، وفى حالات مختلفة » .

وهكذا يمكن أن نقول إن الحياة أشبه ما تكون بـ (فيلم سينمائى) - المجموع الكلى لحيوات الأنا . وكل حدث عرضى فى سياق الفيلم يسجل الحياة المفردة والتجربة لشخصية واحدة . ولكنها تكون مبهمة وغير مفهومة ، ما لم نعرف ما ذهب من قبل وما سيأتى بعد ذلك .

ويجب أن تكون ثمة أسباب كافية وسديدة لكل استجابة ، وهذه يجب أن

---

(١) السلتيين : (نسبة إلى سكان غرب أوروبا الأقدمين) - واللغات السلتية : مجموعة من اللغات الهندية الأوربية (تشمل الايرلندية والاسكتلندية والويلزية الخ . .) لاتزال حية إلى اليوم فى أيرلنده والشمال الغربى من اسكتلندة وفى ويلز الخ . .

تكون مشتركة مشاركة أليفة وودية ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالذاتية البشرية التي تكون قد أوجدتها . وهـــذا يدل على أهمية كل من الوجود السبق وقانون العلية .

وهكذا ، فالأنا تحتوى على المجموع الكلى للخبرات المكتسبة والمتجمعة خلال شخصية واحدة بعد الأخرى ، في جسد واحد بعد الآخر ، تتابع وتمارس تجربة بعد الأخرى ، وتتعلم درساً بعد الآخر ، إلى أن تجد النفس ذاتها فى حالتها الفضلى التى منها انبثقت وإليها فى النهاية تعود .

« إعتقادات فاسدة »

من المعتقدات الفاسدة التى تتعلق بالمذهب الرئيسى الخاص بالولادة الثانية : ما اصطلح على تسميته بـ « تقمص الأرواح » transmigration of souls ومذهب «أشقاء أوشقيقات النفس» soul – mates والاعتقاد بالعودة الإختيارية للتجسد voluntary reincarnation : فهذه المعتقدات بمفهومها الشعبى، الشائع بين عامة الناس ، إنما هى معتقدات زائفـة لانصيب لها من الصحـة . فالذات أو الأنا EGO تطرح الشخصيات عن نفسها ، رجلا كان أو امرأة كما هو مفروض، وتكون الذاتية كلها مكتملة بنفسها ، فلا حاجة بها للبحث عن « النصف الآخر » الأسطورى . وقد يحدث ، أحياناً أن رجلا وأمرأة يعملان معاً فى حالة من التناسق غير العادى . ولـكن هذا لايعنى إطلاقاً أنهما سيصبحان ذاتية واحدة فى فى مستقبل الأيام . بل العكس هو الصحيح ، فإن ذلك يدل على أن المرأة إنما تقوم بإظهار (بالكشف عن) ذلك الجزء من طبيعة الرجل التى تـكون محجوبة فى الذكر ، والعكس بالعكس .

أما الاعتقـاد بأن البعض له أن يختار وأن يقرر أو أن يحقق رغبته فى أن يتجسد ثانياً ، فهو اعتقاد من الحساسية بحطنا كما لوكنا مطالبين ، فى هذه الحياة ، بأن يكون لنـا الحق فى أن نموت باختيارنا .

وهناك أيضاً مرحلة على عتبة ما يمكن أن يطلق عليه « الكمال » حيث يكون للذاتية التى نقلت نفسها من عجلة الولادة الثانية الخيـار فى أن تولد ثانيا . كماأن هناك أيضاً قدراً معينـاً من الإختيار لهؤلاء الذين يكونون أقرب إلى الـكمال ، ولكن بالنسبة للغالبية العظمى ممن يعيشون اليوم فليس ثمة اختيار شخصى بالمرة ، وإنما هم يولدون ثانية بكل مافى الكلمة من معنى لـ « كارماهم » .

ومعرفة « العودة للتجسد » لاتعتمد ، لحسن الحظ ، عـــلى تذكر الحيوات السابقة ، أو رؤى الرائين seers ، أو أى مرجع آخر يمكن أن يكون موضع ـ

شك . وقانون الولادة الثانية يمكن أن نراه وهو يعمل من حولنا فى كل وقت مع تعاقب الأيام والليالى ، وبمرور الفصول الأربعة ، وفى كل شيء حى. إننا ، حيثما كنا ، فى كل مكان ، نرى الحياة والمادة تمران خلال فترات النشاط والخمول، فى الحركة والسكون ، حين الإقبال والإدبار ، عند الذهاب والإياب ، والاستمرار والتوقف ، النمو والفناء ، وقبل النمو مرة أخرى .

فهل هناك من سبب يقتضينا أن نفترض أو نتصور أن الإنسان مستثنى من هذا القانون العام ؟ . . وهو فى دورته الصغيرة إنما يقضى فترات منظمة بحالة لاشعورية ؟ . .

وهل لنا أن ندعى أن الإنسان الذى يستيقظ غداً إنما هو كائن يختلف تماماً عن الكائن الذى ذهب اليوم لينام ؟ . .

وحينما يتحرك كل شيء ضمن حدود هذه الدورات المنظمة متقيداً بقانون « العالم الكبير»[1] mocrocosm ، يمكننا أن نكتشف ، إلى حدما ، أعمال « العالم الصغير» [2] microcosm .

« إن المقصود بالولادة الثانية ليس الرجوع إلى هذه الأرض بأنفسنا الحالية لأننا لانتجسد ثانية كما كنا . وهذه الشخصية بميزاتها الجسمية والنفسية والعقلية وبالإسم الذى أطلق عليها والسلالة والعقيدة والجنس والنظرة إلى الحياة ، لاتعود ثانية . وطبقاً للحكمة القديمة يطرح بالموت الجسم الوقتى الترابى ولايبعث ثانية . ويحدث نفس هذا الأمر مع الجهازين النفسى والعقلى[3] . وما ينظر اليه المرء هنا على الأرض على أنه روحه ، ليس فى حقيقة الأمر روحه الحقة ، بل إن هذه

---

(١) العالم الكبير هو الكون المنظور ويطلق عليه أيضاً : (العالم الخارجى) .

(٢) العالم الصغير هو الإنسان بوصفه صورة مصغرة عن العالم الكبير، ويطلق عليه أيضاً : (العالم الداخلى) .

(٣) أنظر كتاب The Mystery of Death & After Death تأليف أنى بيزنت تأليف جيوفرى هدسن .

متميزة تماماً عن الجسم المادى ولو أنها تحتله . وهى لاتموت لأنها خالدة وأزلية بعكس الجسم ، فإن مصيره إلى الفناء لأنه فان بطبيعته . وبسبب أن له بداية فإنه يتعين أن تكون له نهاية . أما الروح فإنها أزلية وخالدة لأنه ليس لها بداية ولن يكون لها نهاية.

«وطبقاً لعقيدة العودة إلى الحياة فإن الذى يعود هو النفس الإلهية أو النزيل الإلهى الخالد بداخل الجسم ، لا الجسم الفانى أو الإنسان الجسمانى بمشاعره وأفكاره العابرة . ولهذا فإننا حينما نعترض على الولادة الجديدة بمقولة : « لست أرغب العودة » يجب أن نضع نصب أعيننا أنه لايجوز لنا أن نخشى شيئاً . فنحن كما نفهم أنفسنا عادة لانرجع ، بل إن الذى يرجع إلى الحياة هو الجوهر الكامن أو الروح بخلالها الفردية المكتسبة » (١) .

هل هناك خطأ فى الفهم :

ولقد أصبح مقبولا لدى الكثيرين ، أن نظرية الولادة الثانية لها جذورها التى نبتت فى الديانة الآرية (٢) ARYAN . ومع ذلك لايزال هناك من يقرر أن الكتب الهندية القديمة لاتشير إلى « العودة التجسد » كما تفهم اليوم وكما تعلم .

ولعل هذا ناشىء عن خطأ فى الفهم أو بسبب سوء التفسير ، أو تحريف المعنى للحقائق الروحية التى جاءتنا عن كريشنا أو بوذا .

وهنا نذكر ملاحظة أبداها لنا صديق وهى « أن عقيدة البوذيين إنما هى فى رجعة الصفات والخاصيات » .

وفى الواقع أن أولئك الذين يؤمنون بعودة التجسد يضطربون أحياناً عندما

---

(١) عن كتاب « العودة الى الحياة » ص ١٦/١٥

(٢) آرى ، هندى أوروبى : متعلق بأسرة اللغات الهندية الأوروبية التى تحدرت منها معظم اللغات الأوروبية .

يلجأون إلى أحاديث بوذا ويقرأون له عن « الولادة الثانية » ثم عن إنكار وجود الأنا ، أى المظهر الذاتى للنفس أو الذات .

وإذن فما هذا الذى يخضع للولادة الثانية ؟

يقرر أحد العلماء الصوفيين أن « الظاهر ـ المادى ـ إنما هو تعبير عن الداخل ـ الروحى ـ ، وأن الأرض هى مرآة ملكوت السماوات .. وأن العالم المحسوس (١) لا تتكرر فيه المظاهر الخارجية . ذلك لأنه لا يوجد أى تشابه أو تماثل بين مخلوق وآخر على أى وجه من الوجوه وفى أية ناحية من النواحى .. إن جميع مخازن الغلال فى العالم إذا ملئت عن آخرها قمحا ، فلن تجد فيها حبتين متشابهتين تماما .. » .

ورجعة المخلوقات المادية باعتبارها نوعا،ونعنى بذلك رجعة الصفات ، واضحة غاية الوضوح . فالأشجار التى كانت تحمل بين أغصانها الورقة الكثير من الزهر والثمر والفاكهة منذ سنين طويلة سالفة ، سوف تحمل فى مستقبل الأعوام نفس الأغصان والثمار والفاكهة.وعن طريق تركيب عناصر جديدة يعود النوع.

إن الروح كائن معنوى (لا مادى) لا يدخل ولا يخرج ، وإنما هو متصل بالجسد كصلة الشمس بالمرآة ..

«وانتقال الروح من جسم إلى جسم مثل انتقال النار من شمعة مشتعلة الى شمعة أخرى إلى ثالثة وهكذا . فالشمعة نفسها لا تنتقل إلى شمعة .. وإنما نارها أو نورها .. وكما تتضارب كرات البلياردو .. إن واحدة تدفع أخرى فتندفع ، وإن الكرة لا تنتقل إلى داخل الكرة الأخرى .. وإنما الحركة فقط .. » (٢)

فإذا كان الأمر كذلك ، واستطاعت الروح بعودتها إلى هذا العالم المادى أن

---

(١) المدرك بالعقل أو بالحس .

(٢) عن مقال للأستاذ أنيس منصور بعنوان « أيها الإنسان أنت معجزة » .

تمر خلال الدرجات وتصل إلى الكمال المثالى ، فقد يكون من الأفضل أن يطيل الله حياة الروح فى العالم المادى إلى أن تحصل على الكمالات وتنال ما تبتغى من النعم الإلهية، ولن يكون ضروريا لها أن تذوق كأس الموت، أو أن تحرز حياة ثانية.

إن العوالم الإلهية مطلقة ، سرمدية ، لا نهاية لها ..

والإرتقاء لا تحده حدود ، ولا تقيده هذه الحياة الفانية بقيود ..

والعوالم الروحية لا تحدها حدود هى الأخرى ، ولا تقيدها أية قيود ..

و«الرجعة» كما تحدثنا عنها الكتب المقدسة ليست عودة الجوهر أو الماهية essence ، وإنما هى عودة الصفات qualities..

وعودة يسوع لا تعنى عودة شخص يسوع الفعلية ، وإنما هى عودة كمالاته.

ولقد جاء فى الإنجيل أن يحى بن زكريا هو إلياس .. وهذا لا يعنى بحال العودة الفعلية لشخص إلياس ، ولكنها بالأحرى كمالات إلياس وصفاته ظهرت فى يحى .

ولقد ظل اسم «إلياس» مدة طويلة لغزاً عند المستشرقين حتى جاء «نولدكه» فرجح أنه هو «أندرياس». ويذهب مؤلفو المسلمين الى أن أندرياس هذا هو أخنوخ المذكور فى التوراة ، وهو شخص كتب له الخلود (١) .

ولقد قيل أيضا إن إدريس هو عين إلياس والخضر ..

---

(١) لأخنوخ المذكور فى التوراة ثلاث صفات بارزة تتردد فى القصص الإسلامية المصوغة على مثال القصص فى (سفر التكوين ، الإصحاح الخامس ، الآية ٢٣-٢٤) ، وهى: ١- ورعه ، ٢- تعميره ٣٦٥ سنة على الأرض، وفى هذا ما يشير إلى أنه كان بطلا من أبطال الأسطورة الشمسية ، ٣- رفعه إلى السماء . واسم (أخنوخ) نفسه - الذى توحى حروفه معنى (الملهم) - قد أثر أيضا على ما يرجح فى تكوين القصص التى حيكت حوله .

وذكر بعض المفسرين أنه كان سبط شيث وجد أبى نوح عليه السلام .

وقد أشار إليه ابن عربى فى الفص الثانى والعشرين من كتابه «فصوص الحكم» باسم إلياس ونسب إليه الحكمة الإيناسية.

ويذهب القفطى واليعقوبى وابن أبى أصيبعة وغيرهم من الكتاب المسلمين ـ متبعين فى ذلك بعض المصادر العبرية ـ إلى أن إدريس الوارد ذكره فى القرآن هو هرميس إله الحكمة عند المصريين واليونان ، وأنه هو أيضا « أخنوخ » النبى اليهودى الذى عاش فى صعيد مصر قبل الطوفان، وجاب أقطار الأرض باحثا عن الحكمة ثم رفعه الله إليه(١).

ويقول ابن عربى : إن إدريس كان له نشأتان: نشأة سماوية لما رفعه الله إلى السماء وأقام روحانيته المجردة فى فلك الشمس ، « راجع الفص الرابع » ، ونشأة عنصرية أرضية عندما نزل إلى الأرض وأرسل إلى بعلبك باسم النبى إلياس .

وفى كلام ابن عربى فى هذه المسألة وصف دقيق للمعراج الروحى والترقى الصوفى (٢) .

قانون الكارما :

إن قانون الكارما ، هو قانون السبب والنتيجة ، أو العلة والمعلول ـ أى حصاد مابزرناه أو زرعناه . وهذا القانون ليس صعباً ولا جافاً ولا عسيراً ، ولكنه دقيق إلى أقصى حدود الدقة . ويمكن رؤيته أيضاً وهو يعمل من حولنا بشق السبل وبمختلف الطرق ، فى كل وقت وفى كل حين .فهل يمكن أن يقطع الفرد بأن الأفعال تتوقف فجأة عند إيجاد أو إحداث مستقبل بسبب موت

---

(١) القفطى جـ ١ ص٢ ، اليعقوبى جـ ١ ص١٦٦ ، ابن أبى أصيبعه جـ١ص١٦

(٢) عن (فصوص الحكم) تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى ، طبعة بيروت ص ٢٧٣ / ٢٧٤

الجسد الفيزيقى ؟ فكما أن هناك أموراً كثيرة تحدث لنا فى الحاضر تكون ناشئة عن أسباب غير واضحة فى هذه الحياة ، فإنه يبدو من الواضح البين أنها لابد أن تكون لها جذور فى حيوات سابقة .

ثمة شىء واحد يمكن أن نتحقق منه ونقتنع به ، هو أنه ليس هناك أى شىء يحدث بالصدفة ، وكل ما يواجهنا أو يصادفنا إنما هو نتيجة أفكارنا وأفعالنا فى الماضى . والمرء إذا لم يكن يحب بيئته وحالته العامة فليس هناك إلا شخص واحد هو المسئول الذى يوجه إليه العتب واللوم ، هو الشخص ذاته .

وحياتنا وبيئتنا إذا لم تكن وفق رغبتنا فنحن ، على الأقل ، الذين خلقناها وليس غيرنا . . وفى هذا المعنى تقول مدام هـ.ب. بلافاتسكى :

« إن قانون الكارما الفريد ، الأبدى ، السرمدى ، الثابت ، إنما هو تناسق مطلق فى عالم المادة كما فى عالم الروح . فليست الكارما هى التى تثيب وتعاقب ، ولكننا نحن الذين نحسن لأنفسنا ونسىء إليها حسب أفعالنا وأعمالنا مع الطبيعة، سواء كنا ملتزمين بالقوانين التى يتوقف عليهـــا ذلك التناسق أو منتهكين إياها » .

إن ذاك الذى قضى حياة صالحة ولم تقلقه كارما الماضى ، ليس له أن يخشى الموت المفاجىء ولا أى شىء آخر مما يصيب الإنسان على الرغم منه وعلى الرغم من أولئك الذين يحبونه .

والشخص الذى لم يكن له عمل ظالم ، أى لم يظلم ولم يفتر ، لا يمكن بأى حال أن يظلم أو يفترى عليه . وكل هذا تفسير للسبب الذى يحتم علينا أن نصلح العالم بإصلاح أنفسنا ، « فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

إننا نؤيد فكرة « الجزاء » ، تلك الفكرة التى لا محيص عنها لتبرير الإيمان بسيادة الخير فى العالم ، والثقة بالعدل الإلهى الذى يقتضى عقاب المسىء وإثابة المحســـن . .

كما نوافق على أن « الثواب » الذى يستحق أن نجاهد فى سبيله ، والذى يستأهل منا أن نسعى إليه بقدر استطاعتنا هو : **الوصول الى رحاب الحق سبحانه، والقرب منه ، والتقرب اليه** . . أى صلتنا الوثيقة بالله تعالى . وإقامة حالة من التناسق وطيدة يتحقق فيها على الأرض الجزء الخالد الإلهى من الإنسان ، أى الأنا الحقيقية - **الذات** .

إن الدمار الذى يحل فى بعض أجزاء العالم ، وما نتوقعه من المزيد من هذا الدمار فى أجزاء أوسع فيما نسميه بحضارتنا ليس نتيجة لأعمالنا فقط فى الماضى ، ولكن لسلوكنا فى الوقت الحاضر . وتلك الكوارث التى من هذا القبيل يمكن أن تنشأ إذا ما شكلت جزءاً من الكارما العالمية ، وهذا فى أيدينا .

إن الأفكار السلبية كالبغض والغيظ والاستياء والخوف والتشاؤم إنما تدنس الجو وتسممه ، وتجلب لنا العلل والأمراض ، وتعرضنا للحوادث والنكبات ، بالإضافة إلى أنها تعطل نمونا الروحى ، وتعوق ترقيتنا الروحية . أما الأفكار الإيجابية كالحب ، والسلام ، والسكينة ، والألفة ، والتوافق ، والتفاؤل ، والرحمة ، والحنان ، فهى تحمينا من الأمراض وتجنبنا السقوط فى مواطن الزلل ، وتساعد كل كائن حى حولنا مدى الحياة .

ولقد جاءنا من العالم الآخر أنه حينما يكون فى هذا العالم عدد كاف من الناس ممن تنبعث منهم اهتزازات طيبة ، فإن المناخ سيتحسن ، وفواكه الأرض ستزداد حلاوة ونكهة ، وستختفى الأوبئة والآفات ولن يبقى لها أى أثر . وكجزء من قوة الكون الخالقة فإن الاهتزازات المتجمعة من جميع الناس ومن الحيوانات الراقية هى التى تصنع عالمنا .

إننا اليوم محكومون بقوة القضاء والقدر لفترات طويلة تماثل تلك الفترات من الحرب الأخيرة مع أن وضعنا الحالى يستطيع أن يقوم بعمل قدر كبير نحو تغيير المستقبل وتكييفه . وسواء أكان « العالم المتمدين » كما نسميه ، سائراً إلى

« زوال » و « فناء » أم لا ، فإن أمره متروك كلية لأنفسنا . فهو إنما يتوقف على سلوكنا وتصرفنا الحالي .

وهذا ما يجعلنا نعترض على كثير من الأشياء الشاذة كعقوبة الإعدام مثلا ، والعقوبات البدنية ، وصيد الحيوان ، ومصارعة الثيران ، وتشريح الأحياء (للأغراض العلمية) ، والسخرة ، والقسر والقسوة ، وغير ذلك من الأمور التي تنطوي على العنف . فالعنف يولد العنف ، وبقدر ما نتمادى في مثل تلك الأشياء أو نمارسها في الحاضر ، تكون جزءاً من حيواتنا في المستقبل . ولتوضيح هذا بأسلوب بسيط نقول : إذا كان الإنسان لا يريد أن يفنى ماديا على الأقل ، في السنوات المقبلة ، فعليه ألا يفعل شيئاً في حيـــاته يسبب له ما لا يرتضيه لنفسه من نتائج .

تقدم في العوالم الروحية :

إن أولئك الذين يندّدون بمذهب العودة للتجسد وينكرونه ، يدعون في الغالب أن التقدم الإضافي ، والتكفير عن ذنوب الفرد وأخطائه ، يمكن أن يتم في عوالم « روحية » وليست هناك من حاجة إلى العودة مرة أخرى إلى هـذا العالم . في حين أنهم يعلمون أنه لم تقم أية محاولة لشرح التفاوت الجسيم في هـذه الحياة المفروض فيها أنها واحدة . ويبدو أن هؤلاء الناس لم يخطر على بالهم قط أنها حالة عجيبة بالفعل ومسألة تثير قلقاً وجدلا عامين ، ذلك أن شخصاً ما يسمح له بمدة قدرها مائة عام للحصول على « تجربة فيزيقية » في حين أن شخصاً آخر لا يحتاج إلا لخمس سنوات فحسب . وإلا فلماذا يولد أحد الناس غنيا يمتاز بكل ما هو حسن وتتاح له كل المزايا ، ويولد الآخر فقيراً معدما لا يملك من حطام الدنيا شيئا . وإذا احتاج الأمر للحصول على هذه التجربة سبعين عاما ، فلماذا يتجاوزها البعض ؟ ولماذا لا يعيش البعض الآخر عشر هـذه المدة ؟ . ثم ، لماذا نجد في بعض الناس استعدادات شتى مجردة عن الخواطر التي اقتبسوها

بالتعليم والتلقين والتهذيب ؟ ولماذا نجد فى بعض الناس أفكاراً غريزية لم يتلقنوها من أحد ولم يرفق إليها غيرهم ؟.

لماذا نأنس فى بعض الفتيان من أرقى الطبقات وأعظمها فى الأمم المتمدينة ومن ذوى الحسب والنسب ميولا ساقطة وخيمة يعجز التهذيب عن استئصالها، وفى بعض فتيان من الوضعاء ومن أحط الطبقات بل ومن الرعاع ، عواطف شريفة ، وميولا خيرة ونزعة إلى النفع والخير ؟

ما هى ضرورة وجود المتوحشين قبل المتمدينين ؟ والهمجية إزاء التمدين والعمران ؟ وإذا أخذت طفلا من أطفال الهمج فى أواسط أفريقيا وربيته فى أشهر مدارس أوروبا ، هل هو بعد ذلك يصل إلى درجة أرسطو أونيوتن؟ .

ليس ثمة مصادفة (١) فى الطبيعة . وإنما كل شيء يتحرك ويدور ويعمل حسب نواميس ثابتة ومحددة . وكل ما يمكن أن نقوله إزاء هذه الأمور المحيرة التى يثيرها الذهن العاجز ، وقد لا يجد فى عجزه أى جواب مقنع عنها . . أنها أمور داخلية تتوقف على الحالة الروحية أو إن شئنا الحالة الوجدانية التى هى مملكة السماء الحقة فى الإنسان . « ملكوت الله بين جوانحكم » .

وإذا كان الإنسان ، بعد هذه الحياة غير المقسطة ، غير المنصفة ، يستطيع أن يكفر عن سيئاته ويحرز تقدما فى « كوكب روحى » spiritual sphere ، فلماذا كان من الضرورى له دائما أن يولد بجسد مادى ؟ .

---

(١) المصادفة لا تجرى على نظام ، ولا ترمى إلى نظام . ومن هذا الوجه تكون المصادفة نفيا للقانون وليس نفيا للعلة . إذ أنها لا تعنى أن الأحداث تخرج من العدم ، بل تعنى فقط أن الأحداث تحدث بفعل علل غير مطردة ، ولا متسقة فيما بينها .

ويطلق أرسطو « المصادفة » على الأمور الطبيعية ، أى تلك التى تصدر عن الجماد والحيوان والطفل ، وهم جميعا عاطلون من الاختيار « المعجم الفلسفى » .

يبدو أن أولئك الذين يتمسكون بإصرار بهذا الاعتقاد ويتشبثون به هم الذين لايستسيغون أو لا يميلون إلى تجسد مادى آخر ، والذين يأملون فى أن يكون التقدم سهلا للغاية فى كوكب لا يحتاج الأمر فيه إلا إلى جهد يسير . والواقع فعلا ، أن الأعمال المادية إنما يكون محصولها نتائج مادية ، وما زرع فى جسد أرضى لا بد أن يحصد فى جسد مماثل . والفترة التى بين الموت وبين الولادة الثانية ، على الرغم من أنها فرصة مناسبة وذات قيمة للمماثلة والراحة هى فى الواقع لا تعدو أن تكون فترة استراحة قبل العودة إلى استئناف البدء من جديد فى بيئة مادية ومتابعة خيوط الماضى مرة اخرى .

يقول الأستاذ جيوفرى هودسون فى كتابه القيم «العودة للتجسد : حقيقة أم خيال» (١) :

إن دافع الروح للتعبير عن الذات فى أشكال مادية بقصد التطور لن يكون من الخارج بواسطة النفس الروحية , بل إن الدفع الداخلى لا الإجبار الخارجى هو الذى يبدأ عملية العودة إلى الحياة . والمعرفة الكاملة لهذه الحقيقة هى أسمى نظرة يمكن أن ننظر بها إلى هذه الحياة ، وعلى قبولها عمليا تتوقف رفاهية الإنسان وسعادته منها . ولهذا ترى النفس الروحية للإنسان وهى تتحين الفرصة عن طيب خاطر للعودة إلى الحياة لبلوغ زيادة فى التقدم التطورى الذى تزوده بها الاختبارات الأرضية . فإذا استحثت الإنسان هذه الشعلة الذاتية فإن الروح تجد فى سيرها صوب الكمال وتهبط فى شكل مادى جديد . » (٢)

وهناك أيضا من بين أولئك الذين أيدوا عودة التجسد واعتبروها كحقيقة مسلم بها ، نجد كثيرا ممن لم يفهموها كقانون عالمى . ونجد كثيرا غيرهم ممن

---

(١) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية الأستاذ زكى عوض بعنوان «العودة الى الحياة» .

(٢) عن الترجمة العربية ص ١٧ .

اجتذبتهم أو استمالتهم واحدة أو أكثر من المظاهر الزائفة التي أشرنا إليها آنفاً .

أما بالنسبة لهؤلاء الذين يقفون موقف المعارضة ، فإن الغالبية العظمى منهم يبدو عليهم الجهل التام بما يتعلق بالمعنى الحقيقي لهذا المذهب وتطبيقه . بل ربما كان البعض أيضاً قد صدتهم ادعاءات أولئك الذين يقتنعون بهـــذه العقيدة ويسلمون بها .

وحتى نقوم بمسح شامل عام لموضوع خطير كهذا ، رأينا أن نلم به من جميع نواحيه بإسهاب واستفاضة في فصول هذا الكتاب . فموضوع « العودة للتجسد » في رأينا يؤكد لنا أن قانـــون الولادة الثانية وقانون الكارما يجب أن يقوما بمهمتهما بحالة معقولة ومدركة بالعقل ، والحس ، وبدون الخيال الجامح ، والوهم ، والهراء ، وغير ذلك من السفاسف التي سببت النفور وجلبت الاشمئزاز لكثير من المفكرين الأجلاء .

هل هناك تعارض ..

.. « بين الروحية » و « العودة للتجسد » ؟

يقول بعض المشتغلين بالروحية أن مذهب « العودة للتجسد » يتعارض مع « الروحية » .. ويقولون : « إن هذه النظرية ، أو العقيدة ، أو المذهب ـ كيفما كانت تسميتها ـ إذا كانت ستستمر على الحصول على هذا التأييد المتواصل من المقتنعين بها ، فإنها ستقضى حتما على الحركة الروحية » .

فهل نفهم من هذا أن هناك ازدياداً أو إقبالا على تأييد هذه العقيدة ؟ .. وإذا كان هناك إقبال عليها وترحيب بها فهل هذا يجعلنا نخاف من النتيجة ؟ الجواب على السؤال الأول سيكون بالإيجاب ، كما نعتقد ..

أما الجواب على السؤال الثانى فهو : « أننا لا نرى أى داع لذلك الخوف الذى يتفشى فى بعض المعسكرات الروحية فيسلبها القدرة على الرؤية الصافية للتناغم المتكامل بين المعتقدين »

ولسنا ، للإنصاف ، نعمم فنقول إن هذه الأوجاس تشمل المعسكر الروحى كله ، ولكن هناك فئات متزمتة فيه لها نشاطها ونظمها ونشراتها المتسمة بروح الرفض والتباعد والتنديد بنظرية العودة للتجسد .. ومن هذه النشرات نشرة بعنوان : (لماذا لا نقبل العودة للتجسد ؟) . Why We Do Not Accept Re - incarnation - قام بتوزيعها على نطاق واسع « الإتحاد العالمى الكبير » . وقد جاءتنى نسخة منها (كدعوة لى لدراستها والتعليق عليها) . وفيما يلى ترجمة لما جاء فيها من بيانات وحجج ، أضعها بين قوسين كبيرين ، وأعقب عليها بملاحظاتى :

[إن العودة للتجسد تتنافى مع الاتصال الروحى .. فالروحيون يعتقدون أنه ـ من نعمة الله علينا ـ إذا كانت الحالات الملائمة يمكن أن تكون معدة ومهيأة ،

فإن الفراغ بين هذه الدنيا والأجواء الروحية يمكن أن يعد بمثابة جسر بينهما . وأن الأرواح التى تحررت من الجسد تعود إلى المستوى الأرضى وتتصل بنا . ولكن حسب عقيدة العودة للتجسد فإن كثيراً من تلك الأرواح يحتمل أن تكون قد برزت إلى الوجود فى حياة أخرى على الأرض ، وعندئذ عليها أن تتوقف عن العودة إلى الحالات الخاصة بمن كانوا يحبونهم فى أثناء طبيعتهم (وجودهم) البشرية (حياتهم بالجسد) .. فليس هناك روحى صادق يمكن أن يتقبل نظرية العودة للتجسد أو يرحب بها ، وإلا فإن المعرفة الخاصة بعودة الروح تبرهن على بطلانها وزيفها] .

من المؤكد أن الروحى الذى يؤمن بالعودة للتجسد يرفض بشدة هذا البيان الذى يقرر أن العودة للتجسد تعنى أن أرواحاً كثيرة يمكن أن تتوقف عن العودة إلى الاتصال بمن كانوا يحبونهم قبل أن يتركوهم على هذه الأرض .

وهو إذ يعتقد بأن الحب حقيقة جوهرية فى كل بقعة من هذا الكون ، فهو بذلك إنما يؤمن ، مهما تكن الظروف ، بأنه حيث يوجد الحب الحقيقى ، أى حب الناس بعضهم لبعض ، يمكن الأرواح أن تنفصل من شخص إلى آخر ..

وإذا كان هذا « الحب الحقيقى » (ويجب أن نضع هذه الكلمات موضع التأكيد والتشديد لأن كثيراً مما يحسبه الناس حبا حينما تواجه القضية بالعدل والإنصاف ، وبدون فكرة عاطفية زائفة ، لا يعدو فى الحقيقة أن يكون أنانية وحبا للذات وحرصاً على المصلحة الشخصية ، وبخاصة من غير اعتبار لمصالح الآخرين) قد شعر به شخص محروم أو أحس به مشكول تجاه الروح التى انتقلت من هذه الحياة إلى العالم الآخر ، فإن هذه الروح ستظل على صلة بهذا الشخص المحروم أو المشكول .

وسواء كانت الروح لن تتجسد قبل أن يلحق بها من تحب ، أو اذا كانت حاجتها ماسة إلى سرعة إعادة التجسد ، فهى إذن ستتجسد فى مثل تلك الظروف وتلك البيئات التى تتحقق فيها رغبتها من حب صديقها ، ويتم فيها رضاها .

وعندما تكون احتياجات كل من هـذه الأرواح تنطوى على مصلحة فإن الشخص المنتقل الى العالم الآخر سيظل فى علم الروح إلى أن يلحق به صديقه هناك .. فليس هنـاك انقطاع أو انفصال عن الحب . وبذلك فالعـودة للتجسد لاتتعارض مع الاتصال الروحى ..

[إننا ننظر بعين الاعتبار — كجزء من تعاليمنا — إلى أن الام يجب أن يكون لديها ضمان ثابت بأن الجسد الدنيوى لطفلهـــا الذى جاءت به إلى الدنيا الفيزيقية والذى أغدقت عليه حبها لايقيم (لايسكن) فى شخص يكون قد أرتكب أعمالا سيئة فى أثناء وجوده السابق على الأرض] .

ان الذين يعتقدون بالعودة للتجسد لا يمكن أن يعطوا مثل هذا الضمان المحدد « لجميع الأمهات » . فكلمة « أم » لاترمز بالضرورة الى « الشخص الطيب » .

والأمهات، مثلهن مثل باقى البشرية ، منهن الطيبة ، ومنهن السيئة ، ومنهن الوسط بين الطيبة والرديئة — لسن فقط كأمهات ، ولكن كأشخاص بذواتهن ، وطباعهن ، وأخلاقهن ، وصفاتهن الخاصة ، والضمان بأن طفلا ما لن تكون له ميول سيئة أو اتجاهات رديئة ، يمكن أن يعطى فقط الآباء الذين ليست حيواتهم وأعمالهم وأفكارهم كذلك كيما يجتذبوا لأنفسهم ذاتيات النوع .

هذا الى أن بعض الأمهات تنتابهن حالة جنون يفقدن فيها وعيهن ويقتلن أطفالهن الصغار بسبب خلاف بينهن وبين أزواجهن.

ولقد سمعنا عن آباء قتلوا صغارهم انتقاماً من زوجاتهم. فما ذنب هؤلاء الصغار الأبرياء الذين لم تتفتح أعينهم بعد على نور الحياة ؟

وهذا هو الحطيئه الشاعر المخضرم يقول فى أمه(١) :

جزاك الله شـــراً من عجوز ولقـاك العقوق من البنينـا

(١) عن « ديوان الحطيئة » الجزء الأول ص ١٠٢

تنحى فاجلسى منا بعيداً أراح الله منـــك العالمينا
أغربالا إذا أستودعت سراً وكانوناً عـــلى المتحدثينـا
حياتك ماعلمت حياة ســــوء وموتك قد يسـر الصالحينا

ومذهب العودة للتجسد يضع المسئولية بكل قضاياها، وفى كل الأمور وحيثما تكون بكل عدل وإنصاف .

وعند الولادة ، يأتى الشىء شبيهاً لشىء وعلى شاكلته ، فيما يتعلق بالخاصيات والسجايا الروحية . وهذا صحيح أيضاً بالنسبة للاتصال الروحى ، وفقاً لنوع العقل والروح الذين يذهب بها الشخص لوسيط . سيقع فى نطـــاق أرواح من نفس النوع ، حتى إذا حضرت أية ذاتية شريرة إلى الشخص ، فعليه أن يختبر الحالة التى عليها عقـــله وروحه . وهذا مصداق للمثل القائل : « شبيه الشىء منجذب إليه ».

والآباء الذين يعيشون حياة طيبة يكتنفها الحب الصادق ويحوطها الحنان ، ليس لهم أن يخافوا من أن يولد لهم طفل له ذاتية شريرة .

« وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً . فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما . وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ، وما فعلته عن أمرى » .

(سورة الكهف ٨٠ - ٨٢)

[إن مذهب العودة للتجسد كثيراً ماتعود إليه أسباب جميع أنواع التخمينات والمخاوف من إمكانية حدوث القسوة والقسر والوحشية كالتى أرتكبت فى الحرب الأخيرة ، وتكرارها فى زمن مقبل لتهيىء للمجرمين والآثمين والمذنبين فرصة « سداد » ديونهم الكارمية] .

يبدو أن الكاتب لا يأخذ هذه التخمينات والمخاوف على علاتها ، وأنه لا يقبلها كتفسيرات حقيقية لمذهب العودة للتجسد . ولكنه مع ذلك لا يدرى أن مثل هذه

المعتقدات لايلتزم بها القائلون بعودة التجسد ، المراعون لحقوق الآخرين ومشاعرهم ، لأنها جاءت عن فكرات مبتذلة ، فجة ، أضيفت إلى هذا المذهب .

أما الذى يقوله المتمون لمذهب العودة للتجسد فهو أننا مادمنا نزرع فلابد من أننا سنحصد ، فى هذه الدنيا . ليس لأن الفرص مهيأة لهذه الغاية ، وإنما لأن هذا هو قانون الخليقة . .

وهذا لايعنى أن شخصاً ما إذا أوقعنى فى مكروه أو أنزل بى عقوبة قاسية ، فإنى بالضرورة سأوقع به مكروها بنفس القدر وبنفس الدرجة فى رجعة مستقبلة . إننى وإن فعلت ذلك ، إنتقاما أو أخذا بالثأر ، فلا أكون «ماسحاً» أو مسدداً الدين ، ولكنى سأصبح خالقاً لـ (كارما) خاصة بى . فتأتى « كارماى » بسبب رغبتى فى الإنتقام ، رديئة ، لا تقل فى رداءتها عما كانت عند الشخص الذى أقوم بتعذيبه .

لا .. إن المذهب يقول إن الشخص الذى يؤذى غيره متعمداً يجب أن «يعوض» عن قسوته ، التى كانت شيئاً مختلفاً تماماً .

وعندما تعود روحان معاً ، إحداهما ظالمة والأخرى مظلومة ، فإن الظالمة ربما تجد فى طبيعتها أنها مدفوعة لخدمة الروح المظلومة والعمل على مساعدتها بوسيلة أو بأخرى كيما تكفر عن سيئاتها وعما اقترفته من آثام . وقد يكون فى استطاعتها أن تتقبل الأذى طوعاً وتتحمل الألم والعذاب عن طيب خاطر (كما يفعل ببساطة بعض الناس) بدون تأثر بالشعور الشخصى ، وبصرف النظر عن أى فرد بعينه . ويكون بهذا التصرف قد طرح عن كاهله تدريجياً مايحمله من «كارما» سيئة ، ويمهد لنفسه طريق التقدم والارتقاء .

[لماذا يتراءى دائماً للمؤمنين بالعودة للتجسد أنهم متأكدون وعلى ثقة من أنهم على مثل ماكانوا عليه من قبل فى وجود سابق . ولماذا يعتقدون دائما بأنهم كانوا شخصيات عظيمة , أمراء هنود وأميرات وملوكا وشعراء وفنانين ، الخ . ؟]

والجواب على هذا هو أن الناس الذين يؤمنون بالعودة للتجسد لأنهم على ثقة (وكثيراً ماتجيء هذه الثقة وهذا التوكيد عن طريق وسطاء) بأنهم كانوا فى حياة سابقة كليوباتره أو الاسكندر الأكبر ، إنما هم مخدوعون وعلى درجة كبيرة من السذاجة إن لم يكونوا محتالين.

إن المؤمن الصادق بالعودة للتجسد لايهمه شيء من هذه الأمور . ويقول إن أحداً لايعرف ، بمعلوماته الخاصة ، ماذا كان فى حياة أو حيوات سابقة «لأنه لايستطيع معرفة ذلك فى أثناء تجسده » .

إنه لايستطيع ذلك لأن المخ الذى كان يحتفظ بمعرفة حالة المرء فى حياة سابقة قد تدهور وضمر . وهو يمتلك حالياً مخــاً مختلفاً ، لايحتفظ بالذاكرة . أو أن الذاكرة لاتكون متفتحة لتأثيره . لأن مذهب العودة للتجسد يسلم بالذات المركزية .. الذات الدائمة .. التى لاتزول أبداً .. الذات المدركة والمجربة .. المتعلمة بالاختبار .. وهذه الذات إنما هى على دراية ومعرفة بكل شيء يرتبط أو يشترك فى حيوات الشخص الماضية .. وهذه الذات هى « الصوت الباطنى » أو الوعى .. وهى التى تسيرنا كرها ، وتدفعنا الى مختلف أساليب العمـــل فى الدنيـا من ضروب النشـاط ممـا يبدو لنـا ، لغرابتـه ، أنه ضـد خيرنا وضد مصلحتنا (١) .

---

(١) صحيح أن هناك عدداً كبيراً من الحالات المسجلة لأشخاص ادعوا أنهم يتذكرون حياة أوحيوات سابقـة . وأعلن أن بعض هذه التذكرات الواضحـة تم اختبارها وثبتت صحتها . فإذا كانت هـــذه الحالات حقيقية وصادقة وخالية من الزيف ، فيمكن تفسيرها بأن المعرفة التى تقتنيها الذات الحقيقية « المركزية » بخصوص التجسدات السابقة يمكن ، فى ظروف معينة ، أن « تنطلق مصفاة » الى نوع خاص من ميكانيزم المخ .. ويحتمل أن تكون هذه الحالات هى الاستثناء الذى « يبرهن القاعدة » .

وتنتهى النشرة باشارة إلى « التعاليم المقدسة كما وضعها السيد المسيح » وأنها لا تتوافق مع فكرة « العودة للتجسد » .

ويكفى للرد على هذه الخاتمة لفت النظر إلى الفقرات الآتية فى العهد الجديد :

« وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغى أن يأتى أولا ؟
« فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتى أولا ويرد كل شىء
« ولكنى أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه
« حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان »

(متى ١٧ : ١٠ - ١٣)

« فسأله تلاميذه قائلين يامعلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى ؟
« أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه : لكن لتظهر أعمال الله فيه »

(يوحنا ٩ : ٢ - ٣)

إن المعنى اللفظى المقبول للقضية عند يسوع بدون ما اعتراض أو ارتياب فى الصيغة التى طرحت بهـا عليه تبين ، كما يقول المؤيدون للعودة للتجسد ، أنه (المسيح) يفحص القضية ويدرسها كمشكلة طبيعية تمـاماً بكل ما فى الكلمة من معنى .

وإذا كان هناك احتمال عند الفرد بأن يكون قد ارتكب خطيئة أو اقترف اثما قبل أن يولد، فلابد أن يكون له وجود سابق ،حيث لا يكون هناك مهرب أو وسيلة للفرار من المعنى الصريح الواضح المتضمن للقضية .

ونحن إذا تأملنا جيداً فى مفهوم تلك الفقرات من العهد الجديد نرى أنهـا تشير صراحة إلى أن مذهب العودة للتجسد يمكن أن يكون جزءا من الخلفية المقبولة للفكر والعقيدة فى تلك العهود ، ومن تجارب المرء وثقافته وبيئته السابقة فى تلك الأيام . . ومن المؤكد ، على أية حال،أن هذا المذهب له تلك الخلفية فى العهود المبكرة من الكنيسة المسيحية . ولنذكر ، على سبيل المثـال ، قول أفلاطون :

« إنها عقيدة مقبولة عموماً أن النفس تقترف الآثام ، وترتكب الموبقات ، وتكفر عنها ، وتقاسى العذاب ، وتتحمل العقوبة فى العالم غـــير المنظور ، ثم تتحول إلى أجسام جديدة تندمج فيها » .

وجاء بعد ذلك « بيان رسمى » ضد هذه العقيدة ، أصدره « مجمع القسطنطينية المسكونى » فى عام ٥٥٣ بعد الميلاد ينص على :

« إن كل من سيؤيد أو يشجع المذهب الخيالى القائل بالوجود السبق للنفس (أى وجود النفس أو الروح فى حالة سابقة قبل اتحادها بالجسد) ، والفكرة العجيبة الناشئة عن رجعتها ، فليكف عن ذلك وإلا فسيعتبر بغيضا وملعونـــا (كنسيا) » .

وهكذا كانت هـــذه العقيدة الدهرية [1] فى زمن من الأزمان مردودة ومضغوطا عليها ضغطا قويا متواصلا عن طريق قوى منظمة ورسمية ، وهوجمت بعنف واعتبرت من « المحرمات » ومن المبادىء غير القانونية . .

فإذا سأل سائل : « من يكون أولئك الأعضاء الذين كان يتكون منهم مجمع القسطنطينية حتى تكون لهم القوة أو الصلاحية الشرعية ليصدروا حكما أو قراراً بمقتضى السلطة عن مذهب « معترف به بوجه العموم » ؟ ..

فالجواب هو أنهم كانوا رجالا أمثالنا تماماً : غير معصومين من الخطأ ، ولهم نصيب من النقائص البشرية المشتركة ، العامة ، والأحكام المفرضة ، والتحيز ـ لا يختلفون فى كثير أو قليل عن غيرهم من البشر . .

وإذا سأل سائل آخر : « ماذا كانت المبررات التى دعت لهذا التحريم ؟ » ، فماذا يكون الجواب ؟ . .

كيما يستطيع الشخص أن يجيب على هذا ، لابد أن يكون ملماً كل الإلمام بمعتقداتهم الخاصة ، وأن يكون مطلعاً على آرائهم وأحكامهم السبقية . ومن ثم

---

(١) القديمة جداً .

يمكنه أن يكون رأيا ، ولو من غير بينة كافية ، لمبرراتهم ، من طبيعة حيـــاة مادية ، مترمتة ، كلها ترف ومن طراز شخصية تريد أن تضفى على نفسها المهابة ، ويساند هذه وتلك لاهوتية محترفة .

فلا شك إذن أن مفكرى العصور القديمة ، وبخاصة العصور السابقة للقرون الوسطى ، الذين أقروا فى « الأوبانيشاد » (١) بأن الإنسان يتجسد ، كانوا أقرب إلى أن يكونوا رجالا ملهمين ، وعلى الأقل فيما يتصل بالحقائق الروحية ، بقدر ما كان عليه أعضاء مجمع القسطنطينية من ضلال مبين .

---

(١) سفر من أسفار الفيدا الهندية .

النبوغ المبكر عند الأطفال

تطالعنا الصحف والمجلات من حين إلى آخر بأنباء أطفال موهوبين ذوى ذكاء خارق للعادة ، تبدو منهم بوادر معرفة أو مقدرة أعلى بكثير من مستوى غيرهم ممن يكبرونهم سنا . ومن رأينا أن هذه المسألة من الأهمية بحيث لا نقف حيالها دون أن نتصدى لها بالبحث والدراسة فهى من صميم الموضوع الذى نحن بصدده . .

يقول المشتغلون بالطب إن هذا النبوغ المبكر عند الأطفال إن هو إلا حصيلة غدد شاذة ، وبالأخص الغدة النخامية والغدة فوق الكلية وتلك الغدة الغامضة بالغة الصغر المسماة بالغدة الصنوبرية .

وليس من شك فى أن إفرازات هذه الغدد هى التى تسهم فى إنماء المقدرة العقلية أو فى إعاقتها ، حسب مقتضيات الأحوال . ولكن إذا لم يستطع العلم أن يبرهن بما لا يدع أى مجال للشك ، على أن غدد الأطفال المولودين حديثاً تحتوى على خلايا دقيقة جداً تحمل معها المعرفة الغريزية والتجربة ونزعات الأسلاف وميولها فى حقول الموسيقى والرسم والرياضيات واللغات ومجالات النشاط الأخرى ، فكيف يتسنى للعلم أن يعلل العجائب الظاهرة العارضة — المدركة بالحواس — عند الطفل فى أى سن والتى حيرت البشرية ؟ . . لقد أخفق العلم حتى الآن فى إثبات هذه الحقيقة . .

والتحدى الذى مازال معلقاً ، ولا يزال غير مبتوت فيه ، التعليل العلمى هو حالة « كريستيان هينيكين » Christian Heinecken الذى تكلم بعد بضع ساعات من ولادته فى مدينة « ليوبيك » عام ١٩٢١ م[1] .

---

(١) عن مجلة Prediction الانجليزية عدد أكتوبر ١٩٤٨ .

فكيف أمكن الطفل أن يعرف ماكان يريد أن يقول فى هذه الفترة الوجيزة من الزمن التى مرت منذ الولادة ؟

إن الأطفال يتعلمون الكلام عن طريق محاكاة آبائهم فى نطق الكلمات . ولكننا نجد أنه لم يكن هنالك أى وقت لكرستيان هينيكين سوى ساعات قليلة ليتعلم كيف يتكلم وكيف يستخدم لسانه وشفتيه وعضلات حنجرته فى تكوين الكلمات والتفوه بها والتعبير عما يريد .

لقد عرف الطفل البولندى كيف يتكلم . وبصرف النظر عمـــا يكون عليه جهازه الفمى من عظمـة وروعة عنـد الولادة ، فكيف يتأتى لفدد طفل له بضع ساعات من العمر أن تقوم بهذا العمل الفذ الذى لم يسبقه إليه أحد سوى سيدنا المسيح عليه السلام إذ تكلم فى المهد وكانت هذه إحدى معجزاته التى برأ بهـا أمه السيدة العذراء.

يقول بعض الروحيين إن حلا واحداً فقط يمكن أن يبين السبب ويعلل هذه المصادفة أو الحادثة الغريبة غير المتوقعة ، هى أن هذا الطفل المولود حديثا عرف كيف يتكلم وماذا يريد أن يقول قبـل أن يتعلم أى شىء فى الدنيا بعد أن تمت ولادته . فلقد كانت لديه معرفة سابقة . والإجابة الوحيدة على هذا — كما يقول بعض الروحيين — هى « العودة للتجسد » . أى أن فى جسد الطفـــل الصغير « كريستيان » نفساً كانت تعيش من قبل فى زمن مضى .

وهناك كثير جداً من الشواهد عن الأطفال الموهوبين تتحدى أيضاً أية نظرية تقول إن الغدد الشاذة هى السبب :

فى عام ١٨٧١ وفى إحدى قرى « ألمانيا » ولد « إنريكوس إينيكيم » ، وبدأ يتكلم بكل فصاحة فى الشهر العاشر من عمره ، وبعد شهرين تعلم أسفار موسى الخمسة، وفى الشهر الرابع عشر تعلم العهدين (القديم والحديث) ، وفى العام الثانى من عمره أتقن تاريخ الأقدمين ، وقيـــل إنه كان يعادل شيشرون فى فصاحته باللاتينية ويظهر غلطات فى مؤلفات أكبر أدباء فرنسا .

وغلام فى الثانية عشرة من عمره ، هو ابن الدكتور كلنش Dr Clench ، أجاب بدقة دقيقة لا تخطىء على أسئلة متعمقة فى القانون والتاريخ والجغرافيا والرياضيات وعلم الفلك . وعندما انتهى العلماء الأفذاذ من اختباره الخارق للطبيعة كان التعب والإعياء قد أصابهم أكثر مما أصاب الغلام الصغير .

والسير « لاندون ورنالد » كان يعزف على البيان قبل أن يتمكن من الكلام.

و « موزار » الموسيقار الطائر الصيت ، عزف على الأرغن وألف « المينيوويتات » (جمع « مينيووت » minuet وهى موسيقى لرقصة بطيئة وزينة) قبل أن يبلغ الرابعة من عمره . وفى الثانية عشرة من سنى حياته ألف روايته الموسيقية الأولى ، كما ألف لحنا كنسياً مشهوراً ، وقام بقيادة فرقة أوركسترا كبرى وهو فى هذه السن المبكرة . ولقد نوهت عن عبقريته مجلة « ريدرز ديجست » عدد فبراير ١٩٤٧ بقولها :

« وإذ ولد بإدارك فطرى للألحان ، وبنغم مطلق وباتزان منزه عن الخطأ ، فقد جاء موزار إلى العالم بموهبة كاملة يتعذر تعليلها. وهذا يبين كيف أن الطفل شرع فى الرابعة أن يدق على المفاتيح — طليعة البيان الحديث ، وفى الخامسه لعب على الكمنجة ، واشترك فى ست ثلاثيات مع والده وصديق له .

« وهذا الطفل قرأ وكتب النوتات قبل أن يقرأ الحروف . وتتسم مصنفاته التى قام بها وهو فى السادسة بالفواصل الإفتتاحية التى تميز موزار عن سواه . وهى جليلة وملهمة ودقيقة وقوية ، تقطع بأنها أعمال روح ملهمة ، وأنها لفنان منقطع النظير . . . »[1]

ومثل ذلك أيضا قيل عن عباقرة الموسيقى من أمثال (بتهوفن) الذى ولد

---

(١) عن « العودة إلى الحياة » ص ٤٧ عن « Reincarnation, Fact or Fallacy » ص ٤٧ و ٤٨

تحت سقف متواضع عند قرية «بون» التى أصبحت فيما بعد عاصمة لألمانيا الغربية. فلقد عزف فى حفلات عامة فى سن الثامنة ، وطبعت أول قطعة موسيقية له حين كان فى العاشرة من عمره ، وحين بلغ الثامنة والعشرين من عمره كان قد لحق أذنيه الصمم ومع ذلك فقد استمع الناس إلى سيمفونيته التاسعة بإعجاب شديد ألهبوا على أثرهـا أكفهم من التصفيق . لقد كان بيتهوفن حينذاك هو الوحيد المحروم من سماع لحنه الخالد .. يرى فقط أيدى تتقارب ولا يسمع إلا دوى الصمت فى عالم فارغ إلا من الحسرة .

و « شوبان » عزف على الكونشيرتو (١) أمام الجماهير قبل أن يبلغ التاسعة من عمره ،

و « شوبرت » كان يؤلف ولما يبلغ الحادية عشرة من سنى حياته . وغيرهم من أمثال « باجانينى » و « هيندال » ، و « ليست Lizt » ، و « بيزيه » ، فقد ظهرت عبقريتهم الموسيقية واضحة ولم يبلغوا بعد العاشرة من عمرهم .

إننى أكن لعلوم الطب كل تجلة وكل احترام لما لها من مآثر وأعمال بارعة تهدف إلى خير الإنسانية جمعاء . ولـكن هل يمكن أن يكون مثل هذا الحشد الكبير من المواهب الموسيقية وغيرها قد تقدموا إلى الملأ بأعمـالهم الخالدة ونشروا وعرضوا على العالم أجمع هذه القدرات والمهارات فى مثل هذه السن الغضة البضة كنتيجة لإفرازات من غددهم ؟

إن « وليم جيمس سيديز » طفل الولايات المتحدة العجيب ، أمكنه أن يقرأ ويكتب وهو فى الثانية من عمره . وحين بلغ الثامنة تكلم الفرنسية والروسية والإنجليزية والألمانية وبعض اللاتينية واليونانية .

والطفل البولندى « هينيكين » الذى تكلم بعد ولادته ببضعة ساعات ، أمكنه

---

(١) الـكونشيرتو Concerto ، لحن يعزف على آلة منفردة أو أكثر بمصاحبة الأوركسترا

أن يردد عبارات وفقرات من الإنجيل بعد بلوغه إثنى عشر شهراً من عمره .
وحين بلغ الثانية من عمره كانت لديه معلومات عظيمة وبارعــة فى الجغرافيا .
وتكلم اللاتينية والفرنسية فى الثالثة من عمره ، ودرس البحوث الفلسفية العميقة
فى الرابعة .

واللورد « ماكولى » كتب تاريخاً عالميا وهو فى السابعة من عمره ، لو كان
أنجزه شاب يكبره فى السن أربع مرات لاعتبرناه عملا بطوليا فذا .

والفيلسوف الإنجليزى « جون ستيوارت مل » ، تعلم اليونانية وهو فى
الثالثة من عمره ، حيث كان يسيطر على حياة الأطفال فى مثل هذه السن اللهو
واللعب بالدمى الصغيرة . ولقد كتب موضوعا عن تاريخ روما وهو فى السادسة
والنصف ، وقام بتدريس اللاتينية وهو فى الثامنة ، ووضع مؤلفــا عن تاريخ
الحكومة الرومانية وهو فى الحادية عشرة . (١)

و « جان فيليب باراتيير » ، أتقن اليونانية وهو فى السادسة من عمره فترجم
التوراة الربانية الكبيرة فى أربعة مجلدات ضخمة وأضاف إليها مجلداً آخر من
الحواشى والمباحث . وعندما بلغ السابعة كان عضوا فى « سنودس »(٢) إكليركى
فى برلين . وفى الرابعة عشرة من عمره حصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة .
ولقد كان يجيد التحدث باللغات الألمانية والفرنسية واللاتينية منذ كان فى الرابعة
من عمره .

و « باسكال » كان رياضيا فذا منذ طفولته ومراهقته ونشر وهو فى السادسة
عشرة من عمره مؤلفه العظيم « مفصل الأشكال المخروطية » .

ومثله « جوت دى بروزويك » الذى كان يحــــل المسائل الحسابية المعقدة
وهو فى الثالثة من عمره !! . .

و « فيكتور هيجو » حصل وهو فى الثالثة عشرة من عمره على جائزة الأكاديمية

---

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٦٩/٨/٥ (٢) مجمع رؤساء طائفة دينية .

الأدبية فى « تولوز » .

والعالم الانجليزى « توماس يونج » تعلم القراءة وهو فى الثانية من عمره، وكان يعرف وهو فى الثامنة ست لغات . ولما بلغ الـ ١٤ كان يكتب العربية واللاتينية والإغريقية والفرنسيه والإيطالية والعبرية والفارسية . (١)

والفتاة الهندية «شاكو نتالا ديفى» التى زارت كل دول العالم فأذهلت وحيرت أساتذة الرياضيات وعلماء الحساب فى حل المسائل الحسابية المعقدة بأسرع من عمليات العقول الالكترونية .

هذه الفتاة القادمة من بنجالور بالهند ، زارت القاهره فى يناير ١٩٦١ فى طريقها من دول أوروبا وأمريكا ، وزارت كلية العلوم فأدهشت كل أساتذة الرياضة ، كما عقد لها فى نادى التجارة مسابقة اشترك فيها ١٠٠ محاسب وعشرات الآلات الحـــاسبة . وتحدى الحاضرون الفتاة الهندية ولكنها استطاعت أن تتغلب عليهم جميعا وعلى آلاتهم الحاسبة بحل أعقد المسائل الحسابية فى أقل من ثوان فشهد لها الجميع وقدمها التليفزيون العربى وأقيمت لها الحفلات إلى أن غادرت القاهرة إلى أفغانستان وباكستان ومنها إلى الهند .

و«شاكونتالا ديفى» لم تدخل مدرسة فى حياتها ، ولذلك فهى لاتعرف شيئا عن مادة الحساب ولا الجبر ولا اللوغاريتمات . ولكنها تستخدم موهبتهـــا الخارقة فقط ! .. وهى لم ترث هذه الموهبة من والدها أو والدتها فكلاهما لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولم يدخل مدرسة .

بدأت موهبتها فى الظهور عندما كانت فى الخامسة من عمرها . فكانت تهوى اللعب بالأرقام كما كانت تترك الصغار من زملائها لتراقب عمها الطالب بقسم الرياضة . فكان يلاعبها بالأرقام ضاحكا من رأسها الصغير ، حتى عرضت عليه يوما أن تساعده على أن يشترى لها بسكوتا فضحك عمها كثيرا بينما كانت هى

---

(١) جريدة الأهرام ٢٥ / ١١ / ١٩٦٩ .

تطق الإجابة الصحيحة للمسألة المعقدة التى حيرته ، وعندما بلغ عمرهـــا العام السابع استعرضت موهبتها أمام علماء جامعة ميسور بالهند فأذهلتهم . (١)

والطفل « عبد المحسن مرسى عباس» ذو العقل الإلكترونى وهو من مواليد قرية الخيام بسوهاج. يستطيع إجراء العمليات الحسابية المعقدة، دون الإستعانة بالقلم والورق فهو لا يجيد القراءة والكتابة ، ومع ذلك يمكنه أن يحسب لأى شخص عمره باليوم والساعة والثانية فى لحظات . والده يعمل بناء وله سبعة أخوة ليس بينهم من له قدرته الخارقة (٢)

وفى مجالات التصوير والرسم بالألوان بدأت مهنة «روزيتا بيتارليتش»،وهى فى الثالثة من عمرها. وعندما بلغت السابعة عشرة أقامت معرضا لأربعمائة لوحة من رسومها .

والسير « فرانسيس جالتون» رائد بصمات الأصابع التى تلعب اليوم دوراً هاماً فى الكشف العلمى للجريمة . لقد حاول تعلم القراءة حينما كان فى سن الثانية والنصف من عمره . وأتقن دراسة جداول الضرب ـــ التى كانت من منغصات حياة تلاميذ المدارس ـــ وهو فى الخامسة من عمره

وعلم الطب ربما يحاول أن يبرهن على أن الغدد الشاذة عند« كيذيث وولف»، المولود فى« كليفيلاند» فى مدينة أوهيو ، إنما هى التى خولت لنموه العقلى السريع أن يكون قادرا على الكلام بطلاقة وعلى نحو كامل ، عندما بلغ من عمره أربعة أشهر فقط ، واستطاع أن يقرأ عندما بلغ الثانية عشر شهرا ،وأمكنه أن يدرس ويستوعب المعرفة والمعلومات التى أهلته أن يكون عضوا فى إحدى الجامعات وهو فى التاسعة من عمره .

---

(١) جريدة الأخبار ٢٠ / ١٠ / ١٩٦٨ ومجلة « صوت الشرق » عدد فبراير ١٩٦١

(٢) جريدة الأخبار ١٧ / ٣ / ١٩٧١

ولكنها كانت استحالة فيزيقية وشيئاً متعذراً بالنسبة للطفـــل العجيب ابن الدكتور كلينش أن يحشد ويكدس هذا القدر العظيم من المعلومات في القانون والتاريخ والجغرافيا والرياضيات وعلم الفلك في سنيه القليلة التي لم تزد عن الاثني عشرة سنة حتى أن قراراً صدر بخصوصه يقول :

« إن هذا الغلام عنده من المعارف أكثر مما عند معظم الناس في العالم »

وليس هنـاك تفسير علمي يمكن أن يعلل نبوغ « وليام جيمس سيديس » الطفل العجيب الذي كان عنده من المعارف ما أهله للمحاضرة في موضوع غامض عويص كموضوع البعد الرابع ، وذلك أمام أساتذة أفذاذ وهو لما يبلغ الحادية عشرة من عمره .

هل يمكن أن يكون هناك أي حل آخر لمسألة النبوغ المبكر عند الصغار ، سوى الحل الذي يمكن تفسيره أو تحليله للطفل « كريستيان هينيكين» الذي تكلم بعد مضي ساعات قليلة من مولده ـ وهو « العودة للتجسد » ؟

والفيلسوف الطبيب ابن سينا حذق القرآن وكثيراً من الأدب في سن العاشرة، واستوعب علم الهيئة وعلم الطب في سن السادسة عشرة . ثم علم المنطق والطبيعة والرياضة والعلم الإلهي في سن الثانية عشرة ، وتمكن من حل مسائل الهندسة بنفسه بعد أن اكتفى بقراءة خمسة أشكال أو ستة من كتاب أقليدس.

ولقد حكى الرئيس ابن سينا عن نفسه يقول : « فكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب حتى كان يقضى مني العجب . ثم جاء إلى بخارى أبو عبد الله الناتلي وكان يدعى الفلسفة فأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه . فقرأت ظواهر المنطق عليه وأما دقائقه فلم يكن عنده منهـا خبرة . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح وكذلك كتاب أقليدس فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ، ثم توليت حل الكتاب بأسره ثم انتقلت إلى المجسطي وفارقني الناتلي . ثم رغبت في الطب وصرت أقرأ الـكتب المصنفة فيه وتعهدت

المرضى فانفتح على من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة مالا يوصف وأنا فى هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة».

إن كل ما يسمى «طفلا عجيباً» توجد فيه نفس ولدت فى حياته تحمل معها تجارب ومعارف ومقدرات أخرى فنية وغيرها، من حياتها أو حيواتها السابقة. أى أن هذا النبوغ العجيب عند أولئك الصغار هو ثمـــرة حيوات سابقة أتقنوا فيها ما برزوا فيه فى حياتهم الحديثة، وهم إذ عادوا إلى حياة جديدة فى جسم ونسب جديدين يمكن بواسطتها التعبـــير عن نبوغهم، فإنهم يظهرون فى مستهل حياتهم مواهب غير عادية.

ومن قبل هؤلاء جميعاً ألم يتول «أخناتون» عرش مصر وعمره لا يزيد عن الثالثة عشرة عاماً، ومع ذلك كان صاحب فكر وصاحب دعوة؟.. لقد كان يهتم بأشياء لا تمت لحياة من سبقه من الملوك. وتعنى بهـذا اهتمامه بالمسائل الدينية والميتافيزيقية. ولقد دعا فى هذه السن المبكرة إلى عبادة إله واحد يرمز إليه قرص الشمس «آتون» وهذا الإله الجديد فى نظره ليس قرص الشمس، بل هو «القوة الكامنة فى قرص الشمس» وهو الحرارة التى تشع منه.. ولقد جعل أخناتون إلهه إلهاً للعالم كله، وبهذا ربط الناس فى عبادة واحدة عن طريق التوحيـد وعن طريق الحب وسمو النفس.. وعلى الرغم من أن «آتون» عال فى السماء، إلا أن قوته تغمر كل الحياة على الأرض.

ولقد قضى أخناتون فى هذه السن المبكرة على كل ما فى ديانة آمون من الآلهة وأنصاف الآلهـــة من سحر وشعوذة. كما قضى على إيمان الناس بمملكة أوزوريس، وما يتصل بها من وجود أرواح شريرة، أو ذبانية مخيفة فى العالم الثانى.. وكانت ديانة أخناتون تعرف «بالتعاليم» وكان الملك يلقن بنفسه هذه التعاليم لأتباعه وصفوة رجاله من المقربين إليه (١).

---

(١) عن مقال الدكتور شماته آدم محمد بجريدة الأهرام ٢٣/٨/١٩٦٩م.

ولقد قرأنا فى الصحف منذ وقت قريب عن صبى فى الثالثة عشرة من عمره التحق بجامعة ميونيخ بتصريح خاص من وزير التعليم فى ولاية « بفاريا » لأنه يبشر بأن يكون عبقرياً فى الرياضيات . ويعد هذا الصبى واسمه « إيليا أيدر » أصغر طالب جامعى فى ألمانيا بل وفى أوروبا الغربية كلها . ومما يذكر أن إيدر ألقى - عندما كان عمره تسع سنوات - محاضرة فى جامعة «أيرلانجر » عن نظرية النسبية ! ! . . (١)

وعن صبى فى الرابعة عشرة من عمره ، يقود أوركسترا لندن السيمفونى فى أولى حفلاته التى يتقدم فيها مؤلفاته . ولقد بدأ هذا الطفل « أوليفر كينوسن » يجتذب الاهتمام عندما قدم أولى حفلاته الموسيقية بقاعة الاحتفالات الملكية بلندن . وقدم له أوركسترا نيويورك السيمفونى بعض مؤلفاته . (٢)

وعن معجزة موسيقية أخرى هى الطفل « بييرينو جامبا » الذى لايزيد عمره عن عشر سنوات واجتذب الجماهير أفواجا إلى مهرجان هارينجاى الموسيقى حيث تولى بنجاح قيادة فرقة لندن الفيلهارمونية . ومن قبل ذلك قاد فرقة روما السيمفونية فى سيمفونية بيتهوفن الأولى ، وصفق له الجمهور كما لم يصفق لأحد من قبل . (٣)

وغير هؤلاء كثيرون ممن يضيق المقام عن ذكرهم . .

فهل يبرهن الزمن على أن هؤلاء نوابــغ ذوو ذكاء مفرط أو أنهم مجرد ظاهـرة ؟ . .

إن بعض الروحيين يعلل مثل هذه المواهب الخارقة للعادة بنظرية « العودة للتجسد » . . .

---

(١) عن جريدة الأهرام ١٢ / ٦ / ١٩٦٩ .

(٢) عن جريدة الأخبار ٧ / ٨ / ١٩٦٨ .

(٣) عن مجلة PREDICTION عدد اكتوبر ١٩٤٨ .

ويعللها البعض الآخر بتأثير راق من العالم الخارجي . .

ويقول فريق ثالث إن التجسد ليس هو الحل الوحيد لهذه الظاهرة . وأن الإلهام الراق من عالم غير مادى الذى قد يتخذ أحيانا صورة استحواذ خارجى قد يفسر لنا لغز بعض الأطفال الموهوبين الذين أمكنهم فى سن مبكرة جداً أن يتفوقوا على الكبار فى الموسيقى وفى اللغات وفى الرياضيات وفى غيرها .

وأمام هذه الأقوال والتعليلات يقف المذهب المادى لايحير جواباً . .

° ° °

إننا نجد فى الحياة كثيرا من أمثال هذه الظواهر مايقف أمامه العقل مبهوراً مبهوتا . ويكفى للباحث الخبير أن يقف على سر من تلك الأسرار التى تقوم عليها الحياة العضوية فوق هذه الأرض ، ليعلم أن جهل الإنسان بحقائق الكون يزيد بنسبة علمه . فالإنسان فى دائرة البحث مثله كمثل من يصعد فى سلم حلزونى يزداد اتساعاً كلما زاد ارتفاعاً . وهو كلما صعد فيه يمتد نظره إلى عالم مجهول لا نهـــاية له .

لقد عاشت من قبلنا «أمم»

إن العودة للتجسد ، كما يعرفها مؤيدوها ، هي التعاليم النظرية البسيطة التي يمكن أن تقوم بإثبات دوام الروح وعدم فنائها . . وهي التي تؤكد أننا سبق أن عشنا من قبـــل وسنعيش مرة أخرى . . ولتي تفسر تفسيراً مقنعاً ينطوي على الرضا مصير الأفراد والأمم . . ونحن لذلك ، رجالا ونساء ، نعد بمثابة وارثين لأجدادنا في سلسلة من النسب : خلقهم ، وصفاتهم المميزة ، إنما هي نتيجة التجارب والخبرات المتراكمة لحيوات كثيرة سابقة . . وحكمة الحيوات الماضية المهداه ، التي تصنع من الوجـــود الحاضر ما يعتبر في الحقيقة تطوراً روحيا . .

والمعرفة الخاصة بالولادة الجديدة هي الفلسفة الإنسانية الوحيدة التي تستطيع أن تتوافق مع اختبار العقل المستنير ، وتقف في جانبه . . كما تستطيع أن تفسر لغز الحياة ، بما تحتويه من اختلافات متعدده ، وفوارق بين المخلوقات البشرية يتعذر ، فيما يبدو ، تعليلها . . وتقدم للحياة البشرية وما فيها من أحياء عدالة معصومة مبرأة من الخطأ . .

إنها تبرهن على ماضي حيواتنا ، وتفسر الحاضر بصراحة ووضوح وتمنح المستقبل أملا عملياً معقولا . .

ونحن إذا أردنا أن نتفهم الحياة ، وجب علينا أن نؤمن ببقاء الروح ودوامها . . وإذا سلمنا بذلك فصلا فن الممكن محاولة حل لغز الحياة الفردية والجماعية وتفسير معمياتها . .

وعملكة الحياة بأسرها إنما ينيرها العلم وتسمو بهـا المعرفة وتكسوها الفتنة والسحر إلى أقصى مدى ، عندما ندرك قبل كل شيء أنها منسوجة من عالم روحي له من الأهمية القصوى والتأثير البالغ أضعاف أضعاف ما لنظيره المادي . . ونحن حينما نحاول أن نتتبع أثر قدرنا وقدر أمتنا ، نجد أن الجانب الروحي هو الذي

قرر مصيرنا ، وحدد نموءنا ، وانتهى بنا إلى ما نحن عليه من تقدم وعمران ، أكثر مما قرره الجانب المادى ..

وفيما يتعلق بموضوعنا هذا ، دعنا ننظر إلى الامم كأفراد ، ونعتبرها كأرواح متحدة ، أو كأرواح متجمعة (تشكل جماعة أو مجموعة) ، والأمة ، فى حقيقة الأمر ، إذا كانت عظيمة ، وإذا كانت متقدمة ، فإنما ذلك يرجع إلى التطور الروحى عند المواطنين ونموهم المتزايد . .

والأمم ، مثلها مثل الأفراد ، مفعمة دائماً بالفكر ، والمثل ، والمعانى . . ونظرة سريعة للأمم الحديثة تكشف لنا بوضوح هذه الحقيقة . وتبين لنا أن لها وعياً وشعوراً بالوجود السلالى ، وأن لها صفة مميزة خاصة ، بصرف النظر عن جيرانها . .

« شبيه الشىء منجذب إليه » و « الشبيه يحب الشبيه » — وهذه الحقيقة العلمية تقوم بعملها بنجاح عن طريق عقيدة العودة للتجسد . . وتقدم لنا تفسيراً معقولا للقومية (١) أو الوعى السلالى . . ومجىء الأرواح ، فى دورة أخرى فى حياة أرضية ، انما هو تحرك طبيعى بفعل الجاذبية إلى الأمم المماثلة أو المشابهة فى التطور وفى الفكر . . ومن هنا جاء اعتقاد كثير من الناس بأن معظم الامم الحاضرة كان لها ماض فى الأجيال السالفة . ولنضرب لذلك بعض الأمثال :

— كانت « آشور » امبراطورية قديمة فى بلاد ما بين النهرين ، واختلفت حدودها وقوتها خلال فترات التاريخ من إقليم حول مدنها الرئيسية ، إلى السيطرة على منطقة كبيرة غرب آسيا ومصر ،

— الامبراطورية البيزنطية ، دولة قامت على أنقاض الامبراطورية الرومانية .

---

(١) وعى قومى يمجد أمة معينة ويضع التوكيد على تعزيز ثقافتها ومصالحها.

— تاريخ إيطاليا من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الخامس بعد الميلاد، هو تاريخ ظهور روما والامبراطورية الرومانية .

— حتى أوائل القرن الخامس عشر لم يكن يعرف إلا القليل عن جغرافية كوكبنا ، فاستراليا وأمريكا لم يكن قد تم اكتشافها بعد ، كما أن المعلومات الخاصة بكل من آسيا وأفريقيا كانت شحيحة جداً .

— القبائل الجرمانية القادمة من البلاد الاسكندنافية : الدانيمرك والنرويج، والسويد — أصبحت فى زمن من الأزمان أمة واحدة تضم العديد من شتى القبائل : القوط ، والفرنجة ، والبرجنديين ، والساكسون ، والواندال — وأول من اخترق الامبراطورية الرومانية منهم القوط الذين نهبوا روما ، لكنهم لم يحوزوا كياناً دائماً ، إذ لم يبق منهم الآن أثر ما ، ونفس الشيء يصدق على الواندال .. وربما كان أكثرهم أهمية الأنجلو ساكسون ، الذين غزوا بريطانيا وأسسوا الأمة الانجليزية ، والفرنجة الذين غزوا الغال وأسسوا الأمة الفرنسية .

ومن الطريف أن أذكر هنا ما سمعته من أحد الإنجليز من أنه يعتقد ، كما يعتقد كثير غيره ، أن انجلترا مأهولة بسكان تجسدوا سكاناً من الرومان .. وهو لذلك يقوم بإعداد رسالة مقارنة يبحث فيها حقيقة وجه الشبه فى الصفات المميزة والحساسيات البالغة والأمزجة الخاصة بين الشعبين .

إن الاعتقاد فى العودة للتجسد يعلم أن العظمة الباقية ، المؤزرة ، المعززة بأسباب الحياة لأية أمة من الأمم إنما تحدد عن طريق الفرص التى تمنح للأرواح الآتية .

وانحطاط أمة وانحدارها تفسره الحقيقة التى تؤكد أنها فقدت ، بصفة مؤقتة أو بصفة مستمرة ، قوة جذبها للأرواح المتمرسة بالمعاناة والمتطورة تطوراً عالياً وتكون على وشك أن يعاد تجسدها . ولذا يتحتم علينا أن نكافح ونبذل أقصى جهدنا كيما نبنى بيئة تتلاءم مع بلادنا الذى يفترض فيه أن يكون مأمناً ،

وصحيا ثقافيا ، وحراً أخلاقيا وفكريا ، وقبل كل اعتبار محباً للسلام .

إن قوة الجذب المحصلة من المكاسب المماثلة للأرواح الواردة (القادمة) ليست مهمتها فقط أن تعزز وتوازر وتمد بأسباب الحيـــاة موضعنا الحالى فى العالم ، ولكنها أيضا تقوم بتقويته لدرجة عظيمة .

والعودة للتجسد تعلم ، بطريقة لا غموض فيها ، أن شعوب العالم بصرف النظر عن الجنس أو السلالة أو اللون ، اسرة إنسانية واحدة ، وأن الإنسان عضو من أعضاء الألفة البشرية والهيئة الاجتماعية .

ومن المستحيل أن يكون أفـــراد الأسرة جميا فى سن واحدة . وبعض إخواننا فى البشرية ، وإن كانوا همجيين أو غير متمدنين ، يمكن أن نعتبرهم كإخوة صغار غير راشدين فى الأسرة الإنسانية ـ أما ذوو الطاقات الروحية الكبيرة ، وكثيراً ما هم ، فإخوة كبار . ولا يتوقف هذا على لون الجلد ، أو على الأمة التى ولدوا فيها . . فالإنسان أخو الإنسان ، ولا يجب أن يمنع هذا الاخاء جدود أو حدود أو بنود . .

فإذا أمكن لهذه الفكرة وحدها أن تقوم كحقيقة حية ومدركة أو محسة فى حيوات كل الناس المتمدنين والمثقفين ، فلن يكون هناك أى مجال للتفكير فى حرب أو فى أى نوع من أنواع الاعتداء على الغير . ولن تكون هناك قسوة أو عنف ، ولا يرفع فرد يده باستخفاف أو بطيش فى وجه عضو آخر من أفراد الأسرة .

وفكرة الأسرة هذه ليست مجرد مفهوم أو كلام عاطفى ، أو أنها مجرد معنى عاطفى ينزع إلى التأثر بالعاطفة دون العقل ، ولكنها حقيقة جوهرية وأساسية للحياة بأسرها . إنها الأساس الروحى لصور الحياة من شتى نواحيها .

والأمة إن هى إلا واحدة من مجمـــوعة « البيوت » أو « الأوطان » أو « المواطن » المؤقتة التى تشمل جزءاً من الأسرة البشرية . وعندما يكون لنا

نواميس أسرية وتقاليد مرعية ، فسيكون لنا فى الوطن الأكبر تقاليد ونواميس دولية .

والأمم ، مثلها مثل الأفراد ، يحميها ويصونها ويوجهها ويقودها ويهيمن عليها فى مصيرها وقدرها ومقدورها : قوة إلهية عالية لا تفوقها قوة ولا تحدها حدود ، تصدر بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة تدعى بـ « الناموس العام » . وهذه الحقيقة لا ريب فيها ولا شك . فنحن نؤمن بالله وبآياته البينات :

« ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون » .

(سورة الأعراف آية ٤٢)

« وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين . أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ، إن ذلك على الله يسير » .

(سورة العنكبوت آية ١٧ ، ١٨)

كذلك أرسلنا فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب » .

(سورة الرعد آية ٣٠)

« نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون » .

(سورة الواقعة آية ٦٠ / ٦٢)

إن الأمم منسوجة بعالم غير منظور لمدى بعيد وعلى نطاق لا يمكن أن يتصوره إنسان . وكمية القوة المنتشرة فى العالم لا تتغير - كما يقول بعض العلماء - ولكنها تظهر فى صورة مختلفة ، فتراها تارة على شكل حرارة ، وتارة على شكل كهرباء ، ومرة فى شكل حركة ، وأخرى فى شكل تركيب أو تحليل . فكذلك أيضا شأن الأمم ، وحال ظهورها وضمورها ، فما من أمة فتية حديثة

قامت إلا على أنقاض أمة أدركتها الشيخوخة ، وتولاها الضعف . وليس من الحق فى قليل أو كثير أن نقيم حداً فاصلا بين القديم التالد ، والجديد المحدث . أو نتخيل أن حضارة أمـــة ، أو ثقافة شعب من الشعوب ، تقوم بمظهرها التجديدى من غير ما تمت بسبب أو تتصل بنسب إلى عوامل القديم . وكأى من أمة فتية قامت على أنقاض أمة أو أمم غابرة . وكأى من حضارة خلابة جذابة ، وثقافة نافعة ، قامت على دعائم وأسس غيرها من سالف الحضارات ، وغابر الثقافات .

والأمم ، كالأفراد ، يمكن أن تزول وتختفى إلى حين ، ولكنها مع ذلك لا تفقد آثارها وأهميتها. بل يظل النشاط والفعالية كامنان فيها إلى أن تدور عجلة الحياة دورتها كيما تحقق غايتها (غرضها) من تجربة أمة فى العالم غير المنظور . فتعود مرة أخـــرى إلى الأرض ، ومن ثم تعود بدءاً من جديد حياة أسرة جديدة .

وبهذه الطريقة وحدها يمكن أن نفسر التشابه الجدير بالملاحظة والاهتمام بين حضارات الأمم القائمة اليوم وحضارات الأمم الماضية . حتى تصير « أخوة البشرية » كلها حقيقة واقعة وتحقيقاً عملياً ، كما هى الآن فى مجالات الوجود الروحية .

نظرية العودة الأبدية عند الزهاوى :

ولا يفوتنا هنا — زيادة فى الفائدة — أن نذكر أن الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى نظرية أوردها فى كتابه « المجمل مما أرى » (١) تحدث فيها عن « الناموس الدورى الأعظم » ، وخلاصتها هى :

« إن الكون لا يتناهى وأن له ناموساً دورياً عاماً . وأن الأرض بعد ألوف الملايين من السنين تتلاشى فى الأثير الذى نشأت منه كما يتلاشى غيرها من أجرام

(١) المطبعة العربية لصاحبها خير الدين الزركلي ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤م.

السماء . وأعتقد أن الفضاء الذى لا يتناهى تضمحل فى طرف منه عوالم وتنشأ فى طرف آخر عوالم أخر إلى ما لا يتناهى من الزمان على سبيل الدور. وأنه فى هذا الفضاء اللامتناهى عدد غير متناه من العوالم النجمية وفى كثير منها نظام مثل نظامنا الشمسى ، وأن فى ذلك النظام أرضاً مثل أرضنا فيها إنسان مثلى ومثلك ، قد ولدوا من آبائهم كما فى أرضنا وقد جرى لآبائهم فيها ما جرى لهم فى هذه تماماً ، فإذا مات الإنسان فى أرضنا فهو يولد فى غيرهـا من جديد من نفس آبائه الذين ولد فى أرضه هذه منهم . وإذ أن هذه الأرضين لا تتناهى فكل فرد من الناس غير متناهى العدد غير أنه فى كل أرض واحد يجهل أن له مثالا فى هذا الكون اللامتناهى. وإن الذى يشقى فى هذه قد يسعد فى التى تشبهها إلى زمن محدود ثم تخالفها فإن عدد هذه المخالفات أيضاً غير متناه . والذى يسعد فى هذه قد يشقى فى تلك فالطبيعة عادلة قد قسمت السعادة والشقاء على السواء فإن زيداً إذا كان هنا شقيا فهو فى أخرى سعيد وإذا كان سعيداً فهو فى تلك شقى .

« وأرضنا هذه بعد أن تصير إلى الأثير تتولد ثانية بعد ربوات الملايين من السنين فيجرى عليها تطوراتها طبق ما جرت فى دورها هذا ويتولد آباؤنا كما تولدوا وتتولد منهم كما تولدنا ونموت كما فى هذه المرة وقد تكررنا من الأزل وسوف نتكرر الى الأبد . وأن الذى يموت هنا يتولد من جديد حالا فى أمثال هذه الأرض وهو بعد الدهور الطويلة يتولد فى هذه الأرض نفسها أيضاً بعد تجددها . والموت مهما طال زمانه فهو لا يعد شيئاً بالنسبة إلى الإنسان لأنه لا يشعر به بل انما شعوره يمتـد من يوم ولادته إلى موته فحسب ، ولمـا كان تكرره يمتد إلى غير نهاية فهو خالد .

« ورب قائل : ما الفائدة من هذا التكرر وهو لا يتذكر ما مر به فى أدواره الاولى . فأجيب : إن فائدة التذكر هو العلم فإذا حصل لنا العلم بطريقة أخرى فهو مثل العلم بالتذكر وكفى به نفعاً أنه يطمئن الإنسان أن موته مؤقت ليس أبدياً .

« وهذه النظرية مبنية على أسس ثلاثة : الأول أن العالم بما فيه من الأجرام غير متناه . والثانى أن لاشىء يذهب إلى العدم بل ينحل تركيبه وينحل إلى الأثير بعد تطورات متعددة ، وهذا الأثير يتركب من جديد فيكون مادة بعد تطورات متعددة ثم ينحل ثم يتركب إلى مالا يتناهى . والثالث أن جواهر كل جرم من الأجرام متناهية العدد مهما كثر هذا العدد . وأقدارها كذلك متناهية ولا يمكن أن يوجد جرم واحد غير متناهى السعة. والأرض هذه تتألف فى أزمنة غير متناهية على أشكال متناهية لأن جواهرها متناهية وشكلها الحاضر أحد تلك الأشكال غير المتناهية التى تتألف عليها وتدور من أحدها إلى الآخر ، فهو كغيره من الأشكال يتكرر إلى مالانهاية له ، والإنسان جزء متمم لشكلها الحاضر فهو أيضاً يعود بشكله وعقله وإلا لم يكن الدور تاما . والعالم أجمع تابع لهذا الناموس الدورى الأعظم » .

وكما تحدث الزهاوى عن هذه النظرية نثراً تحدث عنها شعراً فقال (١) :

لم يزل نهر الدهر يجرى إلى مبدئه صاحبا يقل سفينا
تتلاقى الآباء دائرة فى جريه والآزال حينا لحينا
إنه يفنى ماحيا كل شىء ويعيد الأشياء مهما فنينا
سوف نحيا فى كل دور ونردى ونلاقى جميع ما قد لقينا
إن من قالوا بالبقاء بتاتا لم يكونوا فى قولهم كاذبينا
لايهمنك السنون فما فى جانب الدهر قيمة للسنينا

وقال (٢) :

وأن جميع الكون فى الدهر دائر وأن نهايات الأمور بدايات
وأن الذى قد كان من كل مامضى يكون إذا ما الدهر دار كما كانا

---

(١) عن « اللباب » للزهاوى ص ٣٢٦ بغداد ١٩٢٨
(٢) « « « ص ٢٨٤

وقال (١) :

إن العالم الذى نحن جزء	منه كونا مصيره لفساد
غير أن الفساد مبدأ كون	آخـــر سوف ينتهى لمعاد
وإذا صح أن يكون قديماً	فهو فى غنية عن الإيجاد
وهو من غير مبدأ فى اقتياسى	وهو من غير منتهى فى اعتقادى
ماتزال الدهور تجرى من الآ	زال حتى تنصب فى الآباد
إن الليـل والنهـــار يكـرا	ن جديدين خلقة باضطراد

مذهب نيتشه عن : الدورة الأبدية

ومع اقتناعنا بأصالة نظرية الزهاوى عن « العودة الأبدية » نلاحظ أن هناك شيئاً من التشابه بينها وبين مذهب « الدورة الأبدية » eternal recurrence للفيلسوف نيتشه الذى يبين فيـه إلى أى حد تتشبث الفكرة بالبقاء ، والذى يعد مظهراً آخر لنظرية « العودة للتجسد » فيقول :

« . . ولما كان الزمان لانهائياً غير محدود ، فلابد أن تأتى لحظة من لحظاته — مها يكن من طول المدة السابقة عليها والتى مرت فيها الأحداث الكونية الممكنة كلها — فيها يعود تركيب سبق وجوده من قبل .

« ولما كان قانون العلية (بالمعنى العلمى الخالص : وهو تسلسل الحوادث وارتباط الظواهر الواحدة بالأخرى وتتابعها) يقضى بأن يجر هذا التركيب وراءه التراكيب المرتبطة به ؛ وهذه بدورها تجر ماهى تابعة لها وهكذا وهكذا ، فإن مجموع الظواهر والأحداث سيتكرر من جديد ، بنفس النظام والطريقة والمقدار الذى وجد فى الدورة السابقة على هذه الدورة الثانية . وهكذا تستمر الحال وتأتى دائماً دورات جديدة لانهائية ، مادام الزمان غير متناه .

---

(٢) عن « ديوان الزهاوى » ص ٢٨٣ القاهرة ١٩٢٤

« فالزمان اللانهائى إذاً مكون من دورات ، ولكل دورة زمانها المحدود ، وكل دورة مماثلة للدورة الأخرى تمام المماثلة .

« فالإنسان هنا إذاً تبعاً لهذه النظرية سيحيا من جديد نفس الحياة التى يحياها الآن ، وسيعانى ما يعانيه ، وسيكون حظه تماماً كحظه الآن . لهذا يقول زرادشت :

« سيأتى يوم فيه تعود من جديد سلسلة العلل التى أنا مشتبك فيها وستخلقنى من جديد ! .. وأنا نفسى سأكون من بين علل العود الأبدى . سأعود مع هذه الشمس ، وهذه الأرض ، وهذا النسر ، وهذه الحية ، لا من أجل حياة جديدة ، ولا من أجل حياة أحسن ، ولا من أجل حياة متشابهة ، إنما سأعود دائماً وأبداً إلى نفس الحياة بعينها ، وأنا لا أتغير ، لا فى صغيرة ولا فى كبيرة ، سأعود لكى أعلم الناس من جديد نظرية العود الأبدى » (١) .

وقد اقتنع نيتشه — الفيلسوف الذى ينكر القيم الروحية والخلقية الطبيعية وتتمثل فى آرائه ذروة المادية — بنظرية العود الأبدى هذه ، التى استقاها من تعاليم الحكيم الفارسى العظيم زرادشت الذى عاش بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد ، والذى أسس الديانة الزرادشتية التى ظلت سائدة فى فارس وبعض ربوع الهند لآماد طويلة . ولعل لها أتباعها حتى الآن . ولذا قال نيتشه :

« . . فالماضى أحياه حياة أخرى ، والحاضر أحياه ، لا بوصفه لحظة عابرة تنقضى فى الحال ، ولكن بوصفه أبداً وزماناً خالداً . .

« فكأن الإنسان إذاً يستطيع عن طريق نظرية العود الأبدى — المرتبطة بقانون العلية أو ارتباط الظواهر الواحدة بالأخرى برابطة السبب والنتيجة — أن يحيا فى كل لحظة ، وليس هناك من حل لمشكلة الزمان أعظم من هذا الحل ، لأن فى هذا التكرار معنى الخلود الإنسانى ؛ وهو أقصى ما تطمح فلسفة الزمان

---

(١) عن كتاب « نيتشه » الدكتور عبد الرحمن بدوى طبعة ١٩٦٥ ص ٣٥٢

فى الوصول إلى تحقيقه ؛ وإن كان فيه إلغاء لمعنى الزمان بوصفه ماضياً وحاضراً ومستقبلا ، لأن هذه النظرية تمزج الجميع ؛ وتجعل من الحياة تجربة روحية واحدة يحياها المرء فى نفسه .

« فحب الحياة إذاً يزداد الشعور به إلى أقصى حد متى آمن المرء بهذه النظرية وكان فرداً ممتازاً حقاً . كما أن الخوف من الموت يزول نهائياً مادامت هذه الحياة نفسها ، وهى حياة حافلة بالنسبة إلى الفرد الممتاز ، ستعود من جديد ، فهو يقول للموت كما قال زرادشت له : « أهذه هى الحياة ؟ إذاً هاتها مرة أخرى» فالموت إذاً لاخوف منه ما دام المـــرء قد ضمن الخلود عن طريق نظرية العود الأبدى » (١) .

---

(١) عن « مطول الإنسان روح لا جسد » الدكتور رءوف عبيد ، الجزء الثانى ص ٤٨٧/٤٨٨ عن « نيتشه » الدكتور عبد الرحمن بدوى ص ٢٧٢/٢٧٣

قانون الكارما

العلة والمعلول :

من الواضح أن الأفعال ، بدون استثناء ، لها نتائج ، وأن تلك الأفعال ، بدون استثناء كذلك ، لها أسباب سابقة.أى أن « كل ما يظهر للوجود فلوجوده علة » . فهل يسوغ لنا أن نظن أو نتوهم أن هذه العملية تتوقف فجأة عندما يموت شخص ؟ . . أو أن شيئاً لم يكن لنا به صلة ما يحدث لنا بغتة ؟ . . هل يمكن أن نحصد مالم نزرع ؟

إذا كانت العلة والمعلول قانوناً طبيعياً ، عالميا ، عاماً ، يفهم منه أن العلة هى ما عنه يحدث شيء أو ما من أجله ينتج . وأن علة الشيء ما يتوقف عليه ذلك الشيء ، فليس فى استطاعة أى شيء أن يؤثر فينا إن لم نكن مسئولين عنه مسئولية تامة . وينبغى أن يكون على درجة عالية من الوضوح ، أن العوامل المختلفة إنما تؤثر فينا تواً بمجرد ولادتنا ، أما سبب تلك العوامل فيجب أن يبحث عنه فى وجود سابق . وكما أن النتائج المادية تنشأ من أسباب مادية ، فإن هذا الوجود يجب أيضا أن يكون فى جسد فيزيقى .

إن هذا الترابط الطبيعى بين العلة والمعلول ، أو الأسباب والنتائج ، أمر مسلم به منذ القدم . وقد تحدث عنه الفلاسفة كثيراً . وفيه يقول الفارابى:

«إن الله هو علة وجود الأشياء ، فهو الذى يعطيها الوجود الأبدى، ويدفع عنها العدم الأبدى. . أما الأشياء ذاتها فإنما يؤثر بعضها فى بعض وفقا لقوانين نعرفها من التجربة» (١)

ويقول أبو نصر الفارابى أيضا :

« إنا إذا نظرنا فى سلسلة الحوادث نجد أن كل واحد منها معلول لما قبله ،

---

(١) عن كتاب « أهداف الفلسفة الإسلامية » الدكتور عبد الدايم أبو العطا ص ٥٣ .

فالم يوجد لا يوجد . وإذا فرضنا أن تلك السلسلة ذاهبة فى الماضى إلى غير النهاية كانت آحاد تلك السلسلة غير موجودة لأن كل واحد منها لا ينال ذلك الوجود إلا من غيره . فإذن لا بد من شىء آخر يتوقف عليه وجود آحاد تلك السلسلة وهو يكون علة لامعلولا لغيره ، وإلا كان مع آحاد السلسلة فى التوقف على الغير فلا توجد وهذا باطل بمشاهدة الكائنات »(١) .

ويقول ابن رشد :

« إن الجاحد للأسباب الفاعلة إما منقاد بشبهة سفسطائية ، أو جاحد بلسانه لا فى جنانه ، ومن ينفى ذلك فليس له أن يعترف بأن كل فعل لابد له من فاعل.. وهذا محال لاشك » . .

كما يقول : « أما أن هناك أسبابا تأثيرها بسبب من خارج لا بنفسها ، فهذا ليس معروفاً بنفسه لنا ، ومتأكداً لدينا ، وهو يحتاج إلى فحص كثير . أما أن هناك بعض مسببات تنتج بدون معرفة الأسباب فليس بلازم أن تكون تلك الأسباب خارجية ، إذ قد تكون داخلية ، ولكنها مجهولة لنا فقط » .

كما يقول ابن رشد أيضاً :

« إن الواقع يؤكد وجود المسبب عند وجود السبب ، وقد يكون السبب مضافاً إلى سبب آخر إضافة لاتتناهى، وقد توجد أشياء أخرى تعوق السبب عن التأثير وإيجاد المسبب » .

وهو يرى أن هذه الأسباب ليست مكتفية بنفسها فى هذا الفعل ، والله سبحانه هو الذى خلق الأسباب وقدرها،وهو يقوم عليها كما يقوم على كل مخلوق من مخلوقاته . إن الموجودات يفعل بعضها فى بعض ومن بعض ، وأنها ليست مكتفية بنفسها فى هذا الفعل ، بل بفاعل من خارج ، فعله شرط فى فعلها ، بل فى

---

(١) عن كتاب « الفلسفة والأخلاق » بقلم سلطان محمد الجزء الأول ١٩١١م ص ٦٦ .

وجودها فضلا عن فعلها » (١) .

وقانون السببية أو الكارما يتصل بتطور الإنسان الروحى اتصالا وثيقاً ، بغية الوصول إلى الكمال عن طريق حيوات متعاقبة على الأرض . وكل عمل إنسانى سواء أكان عقلياً أم عاطفياً أم ماديا يحدث ، طبقاً لقانون الكارما ، انعكاساً معادلا له تماماً . ولكن قد لا تتم الانعكاسات أو ردود الفعل فى نفس الحياة التى ارتكبت فيها الأعمال ، بل تظل أحياناً معلقة تتحين الفرص الملائمة فى تجسد تال لتعلن فيها عن ذاكرتها . فإن دقة قانون السببية تتطلب أن تحدث الأسباب نتائجها فى نفس المستوى وفى العالم الذى حدث فيه السبب . فالأفعال المادية تؤتى ثمارها فى نتائج مادية ، والأفعال العاطفية والعقلية والروحية تحدث نتائجها فى عوالمها الملائمة لها (٢) .

من هذا نفهم أن الحاضر أثر للماضى وسبب فى المستقبل . والوجود حاضر دائم فى اتساع وجوده نشهد منه ما نحن فيه أثر لسابق وسبباً فى لاحق ينتظرنا لنخلق منه ما نريد .. فناموس الطبيعة العام يحيا دواما فى إحساس بالحاضر الأزلى ، أو ما هو فى حكم الحاضر بالنسبة لإحساسنا النسبى بالزمان. فإذا ماقيل إن خطوط « المستقبل » مرسومة فى كتاب الطبيعة الخالدة ، وإذا ثبت ذلك بمعادلات رياضية صحيحة فلا يعنى ذلك أكثر من إثبات رابطة السببية ، أو ارتباط العلة بالمعلول بين الماضى والحاضر ، وبين الحاضر والمستقبل عن طريق معادلات الرياضة ، بعد أن وصلت الفلسفة إلى هذه الحقيقة عن طريق المنطق ، والحكمة عن طريق الإلهام ، وعرفها الإنسان من قديم مرتبطة بمصير روحه الخالدة

---

(١) عن كتاب « فى التسيير والتخيير » للدكتور رءوف عبيد ص ٩٦ . راجع أيضاً كتاب « تهافت التهافت » لابن رشد ص ١١٢ وما بعدها .

(٢) عن كتاب « العودة إلى الحياة » ص ٥٤ ترجمة الأستاذ زكى عوض عن كتاب Reincarnation: Fact or Fallacy ص ٥٧ الفصل التاسع .

تحت وصف قانون السببية أو الفعل ورد الفعل ، أو قانون « السكارما » بحسب التعبير السائد عند الثيوصوفيين . (١)

إن تلازم العلة والمعلول فى الوجود مما لا يحتاج إلى برهان بعد ما فسر الفلاسفة المراد بالعلة الفاعلية بقولهم إن العلم بها يوجب العلم بمعلولها لأنها شأن من شئونه ، وبعد ما ذكروه هنا من التضايف والترابط ومن هذا يعلم أن المعلول طور من أطوار العلة ، ومظهر من مظاهرها . كالضــوء السارى فى الأمكنة فإنه مظهر من مظاهر أصل الضوء فى مكانه الأصلى الخاص به . وإنما الاختلاف فيه بالشدة والضعف وهذا الاختلاف تتمايز به حقائق الموجودات عن بعضها .

يقول أبيقور :

« إن الموجودات أبدعت وأن كل ما كون منها يستحيل إليها . فمنها المبدأ وإليها المعاد ، وربما يقول الجميع يفسد وليس بعــد الفراق حساب ولاقضاء ولامكافأة ولاجزاء ، بل كلها تضمحل وتندثر والإنسان كالحيوان مرسل مهمل فى هذا العالم ومايرد على الأنفس من فرح وحزن ونحوهما هو من ذاتهـا على نسبة أعمالها . فإن فعلت خيراً ورد عليها سرور وفرح ، وإن شراً ورد عليها كدر وترح . . وسرور كل نفس بالأنفس الأخرى، وكدرها منها بنسبة مايظهر لها من أفاعيلها » (٢) .

السكارما والعدالة السكونية :

وقانون السكارما يشرحه لنـا شرحاً وافياً فيما يلى الدكتور « بنيجان لال آتريا » أستاذ الفلسفة ، ومدير قسم الفلسفة وعــلم النفس والفلسفة الهندية بجامعة بناريس :

---

(١) عن كتاب « فى التسيير والتخيير » للدكتور رءوف عبيد ، الطبعة الأولى ١٩٧١ - ص ١٠٠ .

(٢) عن كتاب « الفلسفة العربية والأخلاق » الجزء الأول ١٩١١م ص ٣٥ ، ٣٦ .

«لما كان الإنسان هو (الروح) يتجلى خلال الأجسام الثلاثة، العلى واللطيف والبدنى ، فمن الواضح أنه لايعود إلى العدم عند الموت . إن الموت لايصيب إلا الجسم البدنى ، ولاسلطان له على الجسمين الآخرين ، إلا من حيث أنه ينهى عملها فى المناطق المادية من الكون. على أنهما لاينقطعان بسبب ذلك عن أن يكونا موجودين ، وعن أن يعمل كل منهما فى دائرته . فكما أن الدماغ يظل يعمل فى أثناء الحلم حين ينام الجسم البدنى ، كذلك يستمر الجسم اللطيف، بعد الموت ، على معاناة تجارب مختلفة فى الآفاق اللطيفة من الكون ، أى فى تلك الآفاق التى يطلق عليها المشتغلون بشئون الروح والشئون الميتافيزيقية اسم العالم الروحى والتى تقابل ماهو بمنزلة الحلم من الأحياء . إن هذه الآفاق هى التى تستقبل نفوس الأموات إلى أن تتجسد هذه النفوس مرة أخرى فى العالم المادى الذى يقابل فى الطبيعة حالة اليقظة . فالنتيجة التى يحدثها الموت إنما هى إذن فصل الكائن الإنسانى عن العالم المادى ، بإفناء غلافه المادى ، ولكنه يفتح له فى الوقت نفسه آفاقاً لطيفة . إن المؤلفات المعاصرة التى تبحث فى شئون الروح تشتمل على عدد كبير من أوصاف هذا العالم وأولئك الذين يعيشون فيه. ولاشك أنه أعلى من العالم المادى ، عالمنا ، من كثير من النواحى .

« ولكن لماذا نعود إلى العالم الأدنى ؟ . . إننا نعود إلى العالم الأدنى لأننا حين كنا فيه رغبنا رغبات كثيرة لا يمكن أن يحققها لنا غيره ، ولأن علينا ديونا فيه لم نسددها بعد ، ولأن علينا أن نتحمل نتائج الأعمال التى قمنا بها خلال حيوات سابقة ..

« إن الرغبة أقوى قوة فى حياتنا ،وهذه الرغبات تنتهى إلى التحقق عاجلاأو آجلا..ولكن لهذه الرغبات ولتحققها آثاراً فى غيرنا أيضاً ، فهى تحسن إليهم أو تسىء ،لذلك كان هنالك فى الكون كله عدالة تجازى الإحسان والإساءة ، وتتحكم فى مصير جميع الكائنات المسئولة. ويطلق على هذه العدالة إسم قانون الكارما. مامن أحد يستطيع أن يفلت من يدى هذه العدالة .. ما من مكان، فى العالم، جبلا كان أو سماء

أو بحرا أو جنة ـ يستطيع فيه أحد أن يتخلص من حسنات أعماله أو سيئاتها.. إنه لأمر سهل على هندى أن يفهم أن العالم خاضع لقانون الكارما ، ولكن هذه الفكرة يصعب فهمها على الشعوب الأخرى فى كثير من الاحيان . إن الهنود لا يشكون فى أن الأفعال التى يقوم بها الإنسان بإرادته، فتحسن إلى الآخرين أو تسىء ، لابد أن يكافأ عليها ذات يوم أو يعاقب، وفقاً لقانون عادل دقيق . ذلك أنهم يعتقدون أن النظام الكونى نظام إلهى ، وأنه لذلك عادل محتوم . فالعدالة الكونية تعطى كل امرىء ما يستحق ،لأن الطبيعة قد ركبت على نحو يجعل الفعل وجوابه يتوازنان توازنا دقيقا . إن هناك قوى كونية ترقب أفعالنا وتضعنا فى ظروف نلقى فيها ما نستحقه من ثواب أو عقاب . وكل من يفلت من هذا فى حياة ، يجنيه فى حياة أخرى ، لانه لا يموت موتا كاملا .. إن نفس كل كائن وشخصية كل كائن لا يمكن أن تصيرا إلى فنـاء ، ولو كانت المخلوقات تزول قبل أن تكـابد نتائج أعمالهـا ، لأصبح الكون فريسة الفوضى والظلم ، والموت الذى يصيب جميع الكائنات الحية ، لا يمكن أن يعد عقابا على عمل بعينه من الأعمـال .

« وإن النظر فى تفاوت الظروف والمقادير فى هذه الحياة الدنيا ، يؤدى بنا حتما إلى التسليم بأنه كان ثمة حياة سابقة . وكذلك يتحتم أن يكون الموت مفضيا إلى حياة جديدة تنال فيها النفس جزاء ما قدمت فى الحياة التى انقضت . فقوانين العدالة تقتضى أن نسلم إذن بأننا عشنا حياة سابقة ، وأننا سنعيش حياة لاحقة . وهذه الحقائق التى انكشفت للحكماء بحدس مباشر تترتب إذن ترتيبا منطقيا كذلك . فالعقل والعدل كلاهما لا يسلمان بأن تكون حياتنا محدودة فى الزمان . كان الفيلسوف الألمانى الكبير « كانط » يرى أن الخلود واستمرار الحيـاة بعد الموت مصـادرة من مصـادرات الوجدان الأخلاقى . وأن كثيرا من الفلاسفة الغـــربيين المعاصرين ، الذين درسوا كبريات المسائل الميتافيزيقية من هذه الزاوية ، قد اعـترفوا بما لعقيدة التجسد مرة أخرى ، وما لقانون الكارما ، من

قيمة رفيعة . »(١)

على أنه يجدر بنا أن ندرك تماماً أنه ليس من الضروري أن تتجسد رغبتنا على الأرض ، ولكننا سوف نستمر على القيام بذلك إلى أن تتوقف عن إيجاد مستقبل يجعل الأمر محتماً لابد منه . وفي هـذا المعنى يقول توماس لاكنبي : « إعمل لأن العمل هو واجبك و « كارماك » ، ولكن كن مستقلا عن العمل غير متصل به حتى لا ينتج « كارما » جديدة » . .

حوار مع المعلم العظيم : (٢)

في أحد لقاءات المعلم العظيم مهراج بابا سوان سنج جي بتلاميذه ومريديه سأله أحدهم :

«إن نظرية العودة إلى الحياة والولادة الثانية عند الهنود تربك عقلي. رجالا يهبطون إلى مستوى الحيوانات، وحيوانات تصبح أناساً إن هذا يعسر على فهمه »

وقال المعلم العظيم : « ولكن الواقع أن هذا هو التفسير المعقول للمتناقضات التي ينبض بها هذا العالم . فأنت ترى كل يوم الظاهرة العجيبة بأن يولد طفل في أسرة غنية بملعقة فضية في فمه ، ويولد آخـر بغير فم على الإطلاق . والبعض يولدون عمياناً أو عرجا أو مشوهين وذوى ميول آثمة ، أو يلقون على قارعة الطريق بسبب الفاقة ، بينما يجيء آخرون بأجسام جميلة وعقول نيرة ، يتوافر لهم الثراء حينما يتخطون عتبة الحياة . وليست هناك مبالغة في أن بعض القطط أو الكلاب تلقى عناية تفوق بعض أطفال البشر .

---

(١) عن بحث في الثقافة الهندية في كتاب « أصالة الثقافات » من مطبوعات اليونسكو بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . ترجمة الأستاذ حافظ الجمالي ومراجعة الدكتور يوسف مراد ص ١٥٠ /١٥٢ .

(٢) عن كتاب « دعوة المعلم العظيم » للقاضي داريای لال ، ترجمة الأستاذ زكي عوض المحامي ص ١١٣ — ١١٦ .

« وأحياناً نجد طفلا يختطف تاركا خلفه أيتاماً فقراء ، أو نجد ثروة طائلة فى حيازة شيخ بغير وارث لها . وفى منزل يموت شاب مخلفاً أرملة جميلة تظل تبكى فقده بقية أيام حياتها . وربما وجدت فى نفس هذا المنزل عجوز شمطاء لا يرغب فى بقائها أحد ، ولكن تطول أيامها ولياليها سنوات ، ولا تجاب طلبتها أن تعفى من هذه الحياة التعسة . ويولد طفل ومرض البرص يفتك به ، ويولد آخر أصم وأبكم » .

وتساءل المعلم : « ما الجواب لهذه المشكلات المحيرة . أيعمل الله فى تعسف فيحابى أناساً ويقسو على آخرين . . إنما فقط نظرية الكارما والعودة إلى الحياة هى التى تزودنا بالجواب السديد . وهذه الفترة القصيرة لحياتنا الحاضرة إن هى إلا جزء يسير من وجود طويل الأمد غير متناه ، تمر فيه النفس فى أجسام متباينة لكسب اختبارات مختلفة يحتاج إليها تطورها ونموها . وما الموت سوى أن تستبدل النفس ثيابها فهى تعطى جسما جديداً يتيح لها فرصة أفضل لكسب الاختبارات التى تحتاج إليها لتقدمها الصحيح .

« وليس الموت سوى انتقال المرء من ميدان إلى آخر ، ولكن تظل تتأرجح حول عنقه سلسلة أعماله السابقة أنى ذهب ، والتى يتعين عليه أن يسويها . فالطبيعة دائن شديد المراس ، وأنت لا تستطيع الإفلات من ديونها ، فإن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد ، وهو تعليم مسلم به فى جميع الأديان . وهذا هو قانون الكارما ، وهو يسير فى دقة لا حد لها فى ارتباطه بقانون العودة إلى الحياة ، والتى بدونها تصبح صورة الحياة ناقصة . فنحن دواماً نعمل أعمالا ونخلق ديونا جديدة تزيد فى أثقالنا ، وليس هناك مفر من سدادها . والديون التى نخلقها فى حياة ما قد يتعذر سدادها فى نفس تلك الحياة الواحدة » .

وسأل أحد المريدين : « ولم لا يا سيد ؟ »

وأجاب المعلم العظيم : « إن الطبيعة لم تعدل قانونها القديم ، عين بعين وسن

يسن ، فهو نافذ المفعول . وإذا لم تتم تسوية الحساب قبل الموت ، عاد المدين ثانية للقيام بالوفاء ولا يحله منه استبدال الثوب ، فإن سجــلا كاملا لكارماه وحساب ما له وما عليه منقوش بكيفية لا تمحى على عقله غير الواعى، ولا يمكن زيف دفتر الحساب هذا أو استبداله ، وسوف يتلقى المرء المكافأة أو العقاب على أى عمل أتاه ، طيباً كان أو رديئا » .

وقال المريد : « ولماذا نعاقب ؟ »

وأجاب المعلم العظيم : « لفائدتنا وتقويم اعوجاجنا ولإصلاح ما ارتكبناه من آثام »

وقال المريد : « إننـا لا نتذكر ما فعلناه فى حيواتنـــا السابقة ، وما أثر عقوبة لا يتذكر المرء سببها ؟ »

وأجابه المعلم العظيم : « إن أثر العقوبة يرسخ فى العقل غير الواعى ويظل به . وفى الحيوات التالية ترهب النفس الفعل الذى عوقبت من أجله كما يرهب المرء ثعبانا ساماً ، ويتحاشى ذلك الإنسان بكيفية تلقائية ذلك الفعل ، وتتولد فى نفسه كراهية طبيعية له » .

فهتف المريد : «ولكن هذه مجرد فكرة ، فهل من دليل ؟»

وأجاب المعلم العظيم : « نعم عن طريق الأقوال الشفوية والخطية لأولئك الذين أحرزوا القدرة على رؤية ما يحدث فى العالم الكوكبى فوقنا » .

وسأل المريد : « هل حصل تلميذ هنا على مثل تلك العين الفاحصة ليقص لنا شيئاً عن اختباراته ؟ »

وأجاب المعلم العظيم : « إن بين ظهرانينا عدداً من أمثال هذا الشخص ولكنهم لا يرغبون الإعلان عن ذواتهم »

وواصل المريد : « ليست المسألة إحراز شهرة بل إرضاء فضول »

وسأل المعلم العظيم : « إنهم سوف يرددون اختبارهم ويقصون ما يرونه ، فكيف تقتنع أنهم يقولون الصدق؟ »

وأجاب المريد : « إننى أقنع بشهادتهم » .

وقال المعلم باسماً : إذن لماذا لاتثق فى شهادتى ؟ » .

وواصل المعلم قوله : « حسنا سوف يأخذك داريای لال » المؤلف » إلى سيدة حصلت مؤخراً على مثل هذه الاختبارات » .

وهنا أعرب الحاضرون ولاسيما المرسلون الأمريكيون عن رغبتهم فى لقاء تلك السيدة . وقد سألنى المعلم أن أجىء بالسيدة « بيبى راكهى » لبضع دقائق . »

ووصفت السيدة بيبى راكهى اختباراتها التى قمت بنقلها إلى الإنجليزية ، لفائدة أولئك الذين لم يستطيعوا متابعتها ، وبعد تلك الزيارة اقتنعوا تماماً .

الكارما ومعناها الحقيقى :

إن كلمة « كارما » تنقل إلى كثير من الناس مفهوم الثواب والعقاب - أى القانون الذى يفرض نفسه على الطبيعة والبشرية عن طريق قوة مقنعة خارجية . وإننا جميعاً نميل إلى أن نقول لأصدقائنا ، فى تلك اللحظات التى يبدو فيها كل شىء أمامهم حالكا : « إنها مجرد كارما سيئة » أو « من الواضح أنى أعمل على التخلص مما لدى من كارما سيئة » .

ونقول عكس ذلك حين تبدو الأمور فى بعض الأحيان على مايرام من الأمل والإشراق فى حدود قوة أو طاقة خارجية تصب علينا مشيئتها .

ومن المشاهد أنه على الرغم مما لدى البعض من الإنكار العنيدوالرفض الشديد لهذا الموضوع فإن هناك من المهتمين بعقيدة العودة للتجسد والمؤمنين بقانون الكارما من يعلنون بصراحة وبطريقة ثابتة، إيمانهم وصدق تجاربهم واختباراتهم فى هذه النواحى المادية بدقة ومهارة .

ولكى تكون كل من فكرتى العودة للتجسد والكارما ذات قيمة فعالةفى حياتنا فإنها تحتاج إلى إعادة النظر فيها وفحصها ودرسها مرة بعد مرة . أما التفكير السطحى المحروم من أية فرصة للمبادرة أو التفكير الشخصى فلا يقدم لنا الحقيقة التى ننشدها .

وإذا كان عندنا الإقتنـــاع ، بالتجربة ، بالـكارما وبالعودة للجسد ، فمن الواجب علينـا أن نطبق عمليـاً هـذه القضايا ، وندرس جـديا وبأمانة كل متضمناتها العميقة .

* * *

إذا ماسئلنا عن « الكارما » ماذا تكون ؟ .. لاشك أننا سنجيب تواً بأنها : « هى قانون السبب والنتيجة » .

ومن المؤكد أن « السبب والنتيجـة » إن هما إلا قطبين متقابلين لـ « شـىء » واحد .. وهذا « الشىء » هو الذى نطلق عليه « الكارما » . وهذا المعنى يقودنا إلى رأى آخر هو أن « الكارما» ليست هذا الشىء وليست الشىء الآخر ، وإنما هى : « مفهوم الشىء كما هو فى ذات نفسه ، أو كما يبدو للعقل المحض » (١) .

ونحن لايمكن أن نتصور أيا من السبب أو النتيجة بدون الآخر . ونعرف تماماً أن أحدهما بدون الآخر لايمكن أن يكون له معنى البتـة ، بل لايـكون له وجود إطلاقا.

فـا الـكارما إذن ؟ . .

الكارما هى الاعتدال ، أى الوسط بين أمرين مبالغ فيهما . . وهى الحقيقة المطلقة . . وهى الحياد الموضوعى الذى لايتأثر بالشعور الشخصى . .

وقانون الحياد هذا هو الذى يكون الحياة ، وينفخ فيها النشاط ، ويضفى عليها الشكل والجوهر . . وهو الخيط الرئيسى المتين الذى تقوم عليه الحياة برمتها . .

إنه فى بعض الأديان « **القانون** » . . ويطلق عليه المسيحيون «**المحبة**». . وهو عند المسلمين « **الارادة الالهية** » . . وكل هذه المعـانى إنمـا هى نابعة ومستمدة من مصدر واحد أزلى ، أبدى ، هو : « **الواحد الأحد** » .

وإذا نحن ابتعدنا أو خطونا خارج حدود هذه الحالة النقية من «الحب» أو

(١) كما فى الفلسفة الكانطية .

« القانون » ، فسرعان ماتتسبب فى اختلال التوازن ، بل وفقدان العقل ، ولكن عمل « الكارما » الآلى ، إنما يتجه دائماً إلى تصحيح الوضع فى التو ، ويميل أبداً إلى العناية والرعاية .

ومن هنا نرى أن هناك عدالة مطلقة تحكم العــالم . . ويفسر هذا بوضوح الحقيقة الفيزيقية التى تؤكد أن هناك ثباتاً وانتظاماً للمادة فى العالم . . وأن المادة فى حركة دائبة ، أى أن الذرات فى حركة دائبة أو ذبذبة ، وهذه الذبذبة تولدها الطاقة . ونحن لانستطيع إدراك هذه الذبذبة لأنها لاترى ولاتحس ولكن المقرر أنها موجودة ولولاها لكانت الحياة فى شكلها الحاضر مستحيلة . وحيث أن هناك احتمالا بوجود تغيرات لاتحصى فى الشكل والجوهر ، فإن المحتوى الفعلى والأساسى لدنيانا سيظل دائماً كما هو دقيقاً كل الدقة .

وهذا تفسير لافت للنظر ولاشك للقانون الذى يقوم بسلسلة عملياته فى كل مستويات الوجود . ومن هذا النظام الدقيق يظهر لنا جلياً وبطريقة معقولة لامبالغة فيها أن جميع الأشياء يمكن أن تحمل « جوهراً » أساسياً عاماً ــ وهذا بكل تأكيد يجب أن يسرى مفعوله فى كل شىء ، وينطبق على كل شىء ، سواء كان هذا الشىء ظاهراً أو خفياً . .

« إن هذا القانون الروحي ، قانون السبب والنتيجة ، والذى يدل فى أكثر الحالات على « نتيجة العمل » أو « ثمرة العمل » يعرف فى الشرق باسم « كارما » . فإذا تحدث طلاب الشرق عن « كارما » إنسان ما ، قصدوا أن مايحدث لذلك الإنسان تنفيذ لذلك القانون العام ، كل إنسان تسبب فيما يحل به ، وليس ثمة ما يدعونا إلى الفزع من معرفة هذه الحقيقة ، بل على العكس إذا عرفنا هــذه الحقيقة كانت آلامنا أقل وقعاً وكنا أقدر على تجنب ما ترتب عليــه من نتائج غير حسنة ، فإن حياتنا تكون سارة أو غير سارة تبعاً لما وضعنا لهــا من أسباب بما قدمنا من أعمال كذلك يتوقف تحملنا لمــا كتب لنا من أحداث على الطريقة التى نتحملها ونستقبلها بها ، فإن الفيلسوف يستطيع أن يرى الخير فى شر ما يحل به ، كما أن الجاهل قد يشقى بخير ما يأتيه

به «الكارما» على أنه سوء »(١).

المسئولية فى قانون الكارما :

كثير من المشتغلين بالفلسفة الشرقية يتصورون أن « الكارما » إن هى إلا قانون عقوبات وضعته وأصدرته وتسهر على تنفيذه السلطة الروحية القائمة. وهذا خطأ ، فإن الكارما ولو بدت فى كثير من الأحيان كأنها توقع عقوبة بمعنى أنها توقع الإنسان فيما يعادل ما أتى من عمل فى اتجاه مضاد لذلك العمل إلا أن ذلك ليس فيه معنى العقوبة أو الإنتقام ، إنما هو نتيجة عمل أو ثمرة زرع لا أكثر ولا أقل .

هذا ما يجب أن نتعلمه فى هذه الحياة . .

وهذا هو المفتاح الرئيسى لباب الحرية . . فإذا أمسكنا بهذا المفتاح بحزم ثابت وعزم لا يعتريه الشك ، أمكننا أن نديره فى قفل الحياة ونفتح الباب المؤدى إلى حريتنا على مصراعيه . .

ولهذه الحرية إسم آخر - ولعله يكون شائعاً ذلك الإسم الذى ينطوى بصدق على السلوك الأخلاقى فى العالم - هو : « المسئولية » .

وإلى أن يكون فى استطاعتنا أن نبلغ الكمال ، وأن نكون ذوى مسئولية ، قادرين على الوفاء بالتزاماتنا ، لا يعرف الخوف طريقاً إلى قلوبنا . . لا نخشى مغبة أى شىء فى الحياة مهما تكن النتائج . عندئذ سنكون ذوى قوة أخلاقية . . فعلينا إذن أن نكون وراء القانون ، وأن نكون معه ، وفى داخله ، ونكون جزءاً داخلياً متداخلا ضمن حدوده . .

وربما يدهش البعض أو يستخف عندما يفكر أن ما اتجهنا إليه بالنسبة للسلوك الأخلاقى لا يعدو أن يكون مدينة فاضلة مقدسة ، أو مجتمعاً مثالياً لا حكومة

---

(١) عن كتاب « فلسفة اليوجا » تأليف يوجى راماشاراكا ، ترجمة الأستاذ هريان يوسف سعد ، مراجعة دكتور محمد مصطفى حلمى ص ١٦٦/١٦٧ .

فيه ، ويتألف من أفراد متمتعين بالحرية الكاملة ، وأن كل إنسان فيه إنما هو قانون نحو نفسه . . وأن من السهل جداً أن لا يكون الإنسان ضد « القانون » إذا كان هو نفسه « القانون » .

ولكن الواقع أن دراسة الكارما تفضي بنا إلى قانون يعمل من أجل حياة واضحة ومدركة بيسر . وأن الخلاف المستتم للنقائض والأضداد يجعلنا ننظر إلى « الكارما » نظرة صحيحة ، قوية ، منصفة ، تؤدى إلى التقائنا بـ « الحقيقة » عارية ، واضحة ، لاعوج فيها . .

حرية الارادة :

إننا نعود من العالم الآخر ومعنا حرية الارادة المطلقة كيما نتعلم الدروس التى نسيناها فى التجسدات السابقة . ونعود إلى عالم متعمد فيه أن يكون صعبا من جميع الوجوه ، مليء بكل ما يغرى ويغوى ، حافـــل بالمتاعب والمصاعب والعقبات .

وبالتعود على استغلال حرية إرادتنا المطلقة،وباستعمالها على الوجه الصحيح، وباتخاذ قراراتنا بأنفسنا ، يمكننا أن نتغلب على تلك العوائق التى تعترض سبيلنا، ونذلل العقبات التى تواجهنا ، ونغدو أقوى بكثير مما كنا ، ونرتقى روحيا . .

إن الخالق جل وعلا يريد منا أن نكون أقوياء ، أتقياء ، أنقياء ، متمتعين بالاكتفاء الذاتى ، ذوى نفوس على درجة سامية من الرقى والنماء الروحى .

ثم إنه تعالى لا يساعد مخلوقاته فى حل مشكلاتهم بطريقة عفوية أو تلقائية ، لأنه إذا فعل ذلك ـ وهو الفعال لما يريد ـ فإنما يحرمهم من حرية ارادتهم . .

ولكننا عندما نحاول جهدنا عمل الشيء الصائب الصحيح ، فإن القانون الطبيعى يتدخل فى العملية أوتوماتيكيا ويصبح رهن الإشارة حين نكون فى حاجة إلى المساعدة . .

لقد خلق الله الإنسان حراً ، عاقـــلا ، مريداً ، قادراً على رؤية الحقيقة

وإدراكها . منهما إدراك خلوده ، ذلك أنه لم يخلق جسداً فقط ، وإنما وهب روحاً خالدة ترى الله ، وتستنير بهداه . .

وكنتيجة لهذا الفهم يعتقد أوريجانوس « أن الإنسان من خلال حرية إرادته يستطيع أن يصل إلى أعلى درجات الفضيلة . والله لا يريدنا أن نعمل الفضيلة إلا ونحن في ملء حريتنا » .

ويقول برتراند راســـل : « لما كانت الفضيلة قائمة في الإرادة ، فكل ماهو خير حقا في حياة الإنسان يتوقف عليه هو نفسه » .

ولقد تناول كثير من الفلاسفة وفي جميع العصور موضوع حرية الارادة الإنسانية ومنهم: القديس أوغسطين، وديكارت، وكانط، وهيجل، وولم جيمس، وبرجسون، وسارتر . ولو أننا تصدينا لموقف كل من هؤلاء الأعلام إزاء حرية الإرادة ولرأى كل منهم فيها لا حتجنا إلى مطولات ، فليكن رزقنا من هذه الذخائر بعض الشذور المنيرة :

يقول وليم جيمس :

« الإنسان دائما حر مختار ، وبين هذه الألوان من الاختيار تتضح سمات الحقيقة الواقعة ، وتستبان خصائص العالم ،والاختيار يمضي من المـــاضي وينفذ خلال الحاضر وينطلق إلى المستقبل . وفي كل اخـــتيار بداية عادة ، أو نهاية قانون ، واشارة إلى إمكانيات مستقبلة سيتقرر مصيرها باختيار جديد .

« إن هذه النظرية تلقى على كاهل الإنسان مسئولية ضخمة ، فهي لا تجعلنا مجرد حلقات في سلسلة قد تقرر مصيرها بفضل دوافع خارجية عنا وخاضعة لضرورة مطلقة لايد لنا فيها، وإنما يتمثل في هذه المسئولية فاعلية الإنسان في العالم ، وقدرته على الخلق والتجديد والإبداع » (١)

---

(١) عن كتاب « وليم جيمس » للدكتور محمد فتحي الشنيطي ، طبعة أولى ١٩٥٧ ص ١٦٢ / ١٦٣ .

ويقول ديكارت :

« . . . ولكننا لن نجد صعوبة ما فى التخلص من تلك المشكلات ، إذا لاحظنا أن فكرنا متناه ، وأن قدرة الله الكاملة لا متناهية ، تلك القدرة التى عرف بها من الأزل ، وأراد كل ما كان وما يمكن أن يكون . وعلى ذلك ، كان لنا من العقل ما يكفى لأن نعرف بوضوح ، ونميز أن تلك القدرة فى الله ، لا لأن نفهم مدى تلك القدرة إلى الحد الذى نعلم عنده كيف تسمح بأن تكون أفعالنا حرة تمام الحرية غير محتومة على الإطلاق. ونحن من جهة أخرى على يقين من الحرية ، وعدم التعيين القائمين فينا بحيث لا نعرف بوضوح شيئا أكثر . وعلى ذلك لم تكن قدرة الله الكاملة مانعاً من تيقننا هـــذا ، وأننا نخطىء لو شككنا فيما ندركه فى أنفسنا ، ونعلم بوجوده فينا بالتجربة . وذلك لأننا لانفهم شيئاً آخـــر نعلم أنه بالطبيعة ممتنع على الفهم » (١) .

ويقول القديس أوغسطين :

« . . . أولا : من المحال ألا يعلم الله المستقبل ، ومن المحال أن يعلم أفعال المخلوقات من المخلوقات أنفسها ، فيكون منفعلا بها وهو العلة الفاعلية الأولى ، بل إن كل إرادة خاضعة لله حتما ، غير أن الإرادة الصالحة تخضع حرة ،والإرادة الشريرة تخدمه خدمة الأمة .

ثانياً : إن النعمة الإلهية ضرورية لكل فعل خير ، وبنوع خاص فى المجال الفائق الطبيعة ، أى للإيمان بالحقائق الموحاة ، ولإعطاء الأفعـــال خيريتها فائقة الطبيعة . الأفعال أفعال الإنسان ، ولكنها أيضاً أفعـال الله ، بحيث يكون لها علتان إحداهما خاضعة للأخرى فاعلة بتوجيهها وقدرتها . فليست النعمة ملاشية للحرية ، وإنما هى معينة لفعل الخير ، وليس سبق علم الله بالأفعال حجة ضد الحرية . فإن توقع الفعـل الحر ، ولو كان توقعاً محققاً لايرفع عنه صفة الحرية .

---

(١) عن كتاب « ديكارت » للدكتور نجيب بلدى ص ٢١٣ / ٢١٤ .

إن الله يتوقع الفعل ، وإذن سيكون الفعل ، والله يتوقع الفعل حراً صادراً عن ميل الإرادة واختيارها ، وإذن سيكون الفعل حراً مختاراً. مم يمكن أن تشكو الإرادة ؟.. إن الله هو الخير بالذات ، ولا يوجه المخلوق إلا للخير ، والخير هو المطلوب ، ولأجل هذا أعطانا الله العقل نصل به الخير ، وأعطانا المحبة نميل بها إلى الخير المعلوم ، والعقل والمحبة مبدأ الحرية . وكلما طاوعنا هدى العقل وتحررنا من الشر إزدادت الإرادة حرية » (١) .

أما الفيلسوف هنرى برجسون ـ الذى يعد أبرز فيلسوف فرنسى منذ ديكارت ـ فله فلسفة مفرطة فى عمقها عن حرية الإرادة . فهو يذهب إلى « أنه مهما كان تصورنا للعلية (أى مبدأ السبب والنتيجة) فإن من المؤكد أن هذا التصور لا يهدم الحرية . ذلك لأننا إذا نسبنا إلى الظواهر الطبيعية علية صارمة واطراداً ضرورياً ، فإن معنى هذا أننا ننكر عليها كل ديمومة ، وهذه الديمومة نفسها هى التى ستجعل من الذات « التى تدوم » ـ فى نظرنا ـ قوة حرة . وأما إذا نسبنا إلى الظواهر الطبيعية والظواهر النفسية ـ على حد سواء ـ ديمومة حقيقية يمتنع معها وجود علاقة تحديد ضرورى بين العلة والمعلول ، فقد نسبنا إلى كل من الطبيعة والذات تلقائية حية فيها يحل « الإمكان » محل « الضرورة » . وإذن فإن كل تصور واضح للعلية لابد أن يؤدى بنا إلى فكرة الحرية الإنسانية ، لأن هذه الفكرة هى نتيجة ضرورية تترتب على الفهم الصحيح لفكرة العلية .. » (٢) .

ويقول برجسون أيضاً :

« لما كان الجانب الأكبر من وجودنا إنما ينقضى فى المكان أكثر مما ينقضى فى الزمان ، ولما كنا نحيا للعالم الخارجى أكثر مما نحيا لذواتنا ، بل لما كنا نتحدث

---

(١) عن « تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط » للدكتور يوسف كرم ص ٤١/٤٣ .

(٢) عن كتاب « برجسون » للدكتور زكريا ابراهيم ص ٩١/٩٢ .

أكثر مما نفكر ، ونتأثر أكثر مما نؤثر ، فإننا لانتمتع بالحرية إلا لماماً . والحق أننا نعيش فى معظم الأحيان خارج ذواتنا ، ولهذا فإن المرء لايكاد يدرك من ذاته الشبح الباهت الذى هو أقرب مايكون إلى « ظل » تسقطه الديمومة المحضة على المكان المتجانس . وأما حينما يستجمع المـــرء ذاته ، وحينما ينفذ إلى صميم الديمومة فهناك لابد أن يشعر بحريته . فليس العمل الحر سوى استعادة لزمام النفس ، واسترجاع محلنا فى باطن الديمومة المحضة .

« ولكن على الرغم من أننا ندرك أن حريتنا هى وليدة تلك العملية الإرادية التى فيها تنفذ إلى باطن ذواتنا ، فإننا مع ذلك قلما نريد تحقيق تلك المهمة لأننا كثيراً مانؤثر الآلية الشعورية على النشاط الحر . . ولـكن شتان بين « مشكلة » الحرية ، و « واقعة » الحرية : فإن الأولى منها وهم ، والثانية حقيقة الحقائق ، وربما كانت الحرية هى الأصل فى كل ماتنطوى عليه حياتنا من جدية . . أليس كل مافى الحياة من معنى وقيمة وخطورة إنما مصدره « نحن » ، ومايبنعث منا ، ومايكون صميم وجودنا ؟ »(١).

---

(١) نفس المرجع ص ٩٤/٩٥ .

تفسيرات عصرية ومحاورات فلسفية

كثير من الناس يؤمن أو يريد أن يؤمن بأن لنا بعد انتقالنا إلى العالم الآخر أكثر من وجهة إلى الحياة الدنيا .. فلماذا كان هذا الإعتقاد قويا ؟ ..

لقد تصدى لعقيدة الولادة الثانية عالم إسلامى كبير يعتد برأيه هو الأستاذ عبد الرزاق نوفل عضو مجمع البحوث الإسلامية . وقد أثارهـا فى أحد كتبه الإسلامية القيمة . وقام بمحاولة جادة للتدليل عليها من واقع ملاحظاته الشخصية وفى إطار تفسيره لبعض الآيات القرآنية . فهو فى كتاب « أسرار وعجب » يتساءل (١) :

« إذا كان القرآن قد سبق بعشرات المئات من السنين فى إيراده الحقائق العلمية فهل أورد القرآن الكريم ما يشير إلى ما قبل حياة الجنين ، وهل قرر وجود حياة سابقة للإنسان على حياته الأرضية بما فيها حياة الجنين ؟ .. إذا كان قد أورد ما يفيد وجود حياة سابقة للإنسان ، فيا ترى كم سيكون سبق القرآن الكريم العلم . . وقد مضى حتى الآن على نزوله أربعة عشر قرنا من الزمان ؟ ولم يصل العلم إلى شىء عنها . بل لم يصل إلى سبل البحث والدراسة فيها . . »

ثم يجيب على هذا التساؤل بقوله :

« إننا لو تدبرنا آياته الشريفة ودرسنا ما تشير إليه الآيات الخاصة بخلق الإنسان ، لوجدناها تقرر بصراحة ووضوح ، وبلا أى لبس أو غموض وجود حياة سابقة للإنسان على حياته الأرضية ، فيقول القرآن الكريم :

« أولا يذكر الإنسان إنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا »

(٦٧ سورة مريم)

لا يشير لفظ ـ قبل ـ إلى ما قبل الحياة الدنيا . وإلا إلى أى قبل يشير ؟ ..

---

(١) ص ١٨

إن أول معرفة للإنسان هى معرفته الحياة الدنيا ، وتكون (قبل) هى قبل ما يعرف . . أى قبل حياة الدنيا . . كما أن القبل ورد فى الآية قبلا مطلقا . . مما يجعله عاما ينطبق على كل شىء . وعلى كل أمر ، مما يعرفه ويعهده الإنسان . ولخطورة ما تشير إليه القبل تطالب الآية الشريفة الإنسان أن يبحث ويناقش ويدرس ويجتهد لعله يتذكر . فيذكر أن له خلقا سابقا على حياة الأرض . .

إلى أن يقول :

« وتفيد آيات القرآن الكريم وجود خلق أكثر من مرة للإنسان . مما يؤكد ويساند هذا الرأى . وذلك فى مثل النص الشريف :

« وهو خلقكم أول مرة » (٢١ سورة فصلت)

فذكر القرآن الكريم الخلق أول مرة ، إنما يفيد وجود أكثر من خلق . وهذا الخلق الآخر المقصود غير قيام الناس يوم القيامة . إذ أن القرآن الكريم لم يطلق على قيام القيامة بالخلق وإنما أطلق عليه البعث »[1]

ويقول :

« وليس الفارق بين الخلق أول مرة ، والخلق الآخر ، فى أن الإنسان لم يكن فى الخلق الأول شيئا ما . . فقط ، وإنما من ضمن الفوارق بين الخلق أول مرة وغيره ما أوردته الآية الشريفة :

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة » (٩٤ سورة الأنعام)

« أى أن الخلق الأول يتم فيه خلق الإنسان ، فرديا . . والفردية فى الخلق تجعل الإنسان بلا توأم وبلا إخوة ، وليس كما يحدث فى حالة الجنين فى الخلق العادى فى الحياة الدنيا ، والتى تجعل الإنسان ناتجا من أب وأم فهو لهما ، وبأخوة له منهما . »[2]

---

(١) ص ١٩ و ٢٠

(٢) ص ٢٠

«وفى نفس المعنى، وتوضيحاً له نجد أن هناك آيات كريمة من القرآن الكريم قد أوردت إعادة الخلق مما يؤكد وجـــود أكثر من خلق . وذلك يمثل النص الشريف :

«قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون» (٢٤ سورة يونس)

وهذا النص يشير علاوة على زيادة الخلق عن مرة، إلى أهمية الخلق الذى بدأ به الخلق ..

«ولعل أمر وجود حياة الإنسان سابقة على حياته الدنيا يتأكد بنص صريح وواضح بحيث لا يحتاج إلى تدليل أو إثبات بعد أن قالت بها الآية الشريفة فى نص جلى وبيان قاطع إذ تقول :

«ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجـــدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين» . (١١ سورة الأعراف)

«فبألفاظ واضحة، وقول صريح تقرر الآية الكريمة أن هناك خلقاً للبشر جميعاً وتصويراً كاملا لهم فى حياة سابقة للإنسان .. ولكنها حياة قديمة وضاربة فى القدم، عن الحياة الدنيا .. إنها كانت هناك فى أعماق سحيقة من ماض رهيب، قبل الحياة الأرضية بأزمنة غابرة .. بل ترجع إلى ماقبل إعداد الأرض لتلقى حياة الإنسان عليها إذ أنها تسبق قصة آدم مع الملائكة .. فلقد كانت هذه الحياة السابقة وكانها الإيذان بقرب حياة الأرض للنوع الإنسانى ..(١)» .

ولقد كان الأستاذ نوفل موفقاً فى التمهيد لعرض نظريته فى وجـــود حياة سابقة بما سرده من المشاهدات التى يؤيد بها هـــذه النظرية وهى وثيقة الصلة بموضوع «النبوغ المبكر عند الصغار» الذى أفردنا له فصلا خاصاً، فيقول :

« . . . ففى كل بلدة، وفى كل قرية، نسمع عن أطفال دون الثامنة، حتى دون السادسة قد أتموا حفظ القرآن الكريم، دون أن يستطيعوا حفظ غيره،

---

(١) ص ٢٢ .

بهذه الدرجة إطلاقاً . . وإلى هذا الحد ، يقينا . . وما وجدنا حالة واحدة ، حتى على سبيل الاستثناء ، أو حتى تعتبر من الشواذ ، تمكن طفل السادسة أن يحفظ مادة من المواد ، أو يستوعب كتابا من الكتب ، قراءة وحفظاً ، وتجويداً ، وتشكيلا ، فهل من تفسير إلا أن الطفل مازال أقرب إلى الفطرة التى خلقه الله عليها . وبذلك فهو على صلة بما سبق أن كان عليه ، عند خلقه . .

« فهل سبق أن تعلم الإنسان القرآن الكريم ، قبل أن يصل إلى مرحلة الإدراك الأرضى أم أن الفطرة التى ولد عليها كانت تستوعب القرآن الكريم؟ . » إذ لا تفسير لما سبق إلا أن يكون الإنسان قد سبق أن تعلم القرآن الكريم فى حياة سابقة على حياته الأرضية» (١).

ويفسر لنا الأستاذ عبد الرزاق نوفل قوله تعالى من سورة الأعراف ١٧٢ / ١٧٣ .

« وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » . بأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الخلق جميعاً ، يوما ما ، قبل مولدهم المعروف ، فأخذهم من ظهور آبائهم وأشهدهم على أنفسهم بأنهم به يؤمنون .

ويضيف الأستاذ نوفل إلى ماتقدم قوله :

« هكذا تأكد الأمر ،ووضحت الحقيقة . ولم يعد هناك أى مجال للبحث . فلقد كان للإنسان حياة سابقة على حياة الأرض . . فكم ياترى استمرت هذه الحياة ؟ . . وعلى أى شكل كانت ؟ . وكيف كان يعيش الخلق ؟ . . وهل كانوا جميعاً فى وقت واحد ؟ أم تعاقبت الخلائق ؟ وكم ظل الإنسان فى هذه الحياة . . لاشك أنها فترة طويلة إذا تعلم وشهد وأقر . ثم رجع إلى ظهر آبائه . حتى يحين

---

(١) ص ١١/١٣ .

موعد مولده فى الحياة الدنيا .. (١)».

. ولم يفت الأستاذ نوفل أن يتحدث عن الغرائز فيقول :

« هذه الغرائز التى تحكم الإنسان دون أن يعيش فى الحياة الفترة المناسبة ودون أن يتعرض للأحداث التى تعلمه وتخلق فيه هذه الغرائز . ويتصرف بها وكأنه عاش التجارب كلها وعرف مايجب أن يكون عليه تصرفه فى كل حالة. هل هى كما يقول البعض أنها غرائز هكذا ولدت مع الإنسان . وكيف وهى حصيلة تجارب وخبرات ، ولم يقم بها الإنسان فى حياته الدنيا .. فهل قام بها فى حياة سابقة وتعرض فيها إلى ما أوجد عنده هذه الغرائز ؟ .

«إن العلم لايمكنه أن يرد على ذلك أو يصل فيه إلى رأى . فإنه إذا كان قد استطاع إثارة ذاكرة الإنسان بوسائل معملية ليتذكر بها حياته الجنينية ، وبعض ماكان عليه فيها ، طمعاً فى دراسة كاملة وشاقة لحياة الجنين الخافية ، لاسيما فيما يختص بالمعرفة والإدراك والوعى . وما يكون لدى الجنين من خبرات وهو مازال فى رحم أمه . وخصوصاً فى أيامه المبكرة . فإن البحث عما قبل الحياة الجنينية أمر فوق طاقة العلم حتى الآن .. (٢)».

هذه هى آراء العالم الدينى الأستاذ عبد الرزاق نوفل فى الولادة الثانية ، وفى استمرار دورة الحياة الأبدية ، وفى النبوغ المبكر عند الصغار .

وبفضل هذه الأفكار النيرة التى يسوقها الأستاذ نوفل فى هذه الأيام نجد تعانقاً مؤثراً بين القديم والحديث . ففى الحوار الذى دار بين سقراط وسيبيس وسيمياس فى محاورة «فيدون» نجد مايأتى (٣) :

---

(١) ص ٢٣ / ٢٤ .

(٢) ص ١٦/١٧ .

(٣) محاورة «فيدون» كتبها أفلاطون بعد أن أكمل رحلته الكبرى فى مصر وقوريفيا وقبرص .. كتبها فى صورة أمثلة واستحضارات رياضية ، ووضع =

حجة التذكر :

« حينئذ استأنف سيبيس الحديث قائلا : فى الحقيقة أن ذلك أيضا هو معنى الحجة المشهورة ، والتى تعودت أن تتحدث عنها كثيرا . إن تعلمنا ليس فى الحقيقة إلا تذكرا . وطبقا لهذه الحجة إنه لضرورة من غير شك أن نكون قد تعلمنا فى زمن سابق ما نتذكره فى الوقت الحاضر . وهذا لايكون ممكنا ، لو لم تكن نفسنا فى مكان ما قبل أن نأخذ بالكون هذه الصورة الإنسانية . وعلى هذا النحو إذن من المرجح أن النفس شيء خالد .

« . . ثم أليس حتمــا ياسقراط أننا حالما نولد نشرع فى أن نرى ونسمع ونستخدم حواسنا الأخرى ؟ . . ـ بكل تأكيد . ولكننا قلنا إنه يجب أن نكون قد حصلنا من قبل على معرفة المتساوى . . . ـ نعم . . . ـ وإذن فمن الضرورى ، كما يبدو ، أن نكون قد حصلنا عليها قبل أن نولد .

« وهكذا ، فمــن حيث أننا قد حصلنا عليها قبل الولادة ، وحيث أننا استخدمها عند الولادة ، فإلى ذلك كنا نعرف قبل أن نولد ، وحين الولادة ليس فقط المتســاوى والكبير والصغير ، بل كذلك كل ما هــو من هذا القبيل . أليس الأمر كذلك ؟ . . لأن حجتنا الآن ليست متعلقة بالمتساوى وحده ، بل بالجميل فى ذاته ، والخير فى ذاته ، والعادل والقديس وعلى العموم طبقا لتعبيرى ، كل ما هو عليه طابع (الوجود بالذات) ، سواء كان ذلك فى الأسئلة التى توضع أو الأجوبة التى تلقى ، بحيث أنه من الضرورى لنا أن نكون قد حصلنا على معرفة كل هذه الاشياء قبل الميلاد . على فرض أنه بعد أن نكون قد حصلنا عليها لا ننساها أبدا . وأن نولد دائما ومعنا هذه المعرفة ، وأن نحفظها دائما مدى

= هذا كله على لسان سقراط . ولكن سقراط لم يكن إلا شخصية لمحاورة مؤلفها أفلاطــــون . وهى وثيقة نادرة على ما انتهى إليه فكره . ولا صلة لها بسقراط إلا من حيث أنه ظهر فيها يتكلم باسم فيلسوف الأكاديمية .

الحياة . والمعرفة هى فى الواقع ما يلى : أنه بعد معرفة أى شىء ، دون أن يكون هذا تحت تصرفنا ، وألا ننساه أبداً . أليس (النسيان) هو ترك معرفة ما ؟ . . فقال : بدون أدنى شك ياسقــــراط . . . ـ وفى مقابل ذلك يمكن أن نفرض فيما أعتقد ، أن هذا الاكتساب السابق لولادتنا قد فقدناه عند الولادة ، ولكن عند ستعمال حواسنا فيما بعد تجاه هذه الأشياء التى نحن بصددها فإننـا نكتسب من جديد المعرفة التى حصلنا عليها فى زمن ماض. أليس إذن ما نسميه وتعلماً، إكتسابا جديداً لمعرفة هى ملكنا ؟ وبدون شك إذا ما سمينا ذلك « تذكرا » ألسنا محقين فى تسميتنا ؟ ـ بكل تأكيد .

« . . فالناس إذن يتذكرون ما عرفوه فى زمن مضى . ـ هذا بالضرورة . ـ وماهى هذا الوقت الذى حصلت فيه نفوسنـا على معرفـة هذه الحقائق ؟ ـ من المؤكد أن هذا الوقت لا يمكن تعيينه ابتداء من ساعة ميلادنا الإنسانى . ـ كلا بالتأكيد ! . .

ــ إذن هل يكون ذلك قد حصل من قبل ؟ ـ نعم .

ــ ومن ثم فالنفوس ، ياسيمياس ، كانت موجودة ، قبل وجودها فى الصورة الإنسانية ، منفصلة عن الجسد ومالكة للفكر .

ــ ألا تكون ، ياسقراط ، لحظة ميلادنا هى اللحظة نفسها التى نحصل فيها هذه المعارف ، لأن ذلك أيضا وقت يبقى لنا .

ــ ألا يمكن أن يكون هـذا حقا ياصاح ؟ ولكن حينئذ فى أى وقت نفقدها لأنه من المؤكد إننا لم نكن نستخدمها عندما ولدنا ، وقد اتفقنـا على ذلك منذ لحظـــة . . . » [١]

* * *

(١) عن كتـاب « الأصول الأفلاطونية ـ فيدون » ترجمة الدكتور نجيب بلدى والدكتور على سامى النشار الجزء الأول ، الطبعة الثانية ص ٥٠ / ٩٧

لقد اختص أفلاطون هذه المسألة بقسط كبير من عنايته . ذكرها فى جميع كتبه . خصص لها محاورة « فيدون » حيث يأتى بثلاثة أدلة : أولها عرض لرأى متواتر يقول إن النفس التى تولد فى هـــذه الدنيا تأتى من عالم آخر كانت ذهبت إليه بعد موت سابق . وأن الأحياء ينشئون من الأموات ، فإذا صح هذا الرأى فإن النفس لا تموت بموت الجسم . والدليل الثانى يدور على تعقل المثل : فإن المثل بسيطة ، ومن ثمة فهى ثابتة ، إذ أن المركب هو الذى ينحل إلى بسائطه ويتحول ، أما البسيط فلا يجوز عليه تحول أو انحلال . فلابد أن تكون النفس التى تعقل المثل شبيهة بها ، على حسب القول القديم : « الشبيه يدرك الشبيه » . وعلى ذلك فالنفس بسيطة ثابتة . والدليل الثالث قائم على نظرية المشاركة : لما كانت النفس حياة ، فهى مشاركة فى الحياة بالذات ، ومنافية للموت بالطبع . وليست تقبل الماهية ما هو ضد لها . فالنفس لا تقبل الموت . فى نهاية حياتها الأرضية الأولى ، تعود النفس إلى العالم الآخر : الصالحة إلى السماء تنعم فيها ، والشريرة إلى أحشاء الأرض تكفر عن آثامها . .

« بعض نفوس الأشرار قد تخلد فى العذاب ، وقد تفنى ، لكثرة ما تمادت فى الاثم . أما باقى النفوس الشريرة ، وكل النفوس الصالحة فتعود ، بعد ألف سنة ، إلى أجسام جديدة ، إلى تناسخ أول . تختار هذه النفوس بالقرعة نوع حياتها الجديدة ، ونوع بدنها ، فتكون رجلا ، أو امرأة ، أو حيوانا ، وتسلك سبلا من العيش لا تحصى . وقد تختار نفس صالحة حياة سيئة ، كما قد تختار شريرة حياة سعيدة . ثم تشرب كل هذه النفوس شرابا ينسيها كل ما رأت ، وتنام لتستيقظ نصف الليل ، على صوت صاعقة ، وتغور عبر السماء حتى تنتهى إلى ما اختارت من أجسام أرضية .

« ويتكرر التناسخ لهذه النفوس ألف سنة بعد ألف . بعضها يشقى وبعضها

ينعم ، إلى أن يتم لها عشرة آلاف سنة من التناسخ والجهاد . وحينئذ تعود جميعها إلى عالم الكواكب ، وتقوم بمحاولات جديدة لتطل على عالم المثل . فللنفوس البشرية أدوار : كل عشرة آلاف سنة تحاول مشاهدة المثل : إن استطاعت عاشت دورة عشرة آلاف سنة أخرى سعيدة فى عالم الكواكب ، وإن عجزت هبطت إلى عالم الأبدان مدة عشرة آلاف تتجسد وتتناسخ ، وتعود فى نهايتها إلى عالم الكواكب لتقوم بمحاولة جديدة . » (١)

---

(١) عن كتاب « أبو نصر الفارابى : كتاب الجمع بين رأيى الحكيمين » الدكتور ألبير نصرى نادر - الطبعة الثانية بيروت ص ١٣ .

أين كنا قبل أن نكون

إن أكثر المؤثرات استعصاء وعمقا فى حياتى وحياتك وحياة كل إنسان ، منذ الولادة حتى الموت ، هى التذكرات المغمورة لتجسداتنا السابقة .

قد يحدث أن نتذكر ! . . وقد تكون الدوافع التى تستحثنا إلى هذا الطريق أو ذاك ، والنزعات الأساسية للمزاج الذى يقرر حبنا لهذا وبغضنا لذاك، ميولنا، مطامحنا ، إجحافنا ، تحاملنا على الغير ، والمقياس الشخصى الذى يقيس به كل منا حياته - قد يكون كل هذا حصادنا من الحقول الفسيحة لتلك التذكرات القديمة . . وهذا ما يمكن أن يكون مثالا للدور الحيوى الذى تؤديه تلك التذكرات فى مصير البشر .

وسيعرف القارىء الذى درس شيئا عن « الاختطاط »(١) Graphology ، أنه بالرغم من أن نموذجا من الخط يمكن أن يمدنا حتى بالتافه من الخصوصيات الشخصية المتعلقة بالمزاج ، فإنه - على غير المألوف - لا يكشف عن العامل الجذرى الجوهرى كجنس صاحب الخط . لماذا كان هذا ؟ . . ذلك لأن الخط إنما يسجل الصفات السيكولوجية فقط لا الصفات الفيزيقية . ولأن التركيب السيكولوجى عند كل فرد منا ، تلتقى فيه عناصر كل من الذكر والأنثى وتختلط فيه بنسب متفاوتة . وبعبارة أخرى ، هناك نساء مسترجلات ورجال تغلب عليهم الأنوثة . وأما زونات(٢) اليوم فى جيلنا ، تلك النسوة اللاتى يحاولن أن يجعلن من أنفسهن رجالا ، قد احتللن جسما ذكرا فى سلسلة متوالية متتابعة

---

(١) الاختطاط : فن معرفة خلق الشخص من خطه .

(٢) الأمازونات : فى الأساطير اليونانية ، مجموعة من النساء المحبات للحرب والقنص ، قاتلن ضد اليونان فى حرب طروادة ، وكن يقتلن أطفالهن الذكور، كما كن يقطعن الثدى الأيمن ليسهل لهن إطلاق القوس .

من الحيوات الماضية . وهن اليوم يعانين من تجربة تنطوى على الضيق والبلاء لاسترضاء استراتيجيتهن الذكورية بوسيلة جديدة ، أنثوية ، غير مألوفة .

والتذكرات الفطرية للحيوات الماضية تأثير أقوى بكثير من استقطابيتنا الجنسية الأساسية . فجميع اتجاهاتنا ، ومواقفنا الأساسية إنما يلونها هذه التذكرات . وإنها لمسئولة أيضا ، ضمن أشياء أخرى ، عن تلك العلل فى طب الأمراض العقلية ، والهرع (١) والرهاب (٢) والعصابات (٣) . ولكننا قبل أن ننظر فى مثل تلك العلل الجسدية أو العقلية ونتعرض لها بأية تفصيلات ، يمكن أن يكون من المفيد أن نجرب التقنية النفسية الفعلية التى تعتمد عليها الولادة الجديدة. وهـــذه التقنية أو الميكانيزم هى **قانون الكارما** . .

والكارما ـــ خادمة العودة للتجسد ـــ ، هى ، كما قلنا من قبل ، قانون السبب والنتيجة ، قانون العلة والمعلول . « ما يزرعه المرء سوف يحصده » و « كما تدين تدان » . ولقد غامرت ، فى خلال السنين القليلة الماضية بعض التأملات بعيدة الاحتمال فيما يتعلق بقانون الكارما ، فوصفته بأنه نوع من الإنتقام الإلهى الذى يتعذر اجتنابه أو تغييره . ولقد خيل إلى بعضهم ، على سبيل المثال ، أن الإنسان إذا كان متنافراً وغير متعاطف نحو جاره الأعمى ، فإنه سيفقد نعمة البصر فى حياة مستقبله . . وهذه الصورة وغيرها من الصور المماثلة التى لا تعد ولا تحصى، قد امتدت جذورها وتأصلت عن سوء فهم لقولة المسيح : « كما يزرع الإنسان إياه يحصد » . . ولنا أن نذكر أن المسيح كان يتحدث بذلك مع أناس بسطاء ، يعيشون على زراعة الأرض ، ولذلك فإنهم لم يسيئوا فهمه ، وعرفوا أن البذرة

---

(١) الهرع : **hysteria** ـ اضطراب عصبى يسبب نوبات عنيفة من الضحك أو البكاء ، أو يسبب ضروبا من الأمراض الوهمية أو فقدان السيطرة على الذات .

(٢) **phobia** : هلع مرضى من شىء معين أو طائفة من الأشياء معينة

(٣) **neurosis** : اضطراب عصبى وظيفى .

التى نثروها ، يمكن بعد عملية طويلة وسرية من التغير والنمو ، أن تعطى ثمرتها وتؤتى أكلها فى الفصل المناسب . وكان واضحاً لهم ، علاوة عـــلى ذلك ، أنهم لا يحصدون البـذرة ذاتها ، ولـكنهم يجنون الثمر أو النبت الذى تنتجـه البذرة . وبالمثل فإن أى إنسان يظهر تقصيراً فى حبه لإخوانه فى الإنسانية، سينال جزاءه نمساً أتلفتها الخسة وشوهتها الدناءة والأنانيه . .

والكارما غير بعيدة ، وليست مبهمة كما تبـدو للكثيرين . . إنهـا سائرة فى طريقها ،منهمكة فى عملهـا ، طوال أيام حياتنا ، ولـكن من وراء ستار . . إنها لقريبة منا جداً . . أقرب إلينا من حبـــل الوريد ، وإنها لتؤكد لنـا دائماً وبإلحاح مرة بعد أخرى أن شبيه الشىء منجذب إليه . وإذا نحن أعطينا السعادة الآخرين ، فإن الكارما ستجعلنا أيضاً سعداء . والتعرف السعيد الذى نـكشف عنه بهذه الطريقة ، لابد سيجذبنا بدوره إلى بيئـــة سعيدة .. وعلى هذا النسق يجرى القانون فى نظام ، قائماً بسلسلة عملياته بثبات ، وثقة ، واطراد ، على مدى التطور الكونى اللامتناهى للإنسان .

ماهو الإختلاف الجوهرى بين القديس والآثم ؟ لاشك أن الجواب هو أن الأول طيب وخير فى حين أن الآخر سىء وشرير . . وفضـلا عن ذلك ، فإن «الخير» و«الشر» إنما هما شيئان منظمان بطريقة إرادية بدون أى توافق مع الطبيعة. والعالم إنما يلجأ إلى الملاءمة معهما والرضا بهما لاشىء إلا لأنهما يقدمان نظاماً بدلا من العماء(١) .. لمـاذا يجب أن يكون هناك أناس طيبون وآخرون سيئون ؟ ...لقد عرضت حلول كثيرة غير مرضية وغير مقنعة لهذه المسألة وأشباهها من المسائل الخاصة بالتفاوت الاجتماعى والتباين البشرى ، ولم يكن هنـاك سـوى « العودة للتجسد » مايقدم المفتاح الرئيسى . إن القديس هو الأخ الأكبر للمخطىء . وله

---

(١) العماء : الشىء الغامض غير المعين .

تجسدات أكثر مقيدة لحسابه . إنه « نفس قديمة » فى الكون . وذلك لأنه اجتاز هذا العالم الفانى مرات ومرات أكثر من أخيه الأصغر ، وكانت له تجربة فى الحياة أعظم . أما طريق الأراذل والأشرار والأنانيين ، فهو بالنسبة له طريق بغيض وكريه ، حيث يمكنه أن يقول بصدق وإخلاص : « لقد اجتزت هذا الطريق منذ زمن طويل ورأيت أنه يؤدى إلى العذاب » . ويتذكر الألم القديم الذى كان يقاسى منه حينما كان يسلك طريق الغرور وحب الذات إلى نهايته . وعند النهاية كانت الكارما فى انتظاره . ولقد نسج وليم بليك (١) الشاعر والرسام الملهم هذه الحقيقة فى قوله المأثور : « إن طريق التطرف والإفراط يقود إلى قصر الحكمة » .

وعمر النفس ، بطبيعة الحال ، كالعمر الفيزيقى - يتقدم إلى أمام تدريجيا . فأنت يمكن أن تكون نفساً عجوزاً متقدمة فى السن ، بدون أن تطوق بهالة التقديس . ومع ذلك ، فأنت من المؤكد تحمل صفات مميزة معينة ترسم الخطوط التى تظهر حدودك : أولا ، إن تمام النضج فى النفس من شأنه أن يتخلى عن كل تلك التوافه والآثار الحقيرة التى لاطائل تحتها والتى لايتأتى منها إلا البؤس والشقاء . وسوف تكون العلامة المميزة الثانية خبرتك الواسعة ، الخلاصـــة المقطرة لمعرفتك السابقة . وللأخوة الكبار طاقة مذهلة فى اجتذاب خبراتهم بالفريزة . فلقد شهدوا ، مراراً وتكراراً ، مجموعة المناهج كلها التى أعدت كيما تزيل الأشواك الملقاة على الطريق .. وكثيرا ما رأوا بعض النظم وهى تنجح وبعضها الآخر وهو يخفق .. والتلقين البطىء فى هذه الحالة يمكن أن يفضى إلى نموذج من العقل خاص.

---

(١) William Blake : (١٧٥٧ - ١٨٢٧) شاعر وفنان انجليزى ، كان يحفر كتبه بنفسه على النحاس ، وخلف رسوماً مائية عديدة ، له فلسفة فى شعره ملخصها أن الخير لايتحقق إلا بعد خوض تجربة الشر . فى شعره روحانية عميقة . وقد أثر فى الشاعر العربى جبران .

ولقد قال أحدهم ذات مرة إن المرء لايؤلمه مايحدث أكثر مما تؤلمه الصورة الذهنية لما يحدث .. إن كل محنــة أو كارثة تحدث للنفس النامية قد تؤهل للتحسين . إنه يتذكر كيف كان الموقف الذى نتجت عنه محنته وكيف يمكنه استخدام هذا الموقف لمصلحته .. إن لمسته لمسة كيميائى .. إيمانه بالله وبنفسه هو الركيزة التى يعتمد عليها . . ونادرة تلك النفوس المتقدمة بتفاؤلها المكافح الشجاع ، والتى تزعجها الأمراض الروحية حينما ترهق تلك النفوس ذات المنزلة الأقل . والسبب الأول لمثل ذلك الإعتلال الجسدى أو العقلى هو الاتجاه العقلى الدائم المتواصل لـ « ماذا يمكن أن أستخرج من الحياة؟ » بدلا من « ماذا يمكن أن أضيف إلى الحياة ؟ »... إن ضحايا هذا الاعتلال يؤذون أنفسهم بمحاولتهم أن يحصدوا قبل أن يبذروا . . هنا تبرز الكارما مرة أخرى! . . التجربة وليس غيرها هى التى يمكن أن تعلمهم هذا ، إن نظام الطبيعة الإقتصادى البسيط العجيب، لاشىء يأتى أبداً من لاشىء . .

ومن المفيد لدارسى الولادة الثانية على وجه الخصوص ، تلك الأختام أو الموانع التى يقوم بوضعها علم النفس التقليدى وهى : الرهاب(١) ، وهذه المخاوف غير المنطقية البتة كثيراً ما تكون مشحونة بانفعال ، وتدخل فى جميع الأشكال والأحجام . وهذه المخاوف شاذة عن المعتاد ولها طبيعتها الخاصة . وتنشأ عادة من تجارب سابقة غير مستحبة . وبما أن هذه المخاوف تنشأ من حالة تحت شعورية أو من صدمات نفسية عنيفة ، لذلك تكون طبيعتها الحقيقية غير مفهومة للإنسان نفسه . وجميع المعــانى والصور السيكولوجية التى تذاع أو تنشر من طريق الأفلام أو مايسمى بالأدب « الشعبى » قد أقنعت كثيراً من الناس أن «الرهاب» أو عقد الخوف مدينة بأصولها لبعض هذا الاتجاه من التفكير . فإن رهاب

---

(١) خوف مرضى ، لايبرره الواقع مثل الخوف من بعض الحيوان أو من الأماكن الضيقة أو من المرض أو من الشوارع والأماكن الواسعة أو من الماء .

الاحتجاز — وهو خوف مرضى من الأماكن المقفلة أو الضيقة — يمكن أن يكون سببه راجعاً إلى حادث منذ الطفولة ، كأن يكون ، على سبيل المثال ، قد حبس من غير قصد فى دولاب . ولقد كانت هذه النظرية ، فى الواقع ، قوية ومتفقة مع الآراء المقبولة وفقاً لتعاليم التحليل النفسى ، ولكن سرعان مايكتشف مؤيدوها أن التفسير لم يتضمن كل نوع من الخوف اللاعقلى . ويمكنك أن تعرف ، على سبيل المثال ، فى دائرة معارفك نساء يندفعن مذعورات على أقرب تكأة لمجرد سماعهن اسم الفأر . فهل كن جميعاً يخوفن فى طفولتهن بالفيران؟ . .

وثمة نظرية أخرى قد تكون مقنعة ، وهى متشابكة ومتداخلة فى الأولى وكل منها تعوض نقص الأخرى . وهذه النظرية تعتبر بعض المخاوف ، بكل بساطة ، « فدوا » أى ضحية فدائية لخوف أعمق وأوسع . وانفعال الخوف الأساسى غالباً مايكون خفياً أو مقنعاً ومصمما على موضوع رمزى ، وغالباً مايكون حيداً غير مؤذ ، ويمكن مكافحته بسهولة . والعدو الذى فى داخل البيت يمكن الانتصار عليه إذا لم تعطه أية أهمية وقدرنا أنه فى الخارج - وإذا وضعنا فى الإعتبار بالإضافة إلى ذلك أنه غير مؤذ ! .. وهكذا فإن الخوف من الجرذان إنما يعبر عن خوف جنسى أعمق ؛ ورهاب الاحتجاز ربما يعبر عن خوف من « الحبس » فى حدود ضيقة بخاتم الزواج ، أو بمهمة قاسية كثيرة المطالب . وهذه النظرية لاتقلق نفسها بالأسباب الأولى التى تبدو أنها لباب العلاج العملى .

وتوحى العودة للتجسد بأن الحل للغز الرهاب يقع فى مكان مابين الانفعالين السابقين . فالخوف يأتى فى أعقاب الألم . وأن شخصاً يعانى من رهاب الاحتجاز لايستطيع أن يتحمل أن يكون مسيجاً (محاطا بسياج) ، لأن السياج ، فى تجسد سابق ، كان من الأسلاك الشائكة . وباجتماع الألم مع التقييد يمتلىء بانفعال قوى بالهرب الجبرى فى كل مرة يشعر فيها بأنه فى بيئة محدودة . ثم إن الإنسان الذى يخاف من المرتفعات يمكن أن يكون قد كابد أو تحمل بوصفه ضحية ، فى حياة سابقة ، ذل السقوط من طبقة اجتماعية عالية ، أو من قمة سياسية . إن الظروف

أو الملابسات الفعلية قد نسيت ، ولكن رد فعل الألم يظل باقياً. ومن الواضح أن « النفس المتقدمة فى السن » معفاة من تلك التذكرات البغيضة .

وثمة صورة أخرى إيضاحية للتذكرات الممتدة من حياة إلى حياة هى المواهب غير العادية التى يقتنيها الأطفال ذوو الذكاء المبكر . وهناك نقطة من التعلم تتوقف عندها المعرفة لتكون مجرد معرفة وتغدو بعد ذلك استبصاراً (١) روحياً insight واستغراقاً كاملا فى موضوع ، واندماجاً تاماً فى فن أو علم يبنى ذلك الموضوع فى نفس الإنسان. وتظل هذه المعرفة ملازمة لذلك الإنسان ولا يمكن فصلها عنه ، لأنها أصبحت جزءاً منه — أى أنها أصبحت ثروة يدخرها لمستقبله فى جنات النعيم . . وبوسعه عن طريق هذه الثروة أن يظل حياً بعد وفاته ، وفى استطاعته أيضاً أن يولد مرة أخرى . إن الإنسان العادى، فى واقع الأمر ، لا يستطيع بأية حال أن يتكلم بعـــد بضع ساعات قليلة من ولادته ، كما فعل « كريستيان هينيكين » أو أن يقود فرقة موسيقية قبل أن يبلغ الرابعة من عمره كما فعل « موزار». إنما يولد كل شخص ومعه المقدرة لعمل أشياء معينة أحسن من الآخرين . ولقـــد نشأت المواهب لدى الرجال العاديين من ذات المصدر الذى نشأ فيه النبوغ المبكر عند الأطفال . وهذا المصدر أو المنبع هو التذكرات المتجمعة من التجسدات السابقة .

والاعتراض على تفسير الولادة الثانية بالنسبة لهؤلاء الأطفال الصغار ذوى الحالة الظاهرية العجيبة ، هو أنه بديل للوساطة اللاشعورية . فهل عقل الروح بعد انفصالها عن الجسد هو الذى ألهم « لوردما كولى » حينما كتب قصة تاريخية عالمية كانت سجلا لأحداث هامة وكان عمره وقتذاك سبع سنين ؟ . . يبدو أن

---

(١) تستعمل مدرسة الجشطلت هذا اللفظ بالمعنى الآتى : الإدراك الفجائى لما ينطوى عليه الموقف من دلالة ، دون اعتماد على الخبرة السابقة ، ويقول أبو الهلال العسكرى فى « الفروق اللغوية ص ٦٤ » الاستبصار هو أن يتضح له الأمر حتى كأنه يبصره .

تأثير التذكرات له قوة حاسمة فى حيواتنا. إنه القانون الذى من شأنه أن يكيف نمونا، ويقوم بعملية ربط منبه برجع لم يكن بينه وبين المنبه صلة فى الأصل، وذلك عن طريق التداعى . . ويجعلنا قادرين على التقدم والارتقاء عن طريق فهم غريزى وإدراك فطرى لـ « الكارما » . . وبهذا يكون من المعقول أن نفترض أو نتصور أن جميع الصفات الموروثة تحكمها الكارما . . والقوانين العالية لا تفسح مجالا لأية ذرائع أو استثناءات . . فالجزء يجب أن يوافق على ما يفعله الكل أو يرغب فى فعله . . وإذا كان تعلق فتاة صغيرة بدميتها ينم عن التوق (١) إلى الابتهاج الذى كانت تحظى به عن طريق الأمومة فى حياة سابقة، فإن الفتاة الصغيرة التى تلهو أمام الناس وبانطلاق بحل عمليات حسابية معقدة يصعب حلها كمعادلات اينشتين، لابد أنها أيضا تستدعى تلك التذكرات .

ومع ذلك فهناك من ينكر الوجود السبق . . وهناك من يعلن أن البشرية ليست مدينة للأغلبية بقدر ما هى مدينة للقلة القليلة - من المفكرين الحقيقيين الذين ينشرون فى الآفاق آثاراً جديدة يسير عامة الناس على هداها . . وهذا القول هو ما يوافق عليه المؤمنون بالوجود السبق ، مؤكدين أن عقيدة الولادة الجديدة، وهى حجر الزاوية لأديان شرقية كثيرة ، لم تكن نتاج تفكير رعاع أو سوقة . . وأن تلك القلة القليلة ، من المعلمين الدينيين الأتقياء ، والرسل والأنبياء ، والفلاسفة والحكماء ، كانت لديهم القوة على الإقناع ، وكانت أقوالهم موحية مبينة حتى لقد انتشرت العقيدة على نطاق واسع وسارت الجماهير فى ركابها . . وعلى هديها .

ومن الواضح ، أن القادة من رجال الدين قد أدركوا أن معرفة العودة للتجسد تساعد على وضع أفعال الإنسان على الأساس السليم وفى الطريق القويم . وعلينا أن نقتنع بإلغاء كل المفاهيم الزائفة والمعانى السقيمة الجوفاء التى تتعلق

---

(١) التوق إلى الماضى : توق غير سوى للعودة إلى الماضى .

بطغيان الزمن . فلقد خلقت صورة الزمن الخادعة عن طريق مواظبتنا دائما وباستمرار على توجيه أعيننا إلى الستارين المعروفين باسمى الميلاد والوفاة. وإنه لمن الصعب أن نتصور مدى عبوديتنالهذا الوهم . .

والإنسان إذا اقتنع بحقيقة الولادة الثانية ، فإنه لا يتذمر ، ولا يبرطم ، ولا يضج بالشكوى من تقلبات القدر ولا من عثرات الزمان ، أو من حقد الجيران عليه ، أو من الأشياء العديدة الأخرى التى ينسب إليها بعض الناس إخفاقهم فى الحياة . . ولكنه يرى فى هذه المتاعب حماقة الأفكار والأفعال السابقة وقد عادت أدراجها كالحمام الزاجل .. إنه يقابل أولئك الذين كانوا يضمرون له الشر ويكنون له الحقد والأذى ، بالرثاء والأسف . ويبدى لهم المحبة والاخاء . ويبادرهم بالصفح والمغفـــرة . . وماذا أيضا ؟ . . لاشىء بعد ذلك ، فإنهم لم يؤذوا إلا أنفسهم وماكانوا يعلمون .

تأملات

بهذا العنوان أفرد الأستاذ و . ه . إيفانز [1] W. H. EVANS فصلا فى كتابه « كيف تصبح وسيطاً » How to be a medium عن موضوع « العودة للتجسد » رأينا أن نترجمه فيما يلى لما يحتويه من فائدة ومتعة :

الخلود :

الخلود حلم طالما راود عقول الناس . . ومن الماضى السحيق تأتى الأصداء التى لا تزال تتردد فى أنحاء العالم . . وفى ذلك الزمن البعيد ، وقبل أن يقام معبد أو مسجد على الإطلاق ، كان الناس يحلمون بالحياة الآخرة . ولقد رأى العقل البدائى وهو ينعم النظر عبر غمائم الموت ، الظلال التى جعلت الدنيـــا مأهولة بالأرواح . . ذلك لعقل لم يكن يهزه الموت ولو كان رهيبـا مخيفاً . وفى أعمق أعماق القلب البشرى يكمن الأمل الذى يتخطى بوثبة ما وراء اللحد كيما يكتشف إدراكه لحياة أكثر كمالا ، فى عالم أرق وأجمل وأنظف من أحلى وأحب وأحلى أحلامنا . قال أحد اللاأدريين [2] : « ومادامت شفاه الحب سوف تقبل شفاه

---

(١) الأستاذ إيفانز : من الباحثين المعروفين فى الفلسفة الروحية . كان رئيسا لتحرير جريدة « العالم التالى » الروحية الشهيرة Beyond . ويعد حجة فى وساطه أندروجا كسون دافيز، وفى الفلسفة الرائعة التى تلقاها بطريق الإلهام، وله فى شرح فلسفته مؤلف بعنوان « إثنتا عشرة محاضرة فى فلسفة التـــناسق لأندروجا كسون دافيز » . ولإيفانز مؤلفات فى الروحية كثيرة من أهمها : « الروحية الحديثة » و « الروحية للإنسان المشغول» و «شمعة الإله» و « الروحية فلسفة الحياة » و « الروحية البناءة » و « زنابق المذبح » و « الكل واحد » و «سماء جديدة . دراسة للحياة الأخرى » و « هل العودة للتجسد حقيقة أم خرافة ؟ » و « كيف تصبح وسيطا » الذى ترجمنا منه هذا الفصل

(٢) اللاأدرى : من يعتقد بأن وجود الله وطبيعته وأصل الكون أمور لاسبيل إلى معرفتها . « المترجم »

الموت ، فإن حلم الخلود سيلازم عقول الناس ».

ولكن ، هل الخلود حلم ؟ .. إن الحياة بعد الموت قد انتقلت من حالة إلى أخرى .. من حلم إلى حقيقة ، إننا نعرف الآن أن الموت لا يمس ذات الإنسان أو جوهره ، ولو أن الثوب الذى يلبسه يمكن أن يتلف ويتلاشى . وحيث أن الموت لا يمس الإنسان فيمكن أن ينظر إليه بحق وصدق كموعد للخلود ؛ ولكنه فى الواقع ليس تحقيقاً أو إنجازاً له . وإذا بدر إلى الذهن أو خطر على البال أن الخلود إنما هو مجرد ديمومة ، فالذى يمكن تصوره هو أننا يجب ألا نتمناه . كذلك يجب أن يكون هناك شيء أكثر من مجرد بقاء ، نوعية خاصة للحياة ، يطلق عليها « الأزلية » و « السرمدية » و « الأبدية » .. ولن ندرك معنى هذه الألفاظ إلا إذا « عرفنا الله » حق المعرفة .

إننا خارج حدود بيئة من نوع واحد حتى فى عالمنا الفيزيقى .. إننا نعرف أسس الكون المادى خفية غير منظورة .. وعندما ينعكس نور العلم على المادة ، فإنه يلاشيها ويحيلها إلى أثير ، فتندفع بالقوة إلى التسليم بشيء مبتكر أصيل — سمة الأثير أو الروح — يتولد منه الجميع . وهذه الروح الأصلية تتصف بالأبدية . هكذا كانت دائماً ، وستظل كذلك إلى أبد الآبدين .. «النهاية والبداية أحلام» وهما لا يوجدان فى الروح . ونحن يمكن أن نتحدث عن الكون بوصفه دائم الصيرورة [1] ever-becoming ، ولكن ذلك يمكن أن ينتمى إلى مظهر أو تجلى

---

(١) الصيرورة : وردت عند هرقليطس وهيجل وبرجسون . عند الأول التغير صراع بين الأضداد ليحل بعضها محل بعض . وعند الثانى الصيرورة هى صميم الوجود وهى سر التطور ، إذ أن الوجود من حيث هو كذلك أكثر المعانى تجريداً وخواء ومثله اللاوجود ، على حين أن الصيرورة وجود ولاوجود (ماسيصار إليه) . وهى التى تحل التناقض الذى يوجد بين الوجود واللاوجود . وعند الثالث الصيرورة هى عين الوجود وعين نسيج الأنا .

خارجى للإله الواحد الأحد الذى كان قبل أن تكون العوالم ، وسيظل كائناً إلى الأبد دائم الوجود .

ويقرر الدين أنه كما أن الكون يبدأ بحقيقة واحدة ، كذلك الإنسان أيضاً . ويؤكد الدين كذلك أن فينا شرارة من النار أو ومضه من اللهيب الوحيد الذى يمكن أن يذكو ويضطرم أواره كما يتوهج نوره بإشعاع يظل دائماً فى ازدياد وتكاثر إلى أن يملأ كياننا كله بالنور الإلهى .. إن المتنبىء ذى الكشف والمعلم أو القائد الملهم ، والحكيم ذى العقل الراجح ، والصوفى المتعبد · كلهم يصرحون بنفس الأفكار والمعانى . ونحن ذوى النفوس الموهوبة بدرجة أقل كثيراً ، لنشعر ، من حين الى آخر ، بالحياة الإلهية تفعم بالحيوية والنشاط قلوبنا . .

والظواهر الوساطية إن هى إلا مؤشرات فحسب ، كإبرة الميزان ، أو عقارب الساعة ، وهى تقع ضمن نطاق البحث العلمى ، وبقدر ماتقدم البرهان على الحياة بعد الموت ، فإنها تعمل بسرعة وبفعاليـــة وبنجاح ملحوظ فى تثبيت الإيمان وتوكيده . ونحن نرى بوضوح أن هذه المظاهر لاتستطيع أن تفعل أكثر من أن تبرهن على أننا نعبر من خلال باب الموت إلى حيـــاة أكثر خصوبة وأكثر متعة . والحقيقة التى تؤكد أن الإنسان يظل حياً بعد موته إنما تدل ضمناً على أن الإنسان كان موجوداً قبل ولادته . . والكائن الحى ، الخالد ، لا يمكن أن تكون له بداية ، والإنسان يجب أن يدرس ويفحص ويمحص إزاء الخلفية الإجتماعية المفسرة لموضوع الوجود السبق .

الوجود السبقى :

ربما يكون هناك اعتراض على أن النفس ليس من شأنها أن تنشىء أو تبتكر . وهذا صحيح فيما يتعلق بالمادة (الجوهر) ، ولكن هل هى كذلك بالنسبة لاستفراديتها ؟ (١) . . إن الماديين والطبيعيين ينظرون إلى النفس ، كما نعلم ،

---

(١) الاستفرادية : أو الاستقلال الفردى Individualization .

بوصفها بمجموع ما تؤديه أجسامنا من أعمال أو وظائف . وهذا الذى نعرفه ليس صحيحاً ، لأنه يجعل الجسد حياً بعد وفاة صاحبه . يقول البعض إن النفس يخلقها الله عند الولادة . وليس هناك بينه علمية على هذا ، لأننا نعرف أن الطفل يكون على قيد الحياة قبل الولادة . والإعتراض على الخلق الاستثنائى أو غير الاعتيادى للنفوس إنما هو اعتراض أخلاقى إلى حد ما ، أكثر من أن يكون اعتراضاً علمياً . إنه يجعل الله محابياً للوجوه ، مراعياً للمقامات ، إذ أنه تعالى يعطى لنفس جسداً معداً قبلياً للشر . ويعطى لنفس أخرى جسداً معداً للخير . . وقد تناقش المسألة بأن المبادىء الأخلاقية هى موضوع الجدل عن كيفية استعمال النفس للجسد ؛ ولكن أليس الجسد دليلا مفهرساً لأخلاق الإنسان ؟ كما يقول إمرسون [١] فى مقالة له عن « القدر » :

« عندما يخرج كل فرد من رحم أمه ، يوصد خلفه باب النعم والمواهب ويترك ليقيم يديه وقدميه ، وليس لديه إلا زوج من كليهما . وبالمثل ليس يملك إلا مستقبلا واحداً . ولقد قدرت عليه بقضاء وقدر فصوصه . وصور بذلك الوجه الصغير المكتنز ، وبهاتين العينين الغائرتين ، وهذا الشكل « المدملج » . . إن جميع الامتيازات والمؤهلات وجميع قوانين العالم وتشريعاته لا تستطيع أن تتدخل فى أمره ولا يعنيها أن تساعده كى تجعل منه شاعراً أو أميراً .

« قال المسيح : (إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه) . ولكنه كان زانياً قبل أن يشتهى المرأة . فعن طريق الشىء الزائد عن الحاجة عند الحيوان ، وقصور الفكر فى تكوين من تلتقى به أو من يلتقى بها ، فى الشارع ، يرى أنهما ناضجان لكى يكون كل منهما ضحية الآخر » .

وهـــذا رأى بالغ الصراحة ؛ فالمرء وحده هو الذى يمكنه أن يشير إلى أن هناك حقائق تبين أن للدين قوته وسطوته ليسمو فوق الوجود

---

(١) رالف والدو إيمرسون : (١٨٠٣ — ١٨٨٢) شاعر أمريكى .

المادى ويتفوق حتى على الميول والنزعات الموروثة نحو الشر عند الإنسان ،ونحن يمكننا أن نعترف بالحقائق ونتقبلها ، ولكن علينا ألا نجلس ونقول « قسمة ونصيب » .. إن الإنسان قدر نفسه .

ويرى مذهب الوجود السبق أننا قد وجدنا فى حالة سابقة لمجيئنا على مكان وجودنا الحالى . ويؤكد البعض أن لنا حق اختيار الصفات التى نختارها وفقاً للنور الباطنى الذى يكمن فى طويتنا. إن البعض يختار إحدى الصفات أو الحالات ، ويختار البعض الآخر حالة أخرى .

وهذا المذهب ليس مقنعاً تماماً ، وإنما هو عرضـــة لنفس الاعتراضات كالنظرية السالفة . إننا نعمل ونحن مكبوحون بعائق يحول فى الوقت الحاضر دون أن نعرف درجة التنوير التى وقع عليها اختيار النفوس من قبل . وليست هناك بينة يمكن إثباتها وإقامة الدليل على أن الإنسان قد عاش حياة فردية قبل التجسد، ولكننا يمكن أن نتفكر فقط فى الاحتمالات . وإذا اعترفنا بأى مذهب عن الخلود ، فالإنسان يمكن أن يوافق على أن هناك خلفية وجود سبق ، ولكن يجب ألا تكون أية نظرية فلسفية فحسب ، وإنما يجب أن تكون أيضاً مقنعة أخلاقيا .

والنظرية النشوئية تعتبر النفس نتاجاً للتطور ، كما هى بالنسبة للجسد تماماً . وعمل الخلق يستحث النفس ويحملها على القيام برحلتها ، والذات الوليدة إنما تنشأ خلال عمليات تطورية إرتقائية ، ذات تركيبات معقدة . ومن شأن هذه العمليات أن تخطط ـــ إبتغـــاء تحقيق هدف معين ـــ كما تظهر فردية النفس الكامنة وتثبتها وتضفى عليها شكلا ثابتاً . فنصبح رجالا ، وفى هذا المنظر ، على الرغم من أننا كنا دائماً ، حقاً وصدقاً وبصفة جوهرية ، كفرديات واعية ، كانت لنا بداية . ولقد أصبح الآن من الحقائق المقررة ومن البديهيات الميتافزيقية أن « كل ماله بداية سيكون له نهاية » وهنا يظهر لنا أننا نكتسب الشخصية الفردية بصفة مؤقتة لنفقدها فى فترة ما من الزمان . وإنا نستطيع ـــ

إذا شئنا — أن نثابر ونواصل بعزم وعناء كفرديات واعية فحسب ، لنصبح أخيراً مستهلكين (١) فى الله . . « إن قطرات الندى تنساب بسلاسة فى البحر المتألق » . . يؤمن البعض بأن هذا هو الذى سوف يحدث . ومن الصعب أن نفهم ماذا يمكن أن يكون الغرض من هذا العناء الطويل ، إذا كان علينا فى نهاية المطاف أن نفقد شخصيتنا ونغوص فى بحر الحياة غير المخلق (٢) . وهذه الرؤية ، كما تبدو ، قاحلة ماحلة مثلها كمثل المذهب المادى (٣) .

العودة للتجسد :

يشعر الفرد أحياناً بحاجته إلى نظرة للحياة تجعل سعيه يستحق البذل والعناء .. وحقيقة الخلود ، فى رأى الكثيرين ، هى كل ما يمكن أن يكون ضرورياً ليرسخ فى عقولهم غائية الكون . ولكننا نبحث عن شىء أكثر إقناعاً . ومن دراسة دقيقة عن الوساطة تنبثق بعض الآراء التى قد تكون مفيدة فى بحثنا .

إن تساوق العوالم الشائق ، وتناسقها الرائع ، وتسلسل الظواهر المنظم ، إنما يعبر باختصار عن وجود قانون كونى عام . وهذا فى رأى الماديين لا يمكن أن يكون ببساطة إلا اطراداً للتواجد والتلاقى فى الوجـــود . والقانون هو أسلوب الوجود ونهج الكائنات . وجميع أشكال المادة تحول إلى غاز ، وبحوث العلماء إنما هى من أجل الافتراض على سبيل الجدل ، بأن جميع أشكال المادة إن هى إلا تعبيرات مختلفة لمادة واحدة كونية . وإذا نحن سلمنا بمادة كونية ، فإن هذه المادة يجب أن تكون موجودة قبل إظهارها على هيئة شموس وكواكب الخ . . والقضية المسلمة ضرورية ، لأننا لا نستطيع أن نتصور شيئاً يصنع من

---

(١) اصطلاح صوفى بمعنى « مستغرقين » وهو الفناء فى الله .

(٢) الذى لم يتم تخلقه .

(٣) نظرية تقول بأن المادة هى الحقيقة الوحيدة ، وبأن الوجود ومظاهره وعملياته يمكن تفسيرها كمظاهر أو نتائج للمادة .

لا شيء . كما يقول سبينوزا : « إنني أفهم المـــادة على أنها هي التي تكون في نفسها ،وتدرك من خلال نفسها ، ذلك الإدراك الذي لايتوقف على إدراك شيء آخر قد يكون مكونها أو ناشئا منه » . . إنها مادة الشيء الأصلية أو جوهرها التي صنعت منها العوالم والكون جميعا .

ومن الضروري أن يكون للمادة صفات المظهر وأشكاله ، وهذه الصفات والأشكال نعرفها عن طريق ظواهر الكون . ويمكن أن تعتبر الحياة والعقل من صفات المادة الكلية . ولعلنا نكون أكثر صدقا إذا قلنا إن المادة الكلية حية وعاقلة . وكون الحياة والعقل كلاهما كلى الوجود (١) ، فهما متأصلان في المادة الكلية ، كعناصر مميزة للتضحية . فالحياة ، إذن ، والعقل والمتعضى (٢) أو « المادة » متلازمة كلها غير منفصلة . إنه لمبدأ أساسي لأي إدراك وأي فهم للخلود .

وتظهر الحياة والعقل في حالتهما الأولية بصـــورة متساوية في كل مكان من الاتساع المطلق اللامتناهي من المادة الكلية . وعندما تغدو العناصر المميزةللتضحية التي يوجهها الذكاء الملازم ، فعالة ، تنبثق المستويات المختلفة للكائنين الروحي والفيزيقي ، في وضعها النهائي في العالم المـــادي . ويمكن أن يعتبر هذا كمظهر خارجي للمادة أو الهيولى الإلهي الذي يعضى (٣) المستويات المختلفة للكائن في خلال رحلته من داخل الجسم إلى خارجه . إن المشيئة الإلهية هي الخالقة . وكل خطوة إنما هي إحدى خطوات التقييد إلى أن تبلغ أكثر الخطوات تحديداً ، وهو الوجود المادي . وهذه من وجهة الرأي التصوفية ، التضحية الكبرى ، الفداء ، الخضوع الإرادي لعبودية المادة. ويمكن أن نعتبر هذا جزءا من خطة كبيرة ، وأن تنقية الكون المادي وتهذيبه من كل نقص أخلاقي ، وتطهيره من

---

(١) كلى الوجود : موجودفي كل مكان في جميع الأوقات .

(٢) المتعضى : الكائن الحي .

(٣) يعضى : يجعله ذا بنية عضوية قوية «المترجم»

العوامل الدنيوية المفسدة ، عمل عظيم للروح الكونية . وهناك بالتالى النقضية (١)، الإيجابية والسلبية ، التى تعد دائماً من العوامل الجوهرية لكل جهد خلاق . وهذا هو سر التولد (٢) ، وسر الكون أو التكون (٣) .

إننا نجد فى كل مكان من الكون إيقاعاته المؤسسة على الطبقة الموسيقية والجواب الموسيقى ، وائتلاف أجزائه ، وتناغم آثاره بعضها مع بعض بحيث تؤلف كلا فنيا . وهذا قانون متأصل وملازم فى العقل الإلهى . والطبقة الموسيقية للوجود تبدو واضحة من خلال سبع مستويات ، كل مستوى منها أقوى وأشد من الذى يسبقه . وتتداخل هذه المستويات بعضها ببعض ، ويكمن التقدم فى مدى وعينا ودرايتنا خلال تحسين الإدراك الحسى . وتجرنا هذه العملية الطويلة إلى التساؤل : ماذا يكون الخلود بالنسبة للوعى البشرى المحدود . إن العقل الإلهى اللانهائى أى الجوهر المطلق إنما ينتشر فى كل شىء ، ويتخلل كل شىء ، فهو الإيقاع الأساسى للكل . والحركة (٤) الأصلية للعقل الإلهى يمكن أن يقال إنها

---

(١) النقضية : المرحلة الثانية من مراحل عملية ديالكتيكية أو جدلية . عند هيجل : نقيض القضية هو المرحلة الثانية من مراحل المنهج المنطقى « المترجم »

(٢) التولد : هو أن ينفصل عن الشىء مثله (ابن سينا ، جامع البدائع ص ٢١)

(٣) جرى الاصطلاح العربى باطلاق لفظ الكون على ما يحدث دفعه ، كانقلاب الماء هواء بالتسخين « الكون اسم لما حدث دفعه كانقلاب الماء هواء فإن الصورة الهوائية كانت ماء بالقوة فخرجت منها إلى الفعل دفعة ، فإذا كان على التدريج فهو الحركة وقيل الكون حصول الصورة فى المادة بعد أن لم تكن حاصلة فيها وعند أهل التحقيق الكون عبارة عن وجود العالم من حيث هو عالم لا من حيث أنه حق وإن كان مراد فا للوجود المطلق العام عند أهل النظر وهو بمعنى الكون عندهم » (الجرجانى ، تعريفات) .

عند أرسطو ، هو تحول جوهر أدنى إلى جوهر أعلى . ويقابله الفساد .

(٤) تعاقب الأحداث .

عجلت بانتاج فيلم عن مادة أكثر كثافة ، مكونة أعلى مستوى يمكن أن يدركه وعينا . . ومن هذه المادة يتمخض الجسم الروحى للإنسان ، وبينها وبين العقل الإلهى دائما أبداً يكون التدفق المتواصل والمتبادل للعمل بنشاط فى تزويد الذكاء والارادة بالطاقة . ولا يستطيع الإنسان المتجسد أن يصل إلى هذه الحالة العالية من الوعى . فالمادة لا بد بالضرورة أن تكبحه ، ولزاما عليه أن يتغلب فى طريقه على المصاعب بالجهد الواعى . وعلى هذا المستوى تعبر الارادة الالهية عن نفسها بالنقاء والصفاء والقدرة .

والحركة التالية ـ وليكن حديثنا منطقيا ، إذ أن هذه الحركات ليست متعاقبة ، ولكنها متواجدة(١) ـ تؤدى إلى صورة المستوى التالى ، الذى يختص بالمعرفة (٢) المباشرة أو الحدس . ويمكن أن يقال عن الذات هنا إنها تلقى بصيصاً من الضوء على دوايتها الأولى عن الذات ، ومعها يأتى كفاح كل طـــاقات المخلوق وقواه المخبوءة التى تتدفق خلال الأنفس الجزئية أو المتناهية . فهى لا تزال منتشرة وضافية تنشر المعرفة ، وتستطيع تمضية هذه المعرفة المباشرة أن تأتى عن طريق الخبرة الشاقة وحدها .

ويلى ذلك مستوى ثالث ، يختص بالإدراك الحسى أو الذكاء النقى . وفى هذا المستوى يكون العقل مشطوراً بوساطة موشور (٣) العقل . ولا يلبث ضوء الروح الأبيض النقى حتى يغدو موحداً ، ولكن أشعته المنتثرة ، المنطلقة من نقطة المخلوق المركزية فى الذات المتناهية ، تكون معكوسة ومحرفة ويعوزها التوازن . ومن الضرورى أن تغدو الذات واعية للأجزاء والعناصر الأساسية المكونة من نور الروح الأبيض النقى . فالمستويات الثلاثة الأولى ، إذن ، تقابل

---

(١) متواجدة : متلاقية فى الوجود .

(٢) إدراك الأشياء وتصورها .

(٣) الموشور : أو المنشور ، شكل هندسى

الأوجه الثلاثة للعقل الأكثر سمواً كما عبر عنها فى الإنسان . .

ويرمز المستوى الرابع إلى مبدأ السيد المسيح ، الموحد(١)، الطريق الوسط بين الوجهين الأعلى والأدنى للعقل الإلهى ، لأن كل مستوى من هذه المستويات وجه لذلك العقل . والمسيح هو المبدأ المنسق والموفق ، وهو القوة التى ترفع أدنى المخلوقات وتسمو بها ، وذلك ببذل حياتها فى خدمة الجميع ، إنه قوة النفس عظيمة ، جمة العطاء والبذل ، ذات إشعاع موزع على نطاق واسع يغمر كل المستويات بنور سماوى يصقل العقل السفلى ويغيره ويرفعه ويهذبه ؛ وينقى جميع الصفات ويقويها ، غارساً فيها الشجاعة كيما يتخلى عن الذات كلية . وهذا المستوى تلتقى فيه البشرية بالذات الإلهية ، حيث يلتقى العبد بربه . إنه مستوى الطاقة الهائلة . وتعمل دينامية هذه الطاقة بنشاط فى جميع المستويات السفلى. ورمز هذا المستوى الإنسانى الإلهى، واقفا وذراعاه ممدودتان تجاه خلفية السماء، معبراً عن الاتزان الكامل والتحرر من كل شىء . .(لقد كنت قبل أن يكون العالم)

المستوى الخامس هو مستوى الرغبة أو الانفعال emotion ، حيث تتدفق القوة نحو الخارج وإلى أسفل . . أما العمل العظيم الذى يجب أن يتم على هذا المستوى فهو التوافق والتناسق وتوحيد الرغبات المتضاربة ظاهريا . إنه مصدر الفعل ، ولكن مطله (٢) المحدود يوجب عليه أن يكون أمينا لنفسه. أما حوافزه على الفعل فهى : حفظ الذات من الأذى ، وتعظيم النفس ، وتخليد الذات . ومن هنا ينشأ الشر،لأن الرغبة عمياء وجامحة ومسعورة ،ويجب ترويضها وإصلاحها.. إنها الهدف ، وهى السوط ، والمهماز . وهى الحافز للعمل والمثيرة للجهد. وحيثما تكون الرغبة ، يكون الفعل . ومنذا الذى ليست عنده رغبة ؟ . . ليس الاستئصال أو المحو هو المطلوب ، وإنما التوجيه الصحيح للرغبة هو الهدف ، ويمكن الحصول على هذا من طريق التضحية .

---

(١) يدعو إلى التوحيد

(٢) المطل : المنظر .

المستوى السادس فى أسلوب التعبير عن مظهر الجوهر الأثيرى . إنه قالب المادة وصفتها المميزة ، وبالأصح هو جزء من الكون الفيزيقى . . فالأثير يخترق كل المادة ويتخللها ، مندمجاً فى المبدأ الفسيولوجى للعقل الإلهى ؛ ويهىء الوظيفة التى تسبق المتعضى من حيث الزمان وتفوقه فى الأهمية . وعن طريق المادة الأثيرية تغـــدو الفكرة الإلهية مكسوة بشكل متماسك عينى (١) ، يسهل معه الوصول إلى مستوى المادة . وهذه نقطة التحول لنصف دائرة الموجود — من العقل الإلهى ، عبر المستويات المختلفة إلى المادة الكثيفة ، حيث يتجمع لديها كثير من الخبرات. أما المورد المتجدد باستمرار للنفوس المتناهية فإنه يجتاز المستويات المختلفة فى طريقه إلى الله ، وبذلك يكون قد استكمل دورة الصيرورة .

وهذا يعبر باختصار عن أن الحياة عندما تفيض إلى أسفل تجمع الخبرة على كل مستوى ، ولكننا يمكن أن نلاحظها عندما تتجه الحياة نحو الداخل دائرة حول نفسها . إنها تجمع من كل مستوى مايعد أساسياً لا كتلها . وتأخذ كل ذات جرثومية ذرة واحدة من كل مستوى ، لتغدو بعد ذلك نقطة تلامس (٢) معه . والقوة التى تعبر بها عن نفسها ، مهما يكن المستوى الذى تنتمى الذرة إليه.

ويمكن القول إن الأنا يتركب من مجموعة من الذرات منسوبة إلى كل تعبير عن العقل الإلهى فى مستويات الموجود المختلفة . ولدى الأنا سبع ذرات دائمة . ومن شأن هذه الذرات أن تكون كامنة مستترة ، ولكن فى آخر الأمر ، وعن طريق الخبرة ، يتعلم الأنا كيف يحكم طاقاته ويوجهها من خلالها ، وكيف يستجيب أيضاً لاهتزازات المستويات التى تنتمى إليها الذرات الخاصة بكل منها . وهكذا عندما يتم الوصول إلى المستوى المادى، تتحد الحياة أولا مع المادة غير العضوية، عن طريق الذرة الفيزيقية الدائمة. ويتعلم الأنا ، عن طريق ذرته ، كيف يستجيب

---

(١) دال على شىء مدرك بالحواس .

(٢) التلامس : إتصال بين موصلين يجرى خلالها التيار .

لاهتزازات مملكة المادة غير العضوية ، وبعد قليل من الزمن، حين تكون الحالات مواتية وملائمة ، يواصل تقدمه إلى مملكة الحياة حيث يتعلم ، عن طريق ذرته الفيزيقية الدائمة ، ومن خلال كثير من الخبرات ، كيف يظهر فى الصورة .

وهنا يجب أن نلقى نظرة عجلى إلى نظرية النفوس الجمعية group - souls ، فالعلوم كما نعرف ، لاتخبرنا بأى شىء عن الجانب الروحى أو الموضوعى للتطور، ومع ذلك فثل هذا الجانب يجب أن يكون موجوداً . ونحن عاجزون عن تفسير الحياة بلغة المذهب الآلى ، وإنما يمكننا تفسيرها بلغة الحياة والعقل فقط . ولقد كثر الكلام عن التطور بأنه يقتضى ضمناً تراجعاً (١) سابقاً ، لأنه لا يمكنك أن توضح ماليس فى الداخل فى ذلك الحين .

والرسم التخطيطى الاستقرائى الذى قدمناه ليس إلا مجـــرد إلماعة لعملية التراجع Involution ، التى تبـــدأ بعدها إستعدادنا للمرتقى العظيم . وهكذا عندما تنسحب الحياة من الصورة الفيزيقية ، نعرف أنها لاتتوقف عن أن تكون، ولكننا لانعرف إلى أين تذهب لأن الحياة إذا كانت خالدة فإنها يجب أن تكون فى مكان ما . وعلينا أن نسلم — ولو أنهـا عنـد البعض حقيقة لاريب فيهـا — بوجود مستوى روحى مجاور لعـالم الحيـاة ، حيث تـكتسب الخبرات بصورة يمكن أن تكون مستوعبة أى مفهومة فهماً جيداً ، ومفصلة ، كما يمكن أن يكون هناك جهد إضافى .

وهذا المستوى الروحى هو عالم الجن ، ويمـكن القول بأن هـــذه المخلوقات اللطيفه ، الوديعة ، تلعب دوراً له أهميته فى التوسط وإصلاح ذات البين وإيجاد

---

(١) التراجع : يستعمل هـــذا اللفظ بالانجليزية منـذ منتصف القرن التاسع عشر بمعنى مضـاد لمعنى Evolution وبنوع خاص بمعـــنى اضمحلال الكائنات المتنوعة وانحطاطها . ويستعمـله لالاند بمعنى ارتداد المتنوعات إلى ضرب من التجانس العالى أو تراجعها الى وحدة عليا . (لالاند)

تسوية فى قوى الحياة من المستويات الداخلية إلى المستويات الخارجية . وعندما تكتسب الخبرة ، يمكن أن تستوعب ، ويمكن أن يتم مجهود إضافى وتظهر صور جديدة إلى أن نبلغ أخيراً النموذج الإنسانى . وصور الحياة الكثيرة تشكل فى الأصل مجموعات أو جماعات ، ويسهم كل فرد من أى مجموعة بشىء من تطوره الكل . . فليست هناك حيــــاة فردية، بمعنى أنه ليس هناك شعور بالتفردية أو الاستقلال الفردى فى الصور الكثيرة المتعلقة بأى مجموعة ؛ ولو أن هناك نمواً قريب الحدوث لها . . وعندما نرقى سلم التطور، نرى الجماعات أيضاً وهى تصغر إلى أن يتم لنا فى النهاية اكتساب الوعية (الوعى الذاتى) .

وإذ وصلنا إلى هذه النقطة من الموضوع ، نرى أن أولئك الذين يؤمنون بحياة إنسانية واحدة على الأرض ربما يوافقون على مذهب العودة للتجسد .

وذو الحياة الواحدة ، إذا صح أن نطلق عليه هذا التعبير ، يحاول أن يبرهن على أن الحياة عندما تصل إلى الشخصية الفردية فليس ثمة ضرورة أخرى لها لأن تعود إلى هذا المستوى ؛ وبما أن طريق التقدم مفتوح ، فيمكننا أن نثابر ونواصل نمونا فى المستويات الأسمى فى الوجود. وقد يبدو هذا معقولا ،ولكن المشتغلين بالعودة للتجسد يحاولون أن يبرهنوا عـــلى أن مذهب الانبثاق doctrine of emergence غير مقنع أخلاقياً ، وذلك أننا نرى أناساً فى مراحل من النمو مختلفة ، ليسوا مسئولين عن التباين والتفاوت فى الحياة .

ويحاول أولئك الذين يعتنقون مذهب الانبثاق أن يناقشوا المسألة على أساس أننا ونحن أجزاء من كل واحد ، فإن خبرات الأفراد تشترك وتتعاون معه ، وإننا حينما نتقدم سنكون قادرين على الإسهام فى كل خبرات الحياة. إنهم يبرهنون على أن تقدمنا إنما هو من وعى للشخصية الفردية غير منظم وغير محدود الشكل، ومن هذا إلى إتساع ، إلى وعى إجمالى .

ويدلل المشتغلون بالعودة للتجسد بأنه ليس من المعقول أن نظن أن الفرد يمكن أن يصير سيداً للمستوى الفيزيقى خلال تجسد واحد .

وجوابا على ذلك يقول المعتقدون بالانبثاق إنه بما أننا قد نشأنا وارتفعنا إلى المستوى المطلوب عبر ممالك مختلفة ، من مملكة الجماد إلى مملكة الإنسان ، فإنه يوجد فى وعينا الأكثر اتساعاً كل الخبرات التى أحرزناها فى أثناء تطورنا ، وإننا فى مواصلتنا السير إلى المستويات الأعلى سنكون قادرين على اجتذاب تلك الخبرات الى سطح عقولنا ونستعملها استعمالا ذكيا .

وهكذا يمكننا أن نمضى قدماً . . فكل من الطرفين متأمل ، متفكر، والحوار الأخلاقى هو الذى يحسم الأمر ، بالنسبة لكثيرين لصالح العودة للتجسد . أما نحن فيجب أن نفحص هذا .

إن كل مشتغل بالروحية يبشر مؤكداً بمذهب المسئولية الفردية . ولكن إذا كان المعتقد بالإنبثاق على حق فإن ذلك يبدو ظلماً فادحاً . وهذا لا يقنع شخصاً كانت حياته كلها كفاحاً مستمراً وكان يقوم بتضحيات متكررة من أجل مبدأ من المبادىء ، وكان عليه أن يعانى من النتيجة ، ليقال إنه كان يساهم فى تقديم خبرات ذات قيمة للجميع . وهذا الذى يشعر به هو حاسة الظلم . ذلك لأن الجسم الذى يتسلمه عن طريق النزعة الوراثية ، إذا كان معداً لأن يكون ميالا إلى نوع من الحياة معين ، فأين يدخل اختياره ؟ ومن جهة أخرى فإن المؤيدين للعودة للتجسد يحاولون الإقناع بأن المسئولية الشخصية فطرية وإننا نحصد مازرعه فقط. ولذلك فإن نوع الجسد الذى نتسلمه قد فرضناه على أنفسنا ، وكان مقدورا علينا ذلك من خلال نوع من الحياة أو الحيوات التى عشناها على الأرض من قبل . ويقولون إنه كما أن الشكل فى أية مملكة يسجل وينسق معيار التطور الذى نصل إليه عن طريق الحياة التى تعطى الشكل أو الجوهر وتنفخ فيه نشاطا ، كذلك الجسد الذى نتسلمه بالتجسد يشير إلى مستوى التطور الذى نبلغه عن طريق الأنا لكى نفيد منه . وعلينا هنا أن نوضح أن ليس هناك عودة لتجسد الشخصيات، بل عودة لتجسد الذات الحقيقية فقط من أجل أغراض أكمل نمواً وأعظم تطوراً .

إن الشخصية الفردية مجرد قناع ، يخفى بقدر ما يظهر ، ويحجب بقدر ما يكشف . وليس منا من يرى أحدنا الآخر . إننا ندرك صـــور أو شخصيات أحدنا الآخر عن طريق الحواس وحدهـا . . إن الذات الحقيقية مخبوءة إلى الأبد..وإذا كانت عملية التطور الطويلة ضرورية لإظهار الخاصيات الكامنة للأنا حتى يمكنها أن تكتسب الشعور بالخلود ، فهل لنا أن نخمن أن مظهراً واحداً للصورة الإنسانية يكون كافيا ؟ . . ألا يمكن أن يظهر الأنا دورياً عندما يكون ضروريا له أن يفعل ذلك ؟ . . دعنا نتقدم إلى أبعد من ذلك . . إننا حينما يحل بنا الموت ، ننتقل إلى مستوى من الحيـــاة تال ، حيث لا نزال نجمع الخبرات ونذهب من مستوى إلى مستوى ، إلى أن نبلغ المقر الرئيسى للأنا . وهنـاك تكون كل الخبرات التى جمعتها الشخصية مستغرقة فى الأنا ، والشخصية باقية ثابتة فى الذات الحقيقية كذاكرة.أى أن الوعى الشخصى ينتشر ويتمدد إلى ذلك الوعى الخاص بالأنا ، ليصير الاثنان معاً واحداً ويسهما فى جميع خبرات الشخصيات السابقة وسائر تلك الخبرات التى أحرزناها فى حياة ماقبل الإنسان فى النفس الجمعية.

ويظهر الأنا من جديد كرة أخرى ، عندما يكون ذلك ضروريا لنموه الإضافى ، ويستخدم فى العملية تلك القوى التى ولدتها التجسدات السابقة ، ويوضع جذر آخر فى وجود مادى ، وتنشأ شخصية فردية جديدة يوجهها القانون الذى يرشد مظهر الأنا ويقوده إلى تلك البلدة أو إلى أولئك الآباء الذين سيكونون معه على صلة كارمية . ويعبر الجسد الجديد ، إلى حـــد بعيد ، عن المجموع أو النتيجة الكلية للتطور الذى وصلنا إليه فى حيوات سابقة ، زائداً القوة الإضافية لتقدم أكثر .

من هنا نفهم أن قضية تذكر الحيوات الماضية يمكن أن تحقق كقوة زائدة فقط . ولقد قيل إن الملكة العقلية هى الذاكرة ، ولكن النقطة الأساسية التى يجب أن نضعها نصب أعيننا هى أن وعى الخلود شىء يكتسب بالجهد ، ويمكن أن يفقد بالإثم المتواصل . والمسئولية الشخصية شىء حقيقى إلى أبعد ما تكون الحقيقية بل أبعد مما يتصور الروحيون .

ومن المبادىء التى أقرها وتعهد بها جميع الذين انتموا إلى « الاتحاد الدولى للروحيين »، وصاروا أعضاء به هو « أن طريق التقدم مفتوح لكل نفس تريد أن تمشى عليه » . والكلمة الهامة هى « تريد » . وماذا عن أولئك الذين لا يمشون عليه ؟ . إذا كانت المسئولية الشخصية حقيقية ، كما ثبت لنا ذلك ، فلا يمكن أن يكون هناك إجبار أو إكراه . إن الله لا يفرض الخلاص على أية نفس . إن الخلاص يوهب ؛ والوسيلة فى المتناول، ولكن إذا رفضت أى نفس أن تستعملها، فلا بد أن تتحمل النتائج . إن الرجل الذى لديه موهبة واحدة ورفض أن يستغلها ، فإنها تؤخذ منه . هذا هو القانون . وإذا كانت لديك قوة ولم تواظب على تدريبها ، فإنها لا تلبث أن تضعف ويعتريها الكلال .

فكر مليا فى الطفيلية (١) . إن لها نتائجها الطبيعية فى العالم الأخلاقى ، وينبغى لنا أن نواجه تلك الأمور ولا ننظر إلى محبة الله على أنها تهمل الفاسد وتتغاضى عنه . إنى أترك للقارىء حرية التفكير فى القضية . ولكنها على أية حال إحدى القضايا التى يجب أن نفكر فيها بإمعان . وينبغى لنا أن نكافح لنفهم بوضوح تضمينات مذهبنا عن المسئولية الشخصية .

---

(١) الطفيلية : العلاقة القائمة بين الطفيلى والحيوان أو النبات الذى يعيش (الطفيلى) عالة عليه .

تذكر الحيوات السابقة

يقول أفلاطون فى المقالة الخامسة من كتـاب النواميس : إن محب الحكمة دائم النزوع إلى الوجود معرضا عن الأفراد والمظاهر ، ساعيـا فى البحث عن الماهيـات العقلية حتى يتصل جوهره العقلى بما فى الأشيـاء من الجواهر المعقولة فيحصل الاتحاد لما بينها من المشاكلة والمجانسة فتتولد من اتصالها المعرفة واليقين. فما العلم فى الواقع إلا تذكر النفس حالتها السابقة التى كانت عليهـــا قبل الوجود البشرى . وما قد تشاهده فى تلك الحياة السابقة يجعل حياتها الراهنة أشبه الأشياء بالولادة . والنفس تبرز ما كان فيها كامنا وفى جوهرها باطناً .

فالتذكر - عند أفلاطون - « أن النفس إذا كانت قد حييت حياة سـابقة فلا يمكن هذه الحياة السابقة ألا تترك أثراً فى النفس حينما تتصل بالجسم . ومن هنا كانت فكرة التذكر مرتبطة أشد الإرتباط بفكرة الوجود السابق . هذا ونظرية المعرفة عند أفلاطون تضطر اضطراراً إلى القول بالتذكر . فكيف تتم المعرفة ، بمعنى العلم ، إن لم يكن هناك تذكر لمعارف سابقة أدركها الإنسان أو حصلها فى حياته السابقة ؟ .. ذلك أن العلم هو ارتفاع فوق المحسوس ، وهذا الارتفاع فوق المحسوس لا يمكن أن يتم إلا إذا كانت لدينا ، فى نفوسنا ، بقايا أفكار أو صور لتلك التى نراها فى الخارج ، وتصل إلينا عن طريق الحس ، لأن الإنسان لا يبحث عن شىء يجهله كل الجهل ، وإنما يبحث عن شىء لديه عنه بعض المعرفة السابقة ، وهذه المعرفة السابقة عبارة عن تذكر للصور التى رأيناها فى علم سابق، تذكرها بمناسبة هذه الأشيـاء الحسية التى تظهر أمامنا . فمن ناحية نظرية المعرفة أيضاً لابد من القول بالتذكر »(1)

وفى ذلك يقول الإمام الغزالى : إن العلوم مركوزة فى أصل النفس بالقوة

---

(1) عن كتاب « أفلاطون » للدكتور عبد الرحمن بدوى ، الطبعة الثـــالثة ١٩٥٤ ص ٢٠٢

كالبذر فى الأرض ، والجوهر فى قعر البحر ، أو فى قلب المعدن . والتعلم هو طلب خروج ذلك الشىء من القوة الى الفعل .

ثم يقول أيضا : وليس التعلم إلا رجوع النفس إلى جوهرها وإخراج ما فيها الى الفعل وقد رأينا عالمـــا يمرض فتعرض نفسه عن جميع العلوم وينسى معلوماته وتلتبس عليه . فإذا صح وعاد الشفاء إليه يزول النسيـــان عنه وتعود النفس إلى معلوماتها فتتذكر ما قد نسيته فى أيام المرض. فعلمنا أن العلوم ما فنيت وإنما نسيت فاشتغال النفس بالتعلم هو إزالة المرض المعارض عن جوهر النفس لتعود إلى ما علمت فى أول الفطرة .

ولكن إذا كنا فى جذور المعرفة العامة على صلة تذكرية بحياتنا السابقة فلماذا لا يمكننا أن نتذكر أعمالنا فى تلك الحياة ؟ . .

ذلك لأن الحياة على الأرض يسيطر عليها الجسد المادى، ويؤثر فيها بصورة تجعل الفرد لا يتذكر الأشياء الدنيوية (الأرضية) ، على حين أن الروح قبل الولادة يكون الوعى عندها سماويا لا ذاتياً ، وليس لديها أى شعور بالحالات أو الشئون الخارجية . والإنسان حين يولد على الأرض يموت فى عالم الروح . ولكنها موتة غير كاملة ، بمعنى أنه يظل تحت قوى سامية تعمل على تحويل وعيه إلى باطنه .

على أن عدم تذكر الأعمال والحوادث والاختبارات فى الحيوات السابقة لا يحول دون استخدام القوى المتحصلة فى تجسدات تالية . ولدينـا لذلك المثل : فإن تذكر المحاولات الصبيانية فى تعلم السير والكلام والقراءة والكتابة قلما يحتفظ به فى سن البلوغ . . وتأسيساً على ذلك نفهم لماذا لا يسمح للإختبارات المتنوعة لحيوات عديدة سابقة بالاستقرار فى الدماغ العقلى الجديد ، ولماذا يمسح الشريط القصصى لهذه الحيوات ، ويترك العقل حـــراً ليبحث من جديد وليستوعب التجاريب والخبرات الحديثة .

ومن وجهة النظر الثيوصوفية يمكننا القول بأن هذا المنع من

تذكر الماضي قد وضع لحكمة خاصة ولصالح النمو البشري روحياً . ومن العبارات المجازية التي يرددها القوم أن العائد إلى الحياة لم يعد يتذكر ماضيه لأنه جرع من مياه نهر « لتي »[١] . ومع ذلك فإن ثمرة الحوادث الماضية تتمثل في كل شخصية جديدة كغريزة وموهبة كامنة ، وكحب أو كراهية أو كصوت للضمير[٢] .

الغريزة كذاكرة :

وإذا كان من المسلم به أن تذكر حوادث الحيوات الماضية هو الاستثناء لا القاعدة ، وأنه نادر الحصول إلا أن الذاكرة من حيث أنها مقدرة ومعرفة فطريتان ، تجد الدليل التام عليها في كل من مملكتي الطبيعة الإنسانية والحيوانية . وتعلل الثيوصوفية غريزة الحيوان بأنها ضرب من الذاكرة. فالوعي الذي تطور في فرخ البط مثلا قد انحدر إليه من بطات أخرى خلال أحقاب غابرة . وفرخ البط يعرف بالغريزة أن البط يمكنه أن يسبح . وفي الدماغ الجديد لا تتذكر البطات الصغيرة وجودها السابق، إلا أنها تجتذب الغريزة التي تنشأ منها، وتسبح بكيفية طبيعية تماما . وبالمثل فإن سائر العادات والخلال الغريزية في مملكة الحيوان يمكن أن تعزى إلى ذاكرة النوع .

وبنفس هذه الكيفية الغريزية فإننا نحن البشر نتذكر محصلة حيواتنا السابقة ، فمواهبنا الكامنة هي هبات اكتسبت بشق النفس. والحب والكراهية هي تذكرات الماضي.والحب من النظرة الأولى ، ذلك الحب الذي يقفز فجأة إلى الوجود ويظل يغمر الحياة بنعمائه ، ليس سوى تجديد تلقائي لرباط قديم . وهناك آخرون نحس نحوهم بكراهية فطرية لما هي الأخرى جذور تمتد إلى حيوات أخرى كانت فيها

---

(١) نهر « لتي » في أساطير الإغريق والرومان يقع في العالم السفلي ، وتمنح مياهه نسيان الماضي وسلوانه .

(٢) عن « العودة للحياة » ص ٣١ .

العلاقة رديئة . فنحن نأتى معنا فى كل ولادة جديدة بذاكرة فطرية غير منفصلة لعلاقات غابرة. وثمار هذه التجارب تعلن عن ذاتها فى الشخصية الجديدة كقدرات بديهية ، وحب وكراهية يعسر بغير ذلك تفسيرها . (١)

ومع ذلك فهناك فى دائرة الاستثنائية حالات سجلت لأطفال استطاعوا فى حالة اليقظة التامة أن يتذكروا تفصيلات حيواتهم الماضية . والمفترض أن هذه الحالات تحدث غالبا للأطفال الذين يموتون فى سن مبكرة ويولدون ثانية فور موتهم ، مما يجعل تذكرهم لحيواتهم السابقة أكثر احتمالا . وهنا يبرز حل المشكلة التى يعرضها أولئك الذين يدعون تذكرهم لحيوات سابقة، فنى حالات معينة تكون تلك التذكرات حقائق راهنة ، وبذلك تكون دليلا إضافيا يدعم عقيدة الولادة الجديدة .

وفى بطون بعض الكتب التى تعالج الظواهر النفسية والروحية ، وفى ثنايا القصص التى يرويها بعض جوابى الآفاق ورواد المجاهل ، وعشاق الخفايا والغرائب البشرية ممن يوثق بعلمهم وفضلهم نجد عدداً متناثراً لحالات يدعى فيها بعض الناس تذكر حيوات ماضية على الأرض بشخصيات كانت موجودة حينذاك لآخرين . ولو قدر لهذه الحالات المبعثرة هنا وهناك أن تجمع ، فإنها تؤلف بتفاصيلها وظروفها سفراً يعد بمثابة بينة على هذا الطراز الفريد من تلك التجربة ، وتقوم دليلا قويا على حقيقة العودة للتجسد .

وإذا نحن تتبعنا هذه الحالات لاحظنا أن خريطتها الجغرافية تتبع خريطتها الدينية ، فهى توجد غالبا فى شرق آسيا حيث فكرة العودة للتجسد بين السكان عقيدة وليست خرافة ولا خيالا . .

وفى هذا النطاق نجد أناساً غير قليلين يميلون إلى أن يكونوا متحفظين قليلى الكلام . ويقال إن الفرد من هؤلاء إذا كان هادئا ولطيفا ومتواضعا فإنه

---

(١) نفس المرجع ص ٤٤

سيحصل بمرور الزمن على كثير من الأسرار الشيقة التي يحرص على الإفضاء بها إلى الآخرين .

* * *

وإذا كانت الأمور في هذا المجال تبدو هكذا ، فماذا علينا أن نصنع إزاءها؟ » . وأي حكم يمكن أن نطبقه على تجاربها ؟ . .

لقد قوبلت هذه التجــــارب ، حقا ، بشيء من التحفظ والحذر وتعرضت لبعض الشكوك والريب ولكن لماذا ؟ . .

في الإجابة على هذا التساؤل نقول إن مرد هذا التردد هو أن التذكرات المدعاة لحيوات سابقة لا يخلو التسليم بها من خطورة لأنه يمكنها في أحوال كثيرة أن تهيء للمقتنع بها بغير حدود ودون مسوغ مجالا للاعتقاد بتفوق معرفته في حقل من الحقول ، والاستغراق في الأوهام والخيال .

وهناك ملايين من الناس غير سعداء وغير موفقين في ظروفهم الحاضرة ، ويودون أن يكونوا في غاية السعادة بالحصول على تعويض نفسي[1] يمنحهم هذه النعمة . وطريقهم السلطاني إلى ذلك أن يتشبعوا باعتقــــاد أنهم كانوا في حياة سابقة أناساً عظماء ، ناجحين . .

وقد يكون مرضيا وساراً للبعض أن يعتقد أنه كان في حياة سابقة مسخاً[2] أو وحشاً أو جبــاراً رديء السمعة ـ أو أي شيء من هذا القبيل يتيح له هروبا من إحساسه الحالي بالتفاهة وعدم الأهمية . ولقد وصف « اللورد دودنج » [3]

(١) التعويض : عملية سيكولوجية يخفي بها المرء عجزاً معينــا أو شعوراً بالضعة الخ . وذلك عن طريق التفوق في حقل معين

(٢) المسخ : الشخص في منتهى البشــــاعة أو التشويه الخلقي أو الوحشية أو النزعة إلى الشر .

(٣) مارشال الطيران لورد دودنج ، من ألمع الأسماء في تاريخ بريطانيا الحربي . له أربعة كتب في الروحية عرض فيها خلاصة تجــاربه التي واصلهــا بنفسه لمدى سنين كثيرة .

كيف كان هناك فى الغرب الأوسط (فى الولايات المتحدة الأمريكية) عدد من النساء ادعت كل منهن أنها متجسدة لروح كليوباترة ، وأشار اللورد إلى أنه لم تكن لواحدة من تلكم النسوة أية علاقة متبادلة مع الأخرى . .

مع أن هناك حالات غير قليلة يعتمد المدققون فى البحث أن الانطباعات التى تحدث فيها عن الحيوات السابقة إنما تأتى عن طريق نوع من « التلباثى » ، فإن ثمة حالات أخرى توحى بأن تذكراتها حقيقية، وفيما يلى أربعة من النماذج المختلفة لتلك الحالات :

أولا ـ ترى بعض العقائد أن هنـــاك ذاتا خالدة فى كل منا تكسو نفسها بشخصية من أجل أن تكتسب تجربة وتزداد قدرتها العقلية نمواً حتى تستطيع أن تستجيب إلى جمال الكون وحكمته . وعندما تفنى الشخصية ، تتأمل الذات الخالدة ملياً فى التجربة المكتسبة خلال تلك الشخصية فترتدى واحدة أخرى . ومن هنا يمكن القول بأن فرداً على درجة عالية جداً من التطور ربما تكون له الشخصية التى يتعين عليها أن تكون تعبيراً طيباً للذات الخالدة التى يكون فى استطاعتها ، إلى حد ما، أن تردد ذاكرة تلك الذات،كما يمكنها أيضاً أن تعرف شيئا عن الحيوات السابقة . ومثل هذه الحالة نادرة الحدوث ، وغالبا ما تكون محصورة فى مرتبة البطل ، أو القديس ، أو النـابغة ، ممن نشعر بشىء من الشك فى ادعاء أنهم من تلك الطبقة .

ثانيا ـ فى الكفة الأخرى من الميزان ، نجد البدائى الذى لديه القليل مما يتأمله فى الفترة الفاصلة بين الحيوات ، يعود غالبا فى الحال بانطباع واضح عن الحيـاة السابقة . ولقد ظهرت حالات كثيرة من هذا القبيل فى الشرق الأقصى وفى بورما يمكن أن تقع ضمن هذه الفئة .

ثالثا ـ هنـاك الفرد غير البدائى الذى يموت صغيراً فيستعد للتـأمل فى الفترة الفـاصلة بين الحيوات . يرجع بسرعة أيضا إلى تجسد فيزيقى . ولقد أحاط هذا النوع بالأمان بعض الحالات المقنعة من وجهة النظر البرهانية ، ذلك لأن الطفل

إذا استطاع أن يصف حياته السابقة ، وأمكن الحصول على إثبات تصريحاته ، فإن الحالة برمتها توضع تحت الاختبار ليتم فحصها بدقة بوساطة خبير متمرس على تلك الحالات حتى يظهر للعيان تركيب ممتع جداً للبينة . .

رابعاً - وهناك الفرد الذى يجد نفسه فى حالة من حالات العقل مثيرة ورفيعة، أو فى مجموعة خاصة من الظروف التى تستحضر بعض تذكرات خصوصية من حياة سابقة .

إن كل ما نحتاجه هو البينة التى تؤكد الموضوع برمته . وكيما نحصل على هذه البينة سنحتاج إلى اتخاذ مواقف مختلفة وإنسانية تجاه البيانات التى يقدمها لنا الآخرون عن التجارب التى عاشوها ، متذكرين أن كل تجربة فردية، حتى ولو كانت تجربة خيالية ، يمكن أن تكشف لنا شيئا عن طبيعة الشخصية الإنسانية والروح البشرية .

« ولا ريب أن نظرية رجعة الروح هذه - لو ثبتت ثبوتا كافيا - لكان من شأنها أن تقرر هذه الحقيقة التى يمكن لأى إنسان أن يكتشفها بنفسه ، وهى أن الإنسان يطوى غالبا بين جنبيه عدة شخصيات، بدلا من شخصية واحدة متناسقة ومتكاملة . فإذا ما حاول الإنسان أن يسبر أغوار أى صديق له تبين له أنه يصادق فيه أكثر من إنسان ، وأن هذه الشخصيات المتعددة قد تتصارع وتتآلف فى علاقتها مع مجموع الشخصيات التى تحيط بها .

« ثم إن ثمة حقيقة قد ثبتت ثبوتا كافيا ، وهى أننا نتصرف فى حياتنا بما قد ينبعث من داخلنا من مشاعر ورثناها عن ماضينا،وعن تراث التجارب المسجلة فى اللاشعور ، أو إن شئنا فى عقلنا الباطن . فهذه وتلك هى الحوافز الحقيقية التى توجه إرادتنا وتتحكم فى مواقفنا من أحداث الزمان حلوها ومرها معاً ، أما مشاعر الآخرين فقد تكون لنا بمثابة السدود الحكيمة التى وضعتها الطبيعة كيما نعيد النظر فى أحكامنا وتصرفاتنا فنكتسب لأنفسنا سلسلة تجارب متجددة ،

وبالتالى ذخيرة مخبوءة،وأيضا لتكييف علاقتنا على نحو أفضل بأنفسنا وبنواميس الحياة الصحيحة التى يلزمنا الإتساق الصحيح معها حتى نحصل على قدر أكبر من تناسق الشخصية ، وبالتالى من السعادة الداخلية التى هى حقا مملكة السماء فى الإنسان » (١)

بعض تجارب عملية فى جانب هذه النظرية :

هذا عن بعض النواحى النظرية ، أما عن النواحى العملية فيستند أنصار «العودة للتجسد» إلى بعض تجارب عملية أشار إليها الدكتور رءوف عبيد فى موسوعته « مطول الإنسان روح لا جسد » نلخصها فيما يلى :

أولا - بعض حالات نادرة من عودة الذاكرة القديمة فجأة ، التى حققها علماء ثقات فى عدة بلاد عند أشخاص أمكنهم أن يتذكروا أحيانا قليلة ماضيا معينا لهم سابقا على حياتهم الحالية . ويقيموا بعض الأدلة عليه ، مثل الإرشاد الصحيح عن بعض الوقائع ، أو عن بعض الأماكن ، أو عن بعض الذكريات الدفينة. وهذه الحالات خضعت للبحث فى نطاق علمى السيكولوجى والباراسيكولوجى .

ثانيا - كما أمكن أحيانا عن طريق بعض الحالات العميقة للتنويم المغناطيسى إرجاع ذاكرة المنوم مغناطيسيا إلى ما قبل ولادته ، فروى بعضهم ذكريات عن وقائع معينة ، وبأسماء محددة ، فى الذكورة وفى الأنوثة معاً . وقد أخضعت بعض هذه الحالات للتحقيق العلمى. وقد بدأ هذه التجارب منذ مطلع القرن الحالى الكونت كولونيل ألبير دى روشا مدير المدرسة الفنية العسكرية بباريس وشرحها فى مؤلفاته المعروفة (وسنقدم فيما يلى من فصول الكتاب إحدى تجارب الكولونيل دى روشا فى هذا المجال)

ثالثا - إن بعض الكشوف الحديثة عن طبيعة العقل قد يلتئم مع نظرية العودة

---

(١) عن « مطول الإنسان روح لا جسد » الجزء الثانى ص ٢٦١ / ٢٦٢

التجسد هذه أو التجسدات المتكررة ، ومن ذلك مثـلا النظرية المركبة The Compound Theory عن العقل ، ومقتضاها أن العقل الإنسانى مركب من عدة مراحل مندمجة معاً. فبحسب هذه النظرية يقول الدكتور تشارلى بروض Charlie Broad وهو من المقتنعين بها : « يمكننا أن نفترض أن العامل الروحى Psychic factor يمكن أن يستمر بالأقل إلى فترة ما بعد تحطم الأعضاء التى كان مرتبطا بها (أى بعد الموت) لكى يكون المركب الذى يدعى عقل « جون جونز »(١)

وهذا العامل الروحى لا يمثل بذاته عقلا ، ولكنه يمكن أن يخضع لتغييرات بسبب الاختبارات التى حدثت لصاحبه عندما كان حيا . ويمكن مؤقتا أن يرتبط بأعضاء وسيط فى غيبوبته . وإذا كان الأمر كذلك فإنه يتكون بالتالى عقل مؤقت ، وهذا العقل المؤقت يحتوى على نفس العامل الروحى الذى كان « لجون جونز » وبالتالى فليس من المستغرب أن يبرز بعض الخصائص المميزة « لجون جونز » ، وبعض ذكريات الحوادث التى مرت به فى أثناء حياته الأرضية .

ويضيف تشارلى بروض فى نهاية تحليله لهذه النظرية التى لها أسـانيدها التجريبية الوفيرة أن « لها مزايا معينة فى جانب نظرية التجسدات المتكررة . . فبدلا من أن يكون ثمة عقل واحد هو الذى يهب الحياة لحلقات متتابعة من الأعضاء فإنه يوجد ثمة عامل روحى واحد يرتبط بهذه الحلقات المتتالية من الأعضاء كيما يكون حلقات متتابعة من العقول .

ولا بد أن توجد فترات يظل خلالها هذا العامل الروحى الذى انفصل من الجهاز العضوى الذى مات ، والذى لم يدخل بعد فى ارتباط بجهاز عضوى آخر على وشك أن يولد »(٢)

---

(١) كناية عن أى شخص مجهول مثل قولنا بالعربية « زيد » أو « عمرو »
(٢) عن كتـاب الدكتور بروض « العقل وملكاته الطبيعية » =

رابعا ـ وقد أمكن لعدد من الأرواح بعد تحررها من أجسادها الأرضية « بالوفاة » أن تتذكر شطراً من حياة سابقة لها أو أكثر. ذلك أنه بحسب الأصل تفقد الروح ذاكرة حياتها السابقة بمجرد الالتصاق بجسد الجنين فى بطن أمه ، فلا يتبقى لها من هذه الذاكرة سوى درجة التطور التى وصلت إليها النفس ، والتى تنزلق إلى عقلها الباطن كيما تمهد لها طريقها فى حياتها المستقبلة . ولذا كان العقل الباطن مخزنا لدروس الماضى وخبراته ، مخزنا مليئا بصنوف التجربة التى أصبحت ـ بحسب الظاهر ـ فى طى النسيان من العقل الواعى .

وهذا النسيان يحصل لحكمة إلهية سامية ، وهى دفع عجلة التطور للأمام ، وحتى لا يكون ماضى الروح السحيق عائقا يعوقها فى تقدمها ، بما قد يكون فيه من أخطاء ، ووصمات ، وآلام ، وأهوال . فهو رد اعتبار من الطبيعة للروح يسلبها مخازيها السابقة، ولا يسلب النفس حقها فى الاحتفاظ بالمرحلة التى وصلت إليها فى التطور عن طريق الألم والاختبار المتكررين .

خامسا ـ وهناك أيضا حقيقة علمية سائدة الآن حتى فى علم النفس ، وهى أن العقل الباطن أعمق وأعم من العقل الواعى. فهذا الأخير ليس سوى جزء ضئيل من العقل يطفو على سطح الماء ، حين يختفى الجزء الأكبر منه وهو العقل الباطن تحت السطح ، بالأقل طيلة الحياة الأرضية . ويقول عدد من الروحيين إن علة ذلك هى أن الوعى الإنسانى لا يتجسد كله فى المرة الواحدة ، فلا يتجسد منه فى المرة الواحدة سوى جانب يسير عن طريق المخ الذى يتحكم بدوره فى الجهاز العصبى للإنسان ومقتضى ذلك بالضرورة هو تعدد عدد المرات التى ينبغى أن يتجسد فيها الوعى للحصول على النمو المطلوب ، وعلى التناسق الكافى بين شتى أجزائه، وهذا التناسق هو الذى يحقق للإنسان قدراً أوفر من السعادة ومن التكامل .

= The Mind and itso Place in Nature . وقد ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٢٥ والثامنة فى سنة ١٩٦٨ .

سادســـا ـ يلاحظ أن تجسد أرواح بعض المنتقلين بالوفاة تجسداً تاماً أو جزئيا تحت أدق صور الرقابة العلمية ، هو في حقيقته « عودة التجسد » . وإذا كانت العودة هنا وساطية ومرهونة بفترات قصيرة فليس ما يمنع من أن تكون لها صورة أخرى طبيعية عن طريق الميلاد ، وأن تكون بالتالى لمدة الحيـــاة الدنيوية ، التي تتفاوت طولا وقصراً . .

٭ ٭ ٭

وأخيراً إن الدليل الحاسم لحقيقة العودة للتجسد يجب أن يستمد من المعرفة المباشرة لحيوات المرء الماضية . ولدى الباحثين فى هذا الميدان كثير من البينات المقنعة التي قدمها الآخرون عن التجارب التي عاشوها ، ولما كانت لهذه الشواهد قيمة علمية كبيرة فى الإثبات والتأكيد فقد أفردنا لهـا فصلا خاصاً بها أتينـا فيه بحالات متنوعة لا تثير طلعة القراء فقط بل وتستوجب تفكيرهم الجـــاد والعميق .

دكتور ستيفنسون

وأبحاثه فى مجال تذكر الحيوات السابقة

سألت ذات مرة مجلة «لوك» الأمريكية ، وهى مجلة جماهيرية توزع أعدادها على نطاق واسع ، « هل هناك حياة أخرى بعد الموت ؟ » .

وكان السؤال عنوانا لمقال أخاذ موضح بالرسوم قدمت فيـــه إلى الجمهور تحقيقاً دقيقاً مدعماً بالوثائق والصور للعالم البروفيسور الدكتور «إيان ستيفنسون» Dr Ian Stevenson أستاذ التحليل النفسى بجامعة فرجينيا عن «إدعاءات العودة للتجسد ونتائج بحث الظواهر الروحية مشروحة من غير قوانين الطبيعة العادية».

ولقد علق « إيوجين كنكيد » المحرر بمجلة « سايكك نيوز » على هذا التحقيق الشامل الذى قام به الدكتور ستيفنسون فى عدد المجلة الصادر فى يوم ٣١ أكتوبر ١٩٧٠ — وبعد أن تمت بينهما مقابلة طويلة ، بأن هذا العمل الذى كرس له الدكتور نفسه يعتبر من الأعمال المجيدة ، التى ينظر إليها العلماء الآن باهتمام بالغ.

والدكتور ستيفنسون برغم شهرته وذيوع صيته فى هـــذا المجال لم يبتعد كثيراً عن الشباب فهو يبلغ من العمر سبعة وأربعين عاماً تقريباً . وقد تفرغ تماماً لأبحاثه الروحية حول التجسد ، وعاش أعزب بلا شواغل من زوجة أو أولاد ، ويعتبر المسئول الأول عن قسم الباراسيكولوجى الذى تاسس منذ خمسة أعوام ضمن دائرة الطب النفسى بجامعة فرجينيا بالولايات المتحدة — وله شبكة كبيرة عالمية الإنتشار تضم كثيراً من الوكلاء والمعاونين الذين يبرقون له عن الحالات التى يكتشفونها فى بلادهم فيطير إليهم ليحققها بنفسه . ويقول محرر « السايكك نيوز » إن الدكتور ستيفنسون أمد بعض العلماء البارزين بمعلومات دقيقة تشهد بصدق لطريقته العقلانية والفنية والمنجزة وفقاً لما يمليه الضمير — لفهم موضوع : « جمع وتحصيل المعطيات الخام » [1].

---

(١) مجموعة القضايا المسلمة فى علم من العلوم .

ثم يحيل المحرر قراءه إلى لقاء تم بين زميل له هو مستر « روى ستيمان » مع البرفيسور ستيفنسون فى أثناء زيارته لانجلترا ودار فيه حوار طويل ولكنه ممتع وقد نشرته المجلة فى عددين متواليين فى شهر مارس من عام ١٩٧٠ ، وهذه مقتطفات منه :

— إنى أعرف أن عندك مادة وفيرة من دراساتك عن العودة للتجسد يمكن أن تجمع منها كتب أخرى بالإضافة إلى كتابك «عشرون حالة توحى بالتجسد»

" Twenty Cases Suggestive of Reincarnation "

— نعم ، هذا صحيح . عندى مجموعة أبحاث عن أشخاص كانوا موضع اهتمامى وهى معدة للإفادة منها فى تحليل حالاتهم ، ولدى كتاب عن حالات من قارة آسيا ، وآخــــر عن حالات من أوربا ، وكتاب عن حالات من أمريكا بالإضافة إلى كتب أخرى .

— إن معظم ماقرأته عنك أو ماقرأته لك يبحث فى العودة للتجسد . فهل هذا الموضوع هو الذى اخترته لدراساتك ، والذى استغرق أكثر وقتك فى الباراسيكولوجى ؟

— قد يكون ذلك . وقد يكون على وجه التحديد شاغلا ٧٥٪ من وقتى . إننى أهتم أيضاً بالوساطة . ولذلك بدأنا فى إعداد منهاج (برنامج) لدراسة الوسطاء فى جامعة فرجينيا . إن إهتمامى شديد بسلسلة الحالات التلقائية كلها : الأشباح ، والأحلام المستبصرة (١) ، وغير ذلك . وإنى أشارك أيضاً من وقت إلى آخر ، فى القيام بتجارب أخرى أرى أنها لاتبعدنى عن تركيز اهتمامى حول الموضوع الأساسى .

— ولكن لماذا كانت العودة للتجسد هى اهتمامك الأساسى ؟

— لأنى أظن أن دراسة البيئة على عودة الولادة ربما تزودنا فى النهاية

---

(١) التى تمكن المرء من معرفة الأحداث أو الأحوال قبل وقوعها .

براهين مقنعة على الحياة بعد الموت الفيزيقى أكثر مما تفعله الاتصالات الوساطية، حتى الآن . هذا مجرد إحساس باطنى .

ــ لماذا تظن ذلك ؟ إن ميزة الوسيط هى أن الانسان المشتغل بمثل هذه الأمــور يميل دائما إلى أن يكون عنده شكول (تشكيلة) من المراسلين الروحيين (١) ممن يجوز أن تكون ذاتيتهم المستقلة راسخة . ومع ذلك ،فبادعاء العودة للتجسد سيكون عندك شخصية مدعية للدراسة . وأعرف من كتابك أنه مع الولادة الجديدة يوجد كثير من الفرضيات (٢) التى تتيح المجال للاختيار ويجب أن تدرس بتأمــل وعناية . ألا يمكن أن تكون الوساطة منبعاً أفضل للبينة ؟ . .

ــ نعم ، فى بعض الأحوال من غير شك،ولكن حيث تكون هناك حالات ولادة جديدة يمكنك أن تكون أكثر تثبتا فى الحكم على النظريات الخيارية (٣). وأن تجد بعض الحالات المثالية بالنسبة للوساطة ، فإن المرء يكون على الدوام ضد الاعتراض على أنها جميعا تتم عن طريق التلباثى .

إننى لا أوافق على هذا التفسير القــاصر وغير المناسب لجميع الاتصالات الوساطية ، ولكنه يعتبر دفعة إلى الأمام يقوم بها الشكو كيون (٤) .ويمكن أن يحصل الإنسان على حالات من العودة للتجسد فيها على الأقل سمات معينة لا يمكن تفسيرها على أساس التلباثى بين الأحياء .

ــ ماذا تكون يا ترى الحالة المثالية التى أشرت إليها ؟

ــ هناك نموذجان من الحالات . إفــرض أن رجلا أصيب بطعنة سكين قاتلة تركت علامة واضحة على جسمه . فإن طفلا يولد فيما بعد بعيداً عن مكان

---

(١) Communicators
(٢) آراء علمية لم تثبت بعد .
(٣) متيح المجال للاختيار . (٤) النزاعون إلى الشك .

الحادث بخمسين ميلا أو مائة ميل أو أكثر من ذلك وفى جسمه علامات مختلفة تشبه « الوحمة » متطابقة ومماثلة فى المظهر ونفس الموضع الذى أصيب فيه الرجل المتوفى ولم يسمع أهله شيئا عنها .

وأكثر من ذلك ، فإن الطفل يظهر معرفة خارقة يتعذر تعليلها عليا ، عن الرجل المتوفى . أعتقد أن هذه بينة قوية على أن جسم الرجل المصاب قام بطريقة ما كنموذج (موديل) على جسم الطفل . ولا يمكن أن يكون هذا مجرد شيء من الأشياء التى تحدث عن طريق التلباثى .

فإذا كانت الأم لم تسمع عن الإصابات التى حدثت فى الشخصية السابقة ، فأنت لا يمكن أن تقول إن هذا مثال (شاهد) على أنه كان لبصماتها أو انطباعاتها أثر فيزيقى على طفلها . هذا نوع من الحالات التى أذكرها .

والنموذج الآخر من الحالات القوية ـ بالنسبة لى ـ هو الذى يستطيع فيه الطفل وهو صغير جداً ، أن يتحدث بلغة لم يتعلمها بطريقة عادية ، أو تكون معروفة لأى فرد من أفراد أسرته . ولكنها نفس لغة الشخصية السابقة التى يدعى أنه كانها .

ـــ هل التقيت مصادفة بأحد هذين النموذجين ؟

ـــ نعم ، هناك حالات قريبة من هذه المقاييس . كل منها ، طبعا ، له عيوبه ونواقصه . وليس لدينا حتى الآن ماهو مبرأ من الخطأ . . ولكنى أرى أن لدينا فرصة لمحاولة فهم تلك الحالات فى المستقبل بأمانة وبدقة أكثر ، وربما للوصول إلى النموذج الثانى .

ـــ إنك بنيت قـــدراً كبيراً من الأهمية على المظاهر الخارجية الفيزيقية كعلامات الوحم .

ـــ نعم ، أعتقد أن هذه السمات مؤثرة جـداً فى حالات الولادة الجـديدة . لقد درست نحو مائة حالة من هذه الحالات ، وعندى كثير منها مزودة بالصور

الفوتوغرافية ، وبعضها لا يتضمن علامات على الجلد فحسب ولكن تظهر عليه تشوهات وعاهات جسدية فعلية . وهناك حالات عديدة أعدها من الحالات القوية على طول هذا الخط وسأضمنها كتابي القادم .

ــ لقد لا حظنا أن المهتمين بالروحية فى انجلترا غيروا اتجاههم بعيداً عن قبول مذهب العودة للتجسد .. فهل لقيت صعوبة أو معارضة من هؤلاء الروحيين فى دراساتك ؟ . .

ــ لو كان الأمر مقصوراً على الروحيين فى انجلترا لكان بسيطا هينا ، ولكنه يشمل المشتغلين بالروحية فى الولايات المتحدة وغيرها وأقولها بصراحة ،أنهم لا يكترثون بالعودة للتجسد . وأظن أن هذا التعبير أكيس وألطف من أن أقول إنهم يعارضونها . .

ونرى عكس ذلك عند المشتغلين بالروحية فى فرنسا ، وبدرجة كبيرة تستحق الاعتبار فى ألمانيا واسكندنافيا ،والبرازيل ،فهم جميعامتحمسون للموضوع ، ويسيرون فى الأغلب على نهج آلان كارديك ويتبعون تعاليمه . لقد كانت ثمة بعض المعارضات بين المشتغلين بالروحية ضد العودة للتجسد ،ولكن هذا لم يكن له أى تأثير علىّ .

ــ هل تسلم بالعودة للتجسد ؟ وهل هى تساعدك فى فهم الحياة أكثر ؟ . .

ــ إن موقفى من قضية العودة للتجسد هو أنى أعتقد أنها أحسن تفسير لعدد معين من الحالات التى لدينا فى الوقت الحاضر . وعلى كل حال ربما أغير رأيى فى هذا غداً . فقد يقدم لنا شخص ما تفسيرات أحسن .

ولا أحسب أن أية حالة فردية أو كل الحالات جميعا تعطى البرهان الحاسم والنهائى على العودة للتجسد . ولكنها تبدو لى فرضيات مساعدة على العمل ومعقولة جداً . ويمكن أن يعتمد عليها الإنسان فى مباشرة تحقيقات أخرى .

أما بخصوص الشق الثانى من السؤال ، فإن العودة للتجسد إذا حدثت فهى ،

كما يبدو لى ، ، تجعل الحياة معنى وطعماً ، ويجد فيها المضطهدون أملهم . . إننى أميل إلى الاعتقاد بأن العودة المتجسد قائمة بعملها فعلا . .

— هل استعملت التنويم المغنطيسى فى بحوثك عن العودة المتجسد ؟

— إستنتاجى الحالى عن هذا هو أن ٩٩ ٪ من البينة التى تظهر بهذه الوسيلة عديمة الجدوى وعديمة القيمة . وكم أسفت على أن هناك حالات كثيرة مطبوعة فى كتب ، مبنية على هذا النكوص الذى يعتمد على التنويم المغنطيسى .

إن الموضوع يعتبر (مقلوتا) أو (منسيا) إذا وقع تحت تأثير إيحاءات المنوم وتخيلاته . ثم إنه باستعمال المادة التى قرأها أو شاهدها فى التليفزيون مثلا يمكنه أن ينشىء (يرتب) شخصية خيالية (متخيلة) ربما تكون مقبولة أو معقولة جداً ظاهريا .

إن بعض تلك «الشخصيات السابقة» يمكن أن تكون محركة للعواطف وقادرة على التأثير بدرجة كبيرة إذا أنت تطلعت إليها بعناية ونظرت إليها باهتمام . فهى تبكى وتضحك وتجعل العرض العاطفى مدهشا ومذهلا . وهذا كله ناتج عن القوة الدرامية للطبقات اللاشعورية المنطلقة الخاصة بعقل الشخص الخاضع لهذه العملية .

على أنه مايزال هناك واحد فى المائة من هـــذه الحالات يمكن أن يؤخذ باهتمام بالغ وبحذر شديد . .

° ° °

وإلى هنا نكتفى بهذا القدر من الحديث الصحفى الذى دار بين الكاتب الكبير « روى ستيمان » والبروفيسور ستيفنسون . كما نربط بينه وبين حديث شيق آخر أجرته الكاتبة الأديبة « غادة السمان » المحررة بمجلة « الحوادث » البيروتية بالاشتراك مـــع زميلها غسان مكارم والشاعر عصام أبو الحسن أحد معاونى البروفيسور فى لبنان . . وذلك فى أثنـــاء مروره ببيروت فى طريقه الى الهند لدراسة مزيد من حالات العودة المتجسد . وقد دار هذا الحوار كما يلى (١):

---

(١) مجلة « الحوادث » البيروتية العدد ٨٥٩ بتاريخ ٢٨/٤/١٩٧٣ .

— قرأت كتابك وأعجبت به .

— سيعاد طبعه بعد إجراء تعديلات عليه وبالأحرى إضافات إليه . فقد صدر كتابى عام ١٩٦٦، وأنا مازلت منذ ذلك التاريخ ألاحق وأسجل تطورات الحالات الروحية التى سبق ورصدتها .

— منذ متى وأنت تهتم بالعودة للتجسد ؟

— منذ كنت فى الخامسة من عمرى . كانت أمى شديدة الاهتمام والإيمان بالعودة للتجسد .

— وهل تؤمن أنت به ؟

— أعتقد أن العودة للتجسد هى أفضل جواب وتفسير للحالات التى درستها فى كتابى وفى غير كتابى . حينما يأتيك طفل يقول لك إنه عاش سابقا فى مكان وزمان آخر (مكان لم تسمع به قط من قبل بواسطة مجتمعه الحالى) ويقيم الدليل على صدقه ، فإن العودة للتجسد هى التفسير .

— لاحظت أنك درست العودة للتجسد فى بلدان نامية (أو متخلفة) ، أفلا توجد حالات تجسد فى بلاد راقية ؟

— نعم ، التجسد يحدث فى كل مكان . وأنا الآن أحضر كتاباً عن العودة للتجسد فى أوربا والولايات المتحدة ، وقد درست فيه ٣٠ حالة تجسد أوروبية كما درست بعض حالات التجسد فى ألمانيا والولايات المتحدة واستراليا .

— حينما تقول كلمة « تجسد» هل تعنيها أنت بمعناها التقليدى ؟ وهل يمكن أن يكون التجسد هو اللاوعى المتوارث جيلا بعد جيل ؟

— لا يوجد شىء اسمه « التجسد التقليدى » . مفهوم التجسد يختلف بين قوم وقوم ، فهو يختلف عند الهنود عنه عند الدروز عنه عند اليابان أو الأمريكان أو الانجليز ، ولكن روح الفكرة تظل واحدة. وهناك علاقة بين شكل الإيمان، وشكل العودة للتجسد . مثلا فى لبنان (وهو أكثر بلدان العالم كثافة من حيث

حوادث التجسد) لا توجـــد حالات تبادل جنس فى التجسد (أى أن تتجسد الروح جسد أنثى بعد أن كانت فى جسد ذكـر ، وتصير الفتاة فى حياتها الثانية رجلا) ، أما عند الهندوس فإننا نجد كثيرا من حالات تبادل الجنس فى التجسد.

أما عن « اللاوعى المتوارث » فإنه قد يفسر بعض حالات التجسد لا كلها . (تذكرت هنا حكاية عن صبى إنجليزى ولد يتحدث اليابانية ويحمل عادات يابانية منها أكل السمك نيئا وهو أمر يشمئز منه الإنجليزى العادى ، وهذه الحادثة لا يمكن تفسيرها باللاوعى المتوارث والتجسد وحده يفسرها) .

ـــ هل أنت وحدك فى أمريكا المهتم بهذا الحقل ،أم هنالك أساتذه جامعيون سواك ؟

ـــ فى أمريكا حوالى إثنى عشر بروفسوراً متفرغين لحقل(الباراسيكولوجى).. بينهم ثلاثه مهتمون بقضايا الروح ولى زميل يدرس رؤى المحتضرين ، أى لحظة انفصال الروح عن الجسد المشحونة بطـــاقات عجيبة من الرؤيا ويقظة ما بعد الحواس الست .. ولى زميل آخر يدرس حالات الناس الذين ينجون من الموت باعجوبة وبالأحرى يموتون لثوان ثم يعيشون من جديد .

ـــ ماذا تعنى بذلك ؟

ـــ مثلا درس حالة رجـــل كان راكبا دراجة نارية ، ثم ضربته سيارة أطاحت به فى الهواء ، وسقط إلى الأرض ونقل إلى المستشفى بين الموت والحياة.لقد قال فيما بعد حينما شفى أنه أحس ساعة الاصطدام بأنه يطير فى الهواء، يحلق عاليا ، وأنه يرى من الأعلى جسده ممدداً على الأرض والدم ينزف منه ، ويرى الناس متجمعين حوله . . بل إنه أعطى وصفا دقيقا للمشهد ولما دار على الأرض لا يمكن لرجل فى حالة إغماء كامل أن يعرفه ولا يمكن إلا لطائر محلق أن يصفه بهذه الدقة .

هناك أيضا زملاء لى استطاعوا تصوير أفكار شخص بواسطة آلات فى غاية الحساسية .

وصمت البروفيسور - فهو قليل الشهية للكلام ، ولكنها ليلته الوحيدة فى بيروت ، وهى فرصة نادرة انتهزتها المحررة فقد لا تراه بعد ذلك قط . سألته :

— فى كتابك حجر الأساس لمبادىء علم جديد . إنك فى مناقشاتك لكافة الاحتمالات والتفسيرات ، وفى أسلوبك العلمى لدراسة حالات العودة للتجسد تخلق بداية علم جديد كما فعل ابن خلدون فى علم الاجتماع .

قال بتواضع: — إن أكثر ما يجلب انتباهى فى حالات التجسد هو العلامات الولادية. آثار الجراح ، أو العاهات التى يحملها الإنسان بفعل أحداث وقعت لروحه فى أثناء حياتها السابقة فى جسد آخر .

— وأنا أيضا أثارت فضولى هذه الظاهرة.فقد شاهدت بعينى أثر الرصاصة فى الخد الأيسر للصبى « طابع سويد » - الذى لم يصب برصاصة فى حياته - كما علمت أن الشخص الذى تجسدته روحه (المرحوم سعيد أبو الحسن) كان قد مات مقتولا برصاصة فى خده الأيسر وفى الموضع ذاته . وقد ازدادت دهشتى حين علمت من الدكتور سامى مكارم بصعوبات النطق التى يعانى منها طليع سويد والتى ترجع أسبابها إلى الإصابة التى صرعت الجسد السابق لروحه .

قال البروفسور بانزعاج : أنت ذهبت وشاهدت طليع سويد ؟

— أجل ، وذهبت إلى الحالة التى درستها أنت (حالة عماد الأعور) وذهبت إلى بيوت الكثيرين المتجسدين .

— أرجو أن تظل الصحافة بعيدة عن هذه الدراسات لئلا تفسدها . فأهم شىء هو أن تتم دراسة الحالة بمعزل عن كل المؤثرات الخارجية . إذا ظهر فى قرية ما صبى قال إنه سبقت له الحياة فى قرية أخرى، ونشر ذلك فى الصحافة قبل أن تقوم دراسة علمية حيادية لأقواله،فقد تدور اتصالات بين الفتى وأهل قريته السابقة قبل وصول العالم ، مما يفسد المعلومات ويجعل كل التحقيقات ضعيفة الإثبات . أرجوك ألا تدعى حملة صحفية تقوم حول هذا الموضوع . أتركوه للعلم ولى . .

وارتجف صوته .. فكم هو حريص على دراساته ، وكم هو مؤمن بها ، وكم هو بعيد عن أية اهتمامات دعائية .

* * *

حالات حققها الدكتور ستيفنسون

حالة عماد الاعور :



الدكتور إيان ستيفنسون ومن خلفه على اليمين : طليع سويد
وإلى اليسار : عماد الأعور

هذه الحالة يرويها الدكتور سامي مكارم الأستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت كما يلي :

في قرية قرنايل ، هنالك صبي صغير يدعى عماد الأعور (١٢ سنة).. عماد الأعور،منذ تعلم النطق في الثانية من عمره ، يروي لوالديه حكايات عن أخوة له. وعن أسرة أخرى كان يعيش بينها . وعن قرية كان يحيا فيها اسمها « الخريبة » . . ويروي بعض حكايات حياته السابقة . سيارات الشحن والأتوبيس . . الذهاب إلى الصيد . . كلبه . . حبيبته س . . (ولقسمها سعاد) .

وحين تعلم المشي أبدى فرحا شديداً ودهشة لقـــدرته على المشي . . وكان يروي حكاية سيارة دهست رجلا على قدميه . . وظن أبواه في البداية أنه تجسد روح إنسان قتل مدهوساً بسيارة .

وفي عام ١٩٦٤ سمع بحكايته العالم البروفسور « دكتور ستيفنسون » وكان في البرازيل يحقق في بعض حالات التجسد . تصادف أن كان مترجمه من أصل لبناني ومن عائلة الأعور . . وطار الدكتور ستيفنسون إلى لبنان وذهب خصيصاً لمقابلة الصبي وأسرته . واصطحب عماد الأعور للمرة الأولى إلى قرية «الخريبة»

والمذهل أن عماد تعرف على بيته السابق ، وعلى أفراد أسرته . وعلى شقيقته هدى التي بادرها بمد لسانه لها كما كان يفعل أيام كانا صغيرين فانفجرت بالبكاء ، كذلك تعرف على بندقيته . واستطاع أن يحدد بدقة الفراش الذي مات فيه وأشار إلى أنهم قد غيروا وضعه في الغرفة بعد موته ، لأنه أثناء احتضاره يذكر جيداً أنه كان يحاور أصدقاءه من النافذة (لم يسمح لهم بالدخول لأنه مات بالسل !) بل إنه تذكر أن أصبع أمه قد (هرسها) الباب . وبالفعل كانت أصبعها ماتزال تحمل آثار الحادث .

لقد استطاع إقامة الدليل على أن روحه كانت تقطن جسد شاب يدعى ابراهيم بشير أبو حمزه المتوفى عام ١٩٤٩ . وبنتيجة تحقيقات البروفيسور ستيفنسون

فتبين أن خوف عماد الأعور من العجز عن المشى يعود إلى أنه كان مصابا بسل النخاع الشوكى مما جعله فى أواخر حياته شبه مقعد (مات شاباً فى الخامسة والعشرين من عمره). وأن حكاية دهس ساق الرجل حدثت فعلا لابن عمه وصديقه وأنه شاهد الحادث ولم يتمع له !. وتبين أنه كان حقاً يقود السيارات ويملك أتوبيساً ثم سيارة شحن (هو وأسرته) وكل الوقائع التى رواها عن حوادث سير أصيبت بها سيارته أيدها شيوخ القرية ومعارف أسرة أبو حمزة. بل إنه ميز أشقاءه وناداهم بأسمائهم. وحتى فى صغره حين كان فى الثالثة من عمره، تصادف أن جاء أحد جيران آل أبو حمزة من قرية «الخريبة» إلى قرنايل.. وشاهده عماد فى الطريق وكان يرافق جدته، فركض إليه وقد عرفه وضمه إليه وقال له أنت جارى!..

وبالفعل كان هذا الجار من أهم الشهود فى «الخريبة» حين ذهب عماد ليتعرف على أسرته السابقة، وليشير إلى حيث كان يصف السيارات وحيث كانوا يخفون مفتاح البيت (تحت أى حجر).. وموضع بندقيته وغير ذلك من التفاصيل البالغة الدقة. بل أنه تحدث عن ولعه بالنساء أيام كان ابراهيم أبو حمزة، وعن علاقته بجميلة وحزنه البالغ لعدم زواجه منها (وهى اليوم متزوجة ولذا لم أذكر إسمها الكامل)، وتروى أم عماد للدكتور ستيفنسون أنه مرة عندما كان فى الثانية والنصف من عمره كان ممدداً إلى جانبها فى السرير وطلب منها فجأة أن تتصرف كما كانت تتصرف جميلة فى السرير!!.. وأنه كان يقول لها إن جميلة أجمل منها، وترتدى اللون الأحمر. وغير ذلك من التفاصيل..

ويبدو أن عماد الأعور استطاع إقامة الدليل المادى على أنه كان ابراهيم أبو حمزة (أو أنه بطريقة روحية نجهلها مطلع تماماً على كل خفايا ومشاعر وتفاصيل أيام ابراهيم أبو حمزة طيلة حياته!).. وبلغ من عجائب الحكاية أن الدكتور ستيفنسون أفرد لحالة عماد الأعور خمسين صفحة كاملة فى كتابه «عشرون حالة موحية بالعودة للتجسد» ــ وهو كتاب تحدث فيه عن سبع حالات مماثلة

فى الهند ، وثلاث حالات فى سيلان ، وحالتين اثنتين فى البرازيل ، وسبع حالات فى جنوب ألاسكا بين هنود « التانجيت » .

حالة « نيرمال » (١) :

« نيرمال » صبى عاش فى قرية « كوزى كلان » بالهند ومات بالجدرى فى أبريل عام ١٩٥٠ ، ودفنه أبوه « بولاناه » بالدموع والزفرات ، حتى هنا والخبر عادى. فآلاف الأطفال يموتون كل يوم فى قرى العالم بالجدرى وبغيره .

ولكن « نيرمال » بينما كان يحتضر ، قال لأمه الباكية قرب فراشه : لاتبكى ، إنى لا أموت ولكنى ذاهب إلى أمى . إنك لم تعودى أمى . .

وفى أغسطس عام ١٩٥١ (أى بعد وفاة نيرمال بأشهر) ولد فى قرية (شاتا) المجاورة صبى أسموه (براكش) . .

وكان براكش منذ ولادته صبياً صعباً كثير البكاء . وحين صار فى الرابعة من عمره ، بدأ يمشى وهو نائم . كان ينهض من فراشه ، ويسير فى نومه إلى الشارع فى اتجاه قرية « كوزى كالان » وحين يوقظه أبوه ويعود به إلى البيت يبكى ويقول إنه كان عائداً إلى بيته فى « كوزى كالان » . وحينما صار فى الرابعة والنصف من عمره اتضحت فى رأسه رؤيا حياته الماضية فى قرية « كوزى كالان » ، قال لأمه وأبيه (الحاليين) أنه قبل أن يولد لهما ، كان يعيش هناك ويدعى « نيرمال » لا « براكش » . . وتذكر اسم والده وأمه السابقين وأسماء أخوته ورفاقه . . وصار يبدى إصراراً شديداً للذهاب وزيارة تلك القرية . وتخلصاً من إلحاحه ، تظاهرت أسرته بالقبول ورافقته عمه بالاتوبيس إلى قرية أخرى ، إلا أن « براكش » أصر على أن هذه ليست قرية « كوزى كالان » وهذه الطريق ليست الطريق إليها . وأصر على الذهاب إلى (قريته) — التى لم يطأها قط هو

---

(١) عن مجلة « الحوادث » العدد ٨٥٣ عن كتاب « عشرون حالة توحى بالتجسد » .

أو أى من أفراد أسرته بصفته الحالية براكش - وهناك ، قاد عمه إلى دكان قال إنها دكان أبيه ، وتصادف أن كانت الدكان مغلقة ، لذا عـــاد وعمه إلى قريتها (شاتا) .

وظل براكش على حاله رغم العقاب الشديد الذى لقيه من أسرته جزاء أقواله عن حياته السابقة . فقد ربطا به إلى دولاب أداراه عكس اتجاه عقارب الساعة والزمن ، فالقرويون هناك يعتقدون أنهم بذلك يمسحون الماضى عن الذاكرة. ولكن يبدو أن رؤى الحياة السابقة هى مثل الوشم فى الدماغ ، لاتمحى . .

وأخيراً ذهلت أسرة براكش حين تحققت من صدق دعواه . فقد ثبت أن فى قرية « كوزى كالان » أسرة لها الاسم الذى ينتحله . وأن لهم إبنا مات فى العاشرة - أى قبل أن يولد براكش وكان اسمه « نيرمال » فعلا !

وحين التقى بتلك الأسرة ، قدم لهم البرهان على أنه فعلا نيرمال . فقد عرف والده فور رؤيته له ، وسألهم عن صديقه الحميم فتبين أنه مات أيضاً (ولايدرون فى أى جسد يحيا حاليا) ، ثم أنه عرف دكاكين والده (السابق) الثرى ، كما أنه بكى حين شاهد والدته للمرة الأولى وجلس فى حضنها وذكرها بما قاله لها أثناء احتضاره من أنه ذاهب لأم أخرى . . كما أنه ميز أخته الكبرى . وجىء إليه بأخيه فى زحام من الناس فعرفه فوراً وناداه باسمه ، كما ميز جارهم واقتادهم إلى دكانه . وفى داره السابقة أرشدهم إلى السرير الذى مات فيه والذى نقل إليه من غرفته الخاصة حين اشتد عليه المرض . ورأى سلسلة معلقة فقال لهم إنها سلسلة جده، ولم يكد يدخل إلى البيت شخص غريب حتى صرخ قائلا : وهذا طبيب العائلة . ثم مر بالدار آخر فقـــال : هذا هو الرجل الذى كان يأتى إلى الدكان ليأخذ الضرائب .

وطبعاً اقتنعت أسرته السابقة بأنه فعلا إبنهم الميت . وبدأت المنازعات بين أسرتيه السابقة والحالية ، إذ أن أسرته السابقة الثرية أبدت رغبتها فى تبنيه مما أثار جنون أمه وأبيه .

وكاد الدكتور ستيفنسون يذهب ضحية هذا الشجار الذى تحول من خصام بين أسرتين إلى نزاع بين أهل القريتين كلهم . فقد تصادف أن كان الدكتور ستيفنسون هناك يحقق بنفسه فى صحة أقوال الصبى ، وظن أهله أنه هو الذى أقنع العائلة الثانية بتبنى ولدهما السابق (الساكن) حاليا فى جسد جديد . .

* * *

والجدير بالذكر أن الدكتور ستيفنسون ، يؤكد أن التجسد يحدث فى كل مكان على الكرة الأرضية ، وأنه موجود حيث يوجد الإنسان ، إلا أن الأقوام التى تؤمن بالعودة للتجسد تلحظ وجودها أكثر من سواهـا ولذا فقد ركز دراساته فى مناخها الإنسانى المهيأ .

على أن الحالات التى حققها الدكتور ستيفنسون بنفسه فى البرازيل والهند وسيلان و « التلينجيت » فى ألسكا ولبنان وغيرها . . تستحق التأمل والدراسة ، ولذلك فقد انتقينا فيما يلى بعضا من هذه الحالات المتنوعة وغير المتكررة فى مظاهرها :ـ

وصلت الروح متاخرة :

هذه الحالة من التجسد تثير تساؤلات إضافية . فالتجسد لم يحدث إلا بعد ثلاث سنوات ونصف من ولادة الجسد الثانى .

ففى ربيع عام ١٩٥٤ أصيب طفل يدعى جاسبر بمرض الجدرى وبدأ يحتضر ، وظن أهله أنه مات ، ولما كان الصبى من الهندوس ، وطقوسهم تقضى باحراق أجساد الموتى ما عدا الذين دون الخامسة من عمرهم ، أو الذين يقضون بأمراض سارية حيث كانوا يدفنون أو يرمى بهم إلى الأنهار ـ فقد ذهب والد الطفل إلى شقيقه كى يساعده فى دفن طفله ، ولما كان الليل قد انتصف ، فقد اقترح عليه شقيقه الانتظار ريثما يطلع الفجر . ومع الفجر لاحظ الأب أن جسد ابنه لم يكن هامداً تماماً وأن بصيصاً من الحياة قد دب فيه . . ومرت أيام قبل أن يقوى الطفل .

على الكلام،ثم مرت أسابيع قبل أن يشفى،لكنه شفى،وبعد شفائه كانت المفاجأة..

فقد انقلب ابنهم جاسبر إلى شخص آخر . كان واضحاً أن روحا جديدة قد حلت فيه . فقد رفض أن يأكل طعامهم . قال لهم إنه من « البراهما » وأنه يريد أن يأكل طعاماً مطبوخاً وفقا لتقـــاليده الدينية . وتبدلت لهجته فى الكلام ، وأسلوبه فى الحوار ، وحتى ألفاظه . . وصرح لهم بأنه (خلال فترة غيبوبته) كان حياً فى قرية (قاهدى) وأنه ابن شيخ القرية وأنه يرغب فى العودة إلى هناك . . وروى لهم أنه كان شابا متزوجا وأنه مات مقتولا ، فقد سممه رفيق له فى حفلة عرس ، تخلصا منه ومن دين له عليه . وأصيب بالدوار وسقط عن عربته ومات ، وأن السم هو سبب موته لا السقطة ! . . وأن اسمه كان (صبح رام) وعمره حين مات ٢٢ سنة واسم أبيه (شنكر لال تايجى) .

وطبعا شاعت القصة ، وجىء بالصبى إلى قرية (قاهدى) ليثبت أنه هو صبح رام والغريب أن حكايته صحيحة ، وأن كل الأشخاص الذين ذكرهم حقيقيون وأن صبح رام مات فعلا عام١٩٥٤ خلال فترة غيبوبة الطفل واشتداد المرض عليه .

وقد حقق البروفيسور ستيفنسون فى هذه الحالة ، ودون عنها ملاحظات خطيرة فى عالم الروح .

فقد تعرف الصبى جاسبر على زوجتـه (حين كان صبح رام) وكان أهله يعلمون بحكاية سقوطه عن عربته ولا يعرفون شيئا عن الدين الذى كان له على الصديق القاتل . وقد تعرف على أفراد أسرته وأصدقائه وحتى حماته وشجرة « التامارى » أمام البيت وابنه الذى كان اسمه فعلا كما ذكر وعلى عمته وأخته . بل إنه ذكر لهم أنه حين مات كان فى جيب معطفه الأسود عشر روبيات . وأكد هذه الحقيقة أهل (الفقيد) . وروى لهم بعض أحداث حياته . كيف عضه كلب ذات مرة بينما كان ذاهبا إلى إحدى السهرات . بل إنه تعرف على أعداء الأسرة والذين لم يكونوا يكنون لهم الود ، ولم ينس أنه كان يمتلك ثورين ، الأبيض منهما طويل القرنين ، والأسود قصيرهما .

روح تتكلم بلغات سابقة :

« سوارتلانا » طفلة فى الثالثة والنصف من عمرها وابنة المفتش المعاون لمدارس برادش ، تؤكد أنها عاشت قبل ذلك فى مدينة تبعد مئات الأميال عن بلدتها الحالية . وقد أعطت اسمها السابق وصفات حياتها الماضية . وتحقق والدها من أن روحها كانت تحيا من قبل فى جسد فتاة اسمها (بيبا) ماتت عام ١٩٣٩ أى قبل ولادة ابنته بتسعة أعوام . وقد تعرفت سوارتلانا على جميع أفـــراد أسرتها السابقة ، وقدمت الدليل على صدقها . والطريف أن سوارتلانا كانت تتحدث بلغة يجهلها أهلها كما تقدم رقصات وأغانى غريبة عنهم تبين أنها (بنغالية) وأن (بيبا) كانت تعرفها . فقد قام البروفسور « بال » بدراسة نطقها وأغانيها وتأكد أنها بالبنغالية لغة (بيبا) التى حملتها معها الروح حين حلت فى سوارتلانا.

الروح تشهد فى المحكمة :

لعل من أخطر القضايا التى تطرحها ظاهرة العودة للتجسد كشف الجرائم والقتلة . فإن يحدث التجسد ، لا يوجد ما يسمى « بالجريمة الكاملة » ما دام القتيل يمكن أن يعود إلى هذه الدنيا فى جسد آخر ليحدثنا عن قاتله وليروى لنا تفاصيل لا يعرفها سواه عن قاتله ، وليجره إلى المحكمة .

ففى ليلة ١٩ يناير ١٩٥١ قتل صبى يدعى « مونا » فى السابعة من عمـــره بطريقة وحشية وكان وحيد أبويه . وحامت الشبهات حول اثنين من الجـيران شوهدا ينفردان به قبل مصرعه ، وكان أحدهما حلاقاً خصوصاً أن الجريمة تمت بأداة قاطعة تشبه الشفرة أو موسى الحلاقة ، جزت بها عنقه وأعضاؤه. وقد ألقى القبض على المشتبه فيها وحوكما ، ولكن أطلق سراحهما لعدم كفاية الأدلة ، رغم أن كل من فى القرية كان مقتنعـاً بجرمها .

وبعد ستة أشهر من الجريمة ، أى فى صيف ١٩٥١ ولد طفـــل فى مقاطعة مجاورة ، وأسموه « رافى » .

وعندما تعلم « رافى » الكلام صرح بأن اسمه هو « مونا» لا « رافى » ، وأنه مات مقتولا . وحدث أبويه عن ظروف قتله وسمى قاتليه وقال إنهما انتزعاه من لعبه واختليا به فى حقل منعزل وأن أحد قاتليه حلاق أجهز عليه بالشفرة . ووصف ثيابه وثيابهما بالتفصيل وسمى أباه السابق .

ووصلت الأنباء إلى والد القتيل (مونا) . قيل له إن روح ابنه قد (نطقت) فى المقاطعة المجاورة ، وأنها تجسدت روح طفل هو (رافى) .

والواقع أن رافى كان يبدى باستمرار خوفاً شديداً من الحلاقين ومن مشهد الشفرات أو السكاكين (التى قتل بها فى حياته السابقة) ، وكان باستمرار يطلب بالحاح لعبه (التى كان يمتلكها فى حياته السابقة) ، ويرغب بشدة فى رؤية أسرته السابقة ورفاقه .

وأخيراً ذهب رافى إلى قريته السابقة وتعرف على كل الأشخاص الذين كان يعرفهم وعلى منزله وأسرته . وحينما شاهد (قاتليه) ارتعد وارتجف وأصيب بنوبة خوف عصبية دون أن يقول له أحد أن هذين الرجلين هما قاتلا (مونا).

والأغرب من ذلك كله أنه منذ ولادته كان يحمـــل فى رقبته أثر جرح طويل شبيه تماما بالجرح الذى خلفته الشفرة فى جسد مونا حين جزت رقبته .

وانتابت رافى ـ وهو الطفل ابن السادسة ـ رغبة جنونية فى الانتقام من قاتليه . وانتقلت العدوى إلى والده فى حياته السابقه وإلى أهل القرية جميعاً ، وتقدم الوالد إلى السلطات طالباً إعادة محاكمة قاتلى ابنه وفتح الدعوى الجنائية من جديد ، وذلك على ضوء (الشاهد الروحى) الجديد (رافى) الذى تجسدته روح القتيل .

ورغم اللغط الذى أثارته هذه الدعوى فقد رفضت السلطات القضائية قبول شهادة رافى بصفته المتجسد لروح القتيل .

ولكن ، من يدرى ، ربما تنقلب العلوم الجنائية بأكملها والقوانين كلها يوم يكشف الإنسان المزيد عن أسرار العــــودة للتجسد ، ويصير الشخص المتجسد لروح آخر مقبول الشهادة . . ويومها قد لا يغامر مجرم بارتكاب جريمة إذا كان قتيله سينفض عنه غبار القبر وينهض ليلاحقه من جديد !! . .

تبديل الجنس فى العودة للتجسد (١) :

أكثر ما يثير الفضول من حالات العودة للتجسد فى سيلان التى ذكرهـا الكتاب هى حالة الفتاة التى تجسدتها روح صبى ! . .

« جنانا تيلكا » فتـــاة ولدت فى أواسط سيلان عام ١٩٥٦ وكما فى حالات التجسد الأخرى ، بدأت منذ تعلمت الكلام تحدث أسرتها عن أن لها أما أخرى وأبا آخر وشقيقين ذكرين وعدداً كبيراً من الأخوات البنات . وأنها كانت تعيش فى منطقة أخرى بعيدة هى قرية (تالاوا كيلى) . وأضافت بين دهشة الجميع أنها يومئذ لم تكن فتاة وإنما كانت صبيا .

وطبعا أثارت تصريحاتها وتأكيداتها اهتمام رجل الدين الأب (بياداسى ثيرا) الذى قام ببعض التحريات فى قرية (تالا وا كيلى) وذهل حين اكتشف أن فى القرية أسرة تحمل الأسماء التى سمتها الفتاة لأسرتها .وأن هذه الأسرة قد فقدت صبيا عام ١٩٥٤ أى قبل ولادة الفتاة بعامين .

وكانت الفتاة (جنانا تيليكا) تحدثهم باستمرار عن أستاذها أيام كانت صبيا وعن ولعها بهذا الأستاذ وشوقها العظيم إلى رؤيته .

وتحققت رغبة الفتاة الصغيرة ، فذهبوا بها إلى قريتها السابقة حيث تعرفت إلى جميع أفراد أسرتها فور رؤيتهم . وكان من الثابت عدم وجود أية معرفة سابقة بين الأسرتين أو أى صديق مشـــترك بينهما . بل إن الفتاة تحدثت عن

---

(١) هذه الحالة وماقبلها قامت بترجمتها عــــن كتاب « عشرون حالة توحى بالعودة للتجسد » الكاتبة الأدبية غادة السمان مع الأستاذ غسان مكادم .

المدارس التى تعلمت فيها أيام كانت صبيا ، ولم تكد ترى أستاذها القديم حتى ركضت إليه باكية .

وكانت تتحدث عن تفاصيل كثيرة عاشتها لما كانت صبياً ..

تحدثت كيف لحت (بالأحرى لمح فقد كانت صبيا فى حياتها السابقة) الملكة تمر بالقطار فى قريتها (تالا واكيلى) .. وكيف كانت أمها (أو أمه) تشترى الحطب (لأنهم يقطنون فى المرتفعات حيث يباع الحطب، لا كما فى قريتها الثانية الواقعة على كنف غابة حيث الوقود متوفر مجانا) .

وذكرت أنها فى طريقها إلى المدرسة بالقطار كان القطار يمر بنفق . بل وتذكرت أسطورة كان قد علمها إياها أستاذها المفضل وأكدت أسرتها أنها لم تتعلمها فى مدرستها لأنها ما تزال صغيرة ولا أحد من أفراد أسرتها يعرفها ! . وذكرت أنها لما كانت صبياً تسلقت قمة آدم فى الجبل خلال رحلة مدرسية . وحين شاهدت أستاذين آخرين فى مدرستها السابقة لم تعرفهما ، وتبين فيما بعد أنهما انتميا إلى المدرسة بعد وفاتها كصبى .. وحينما شاهدت أمها السابقة للمرة الأولى . أصرت على إخراج أمها الحالية من الغرفة ثم ركضت إلى حضن الأولى تنتحب وتقبلها والأم تردد اسم طفلها الميت .

وكان لها شقيق لم يكن على علاقة طيبة بها خلال حياتها فقابلته ببرود شديد وتحفظ وقالت إنه شقيقها الذى لا تحبه . وكان تجــاوبها مع أسرتها الماضية ومعارفها السابقين منسجماً تماماً مع عواطف الصبى الميت نحوهم (الذى تجسدتها روحه) .

والواقع أن الصبى لم يكن سعيداً مع أسرته السابقة ، ولذا لم تبد الفتاة أية رغبة فى العودة إليها ، وإنما اكتفت بفرحة لقائهم ولقاء أستاذها .

أما تفسير البروفيسور ستيفنسون لتغيير جنس الجسد خلال التحول من جسد صبى إلى جسد بنت ، فإنه يرى بعد أن درس ظروف الحالة جيداً ، أن الصبى لم يكن سعيداً بكونه صبياً .

كان على خصام دائم مع أخويه الصبيين وكان والده كثير الترحا وهكذا كانت أمه وشقيقاته يحطن به باستمرار . وتربى فى جو نسائى ، ومال إلى التخنث وشهدت أمه بذلك وبأبه صار يفضل عشرة الجنس اللطيف وأجواء النساء . وكان مولعا بالخياطة ، وبطلاء أظافـــره باللون الأحمر ، وكان يهوى الملابس الحريرية . وهكذا فقد تجسدت روحه جسد فتاة فى حياته التالية. كما شهد أهل الفتاة (التى تجسدتها روح الصبى) أنها مسترجلة بعض الشىء إذا قورنت بأختها. فهى لا تخاف الظلام ولا الحشرات ، ثم إنها تستعمل ألفاظاً وتراكيب لغوية صعبة كان الصبى (أو كانت) قد تعلمتها فى المدرسة فى حياتها السابقة ، وكانت مثله تفضل اللون الأزرق .. شىء واحد كانت تخافه الفتاة هو السقوط ، وقد ثبت أن الصبى مات أثر سقوطه على رأسه ! . .

اعتراف بجريمة :

فى سيلان أيضا ، عام ١٩٤٧ رزق رجل يدعى (تيليرانتى هامى) بصبى . ولاحظت أسرته فور مولده وجود تشويه فى ذراعه الأيمن وصدره من الجهة اليمنى . ثم إن الصبى كان شديد السمرة (كعمه الميت) ولم يكن يشبه بقية أخوته الصغار . وقال والده فور مشاهدته له : ها هو شقيقى قد عاد إلى الحياة .

وكان شقيق الأب (أى عم الطفل) قد مات قبل مولد الطفل بأعوام ، إذ حكم عليه بالإعدام لأنه قتل زوجته ونفذ فيه الحكم .

وحين صار الصبى فى الثانية والنصف من عمره ، كان يدور فى أرض الدار بشكل رتيب حزين ويتحدث مع نفسه ، وحين اتضح كلامه ، فهموا منه أنه يتحدث عن جريمة اقترفها فى حياته السابقة . ويقول إن يده مشوهة لأنها اليد التى قتل بها زوجته .

وقد سمع بهذه الحكاية الأب الدينى (أناندا ميتريا) ، بروفيسور الفلسفة البوذية فى كولومبو ، وحقق فى هذا الموضوع ، وتأكد من أن الطفل يعرف عن الجريمة تفاصيل لا يمكن أن يعرفها إلا مقترفها !!

وتختم الأديبة غادة السمان ترجمتها لتلك الحـــالات التى احتواها كتاب الدكتور ستيفنسون بقولها :

« إن قصص هذا الكتاب النادر مذهلة. وتفاصيلها تدعو إلى التوقف طويلا عند ظاهرة العودة للتجسد بدلا من المرور بها بلا مبالاة .

فقضايا الروح والجسد ، وأسرار الموت والحياة تخص كل إنسان على وجه الأرض ، والتفكير فيها ليس واجبا أو احتكاراً لفئة معينة دون أخرى . .

وسواء كنت مثل أفلاطون ، وفيثاغورس ، وكانط ، وهيوم ، وفيخته، وشوبنهور،ورنوار، وخليل تقى الدين، وميخائيل نعيمة،وجبران خليل جبران، وغيرهم لا يحصى ، تؤمن بالعودة للتجسد ، أو كنت لا تؤمن به كالكثيرين أيضا . . يظل هذا الموضوع يخصك مادمت إنسانا ولد وسيموت وربما سيتجسد . . أو تجسد . . من يدرى ؟ . . قد نهتدى إلى حقـــائق نجهلها . . ونعرف سكينة اليقين . . »

حالة اخرى جديدة :

فتاة تتذكر حيواتها العشر السابقة :

تلميذة صغيرة من جنوب أفريقيا تدعى « جوى فروى » ، تبلغ من العمر سبعة عشر عاما ، فى إحدى المدارس الثانوية . تعتقد أن لها عشر حيوات سابقة ، غير الحياة التى تحياها الآن . .

بدأت « جوى » وهى فى الثـــالثة من عمرها تتحدث عن وقائع حدثت فى « حيواتها السابقة » . من ضمنها مطاردة ديناصور (من الحيوانات المنقرضة) لها . وأنها فى إحدى حيواتها دفنت وهى على قيد الحياة مع سيدهـا الذى كان ملكا من ملوك مصر .

قالت : « أول شىء أتذكره دائما هو أنى تزوجت مرتين . وكان عندى من زوجى الأول عشر بنات » .

قالت أم جوى إن المؤرخين قد انتابهم الذهول من دقة وصف ابنتها لتلك الأحداث . والتقت ابنتها بالعالم المعروف فى جنوب أفريقيا الدكتور « آرثر بليكسلى » الذى ظن لأول وهلة أن جوى كانت عندها قوة « تلباثية » عظيمة .

قالت مسز فروى : « إنه اقتنع بصدق دعواها بعد ذلك عندما اصطحبها إلى دار آثار كروجر حيث تذكرت هناك كثيرا من الحقائق عن بول كروجر لم يكن يعرفها حتى الدكتور بليكسلى نفسه . وعرف بعد ذلك أنها صادقة وحقيقية » .

قالت جوى : « لابد أنى كنت حفيدة بول كروجر . أذكر أن أبى أعطاه المنضدة التى فى دار كروجر . وما يزال التاريخ يقول إن فريكى Frikki ابن بول أعطاه تلك المنضدة » .

وجوى ، هى الأخت الصغرى لثلاث بنات ، « تذكرت » وجودها فى الهند حيث كانت امرأة أشبه ما تكون بأميرة تمتطى فيلا . .

إن الرؤى المتعلقة بولادتها تأتى فى بعض الأحيان كصورة كلية أمامها . وفى أوقات أخرى تجلس وتفكر ، فتتذكر أين كانت فى تلك الحيوات السابقة .

« عندما ذهبت إلى دار بول كروجر مع شقيقاتى ، تذكرت جلوسى على حجره بين أحضانه . وتذكرت كيف تزوج مرتين . المرة الأولى حينما كان فى السادسة عشرة من عمره وزوجته فى الثانية عشرة من عمرها . وماتت معطية ولادتها لطفل » .

وعندما تمكنت بصعوبة من الإمساك بقلم ، رسمت صوراً واضحة تكاد تنطق للنخاسين (تجار الرقيق) لكى تزود نفسها بتذكرات كانت فى إحداها واحدة من الرقيق . .

وهى تعتقد أنها كانت فى حياة سابقة « بوشمان » (١) . قال محرر جريدة

(١) البوشمان : إحدى قبائل جنوب أفريقيا ، ترتبط من ناحية الأصل =

« سانداى تريبيون » إن بياناتها وأوصافها تنطبق على عادات « البوشمان » . .

ولقد نشرت مجلة « سايكك نيوز » هذه الحالة فى عددها الصادر فى ٤ مارس ١٩٧٢ ، وقالت إن الدكتور إيان ستيفنسون الذى تخصص فى تحقيق حالات العودة التجسد طار إلى « بريتوريا » ليلتقى بـ « جوى » .

وقالت جوى . « أتمنى أن يكون فى استطاعته أن يساعدنى على اكتشاف ما سيظهر بعد ذلك » .

حالات فى مصر :

هذا وقد أشار الدكتور ستيفنسون فى أحـــد خطاباته لى إلى حالة يؤكد وجودها فى مصر وأن مكانها قرية فى محافظة الشرقية بين مدينتى « أبو كبير » و « الزقازيق » ، وهذه الحالة لطفل صغير تذكر حياة له سابقة .

ويؤكد الدكتور ستيفنسون فى خطابه أن فى مصر حالات أخرى كثيرة يمكن أن تكتشف إذا كان هناك من يهتم بتعقبها ، ودراستها ، والتحقيق فيها .

والدكتور ستيفنسون يرحب بمن يكتب إليه بأية لغة : بالعربية أو الفرنسية أو الإنجليزية حول أية حالة يلحظونها على أولادهم أو يحسون بها هم أنفسهم ، وعنوانه هو :

Dr. Ian Stevenson,
School of Medicine;
University of Virginia
Charlottesville, Va 22901,
U. S. A.

إلا أننى لا أنصح أحداً بكتابة الأسئلة إليه لأنه ان يرد . وإنما فقط يكتب إليه فى حالة وجود « عودة تجسد » فيأتى إليها بالطائرة .

= بالأقزام . لغتها تشبه لغة الهوتنتوت . وأفرادها قصار القامة ، صفر اللون ، فطس الأنوف ، صغار الجماجم ، يسكنون الكهوف ، ويعيشون على صيد الحيوان فى الغابات ، مهرة فى الرسم .

محاضرة للدكتور رشاد باير

عن « العودة للتجسد »

ليس فى الدنيا أشرف ولا أنبل من لقاء الأفكار على درب المعرفة، وطريق الحكمة، وسبل الخلاص.

ولذا كانت سعادتنا لاحد لها باللقاء الفكرى الذى تلطف البروفيسور رشاد باير — رئيس الجمعية التركية للبحث الباراسيكولوجى — فى أصالة علمية شريفة وتعاطف شرقى حميم بأن يكون من السخاء والسعة بحيث يشمل كثيراً من التحقيقات والتقارير والتفصيلات والاستنتاجات الهامة فيما يتعلق بصلب موضوع مؤلفنا وهو « الولادة الثانية ».

الدكتور رشاد باير

وإنا تجاه هذه الأفضال لنتقدم بشكرنا الجزيل لجنابه ونعتز بصداقته ونقدم فيما يلى (علاوة على ما أوردناه من تحقيقاته) ترجمة المحاضرة القيمة التى ألقاها فى مؤتمر « الاتحاد الدولى للروحيين The International Spiritualist Federation » الذى عقد فى جلاسجو (اسكتلنده) عام ١٩٦٩ عن « العودة للتجسد » :

السيد الرئيس، السادة أعضاء الهيئة الإدارية، السادة أعضاء اللجنة التنفيذية، إخوانى وإخوانى الروحيين ..

إننى أتشرف بالحضور إلى هنا حاملا لكم معى حب وتحيات إخوانى الروحيين فى بلدى تركيا .. وكمندوب عن المنظمة المكسيكية : جوانا دى أسباجى Juana de Asbaje أتقدم إليكم بأطيب التمنيات وأعمق الحب والتقدير.

لقد غادرت بلدى تحت تأثير اعتقاد حزين، هو أننى كنت أظن أن بريطانيا ليس فيها شخص واحد يؤمن بالعودة للتجسد، ذلك الموضوع الذى ركزت

عليه كل تفكيرى زهاء نيف وثلاثين عاماً. ولكنى حالما وصلت إلى بلدكم شعرت بسرور جم وابتهاج عظيم ، فقد وجدت لديكم اهتماماً بالغاً يثير الدهشة — بهذا الموضوع . ولكن يجدر بى والحالة هذه أن أقول إننى ماأزال فى توق إلى أن أعلم لماذا كان علينا أن نصوت أو نقترح بقبول أو عدم قبول موضوع العودة للتجسد بوصفه جزءاً من المبادىء العامة التى يقوم عليها «الاتحاد الدولى للروحيين» فى حين أن هـــذا الموضوع يعتبر الآن من العمد الأساسية للروحية الحديثة ومن مسلماتها .

وبدون « العودة للتجسد » لاتعد «الروحية » شيئاً على الإطلاق ، فمن طريق العودة للتجسد وحدها نستطيع أن نبرهن على الحياة بعد الموت survival . لأن « الأرواحية »[1] — وأقصد بها الاتصال بالعالم الآخر ، ماتزال غير مقنعة حتى اليوم بما فيه الكفاية للبرهنة على الحياة بعد الموت .

وبالرغم من أنكم لن تسمعوا منى اللغة الإنجليزية الأكاديمية ، فإنى آمل أن تكونوا راضين فى نهاية المحاضرة عما سألقيه عليكم من أفكار جديدة ومن بحوث وآراء تتعلق بموضوعنا المشترك عن الروحيــة . ويؤسفنى ، أننى كثيراً ماالتقيت ببعض الروحيين ممن كانوا لايرجون ولا يأملون إلا الموافقـــة على معتقداتهم الخاصة وأن يلقوا إطراء عليهـا وتصفيقـاً لها ، فى حين أنهـا لاتقدم ولاتؤخر وليست بذات أهميـة بالنسبة للمعتقدات التى تعتبر جديدة عليهم . وهنـاك أيضاً كثير من المشتغلين بالروحية ممن يزدرون الأفكار والآراء الحديثة دون دراسة أو بحث بل لمجرد أنهم مختلفون . ولكنكم تعرفون الآن أن الروحية يمكن أن ترتقى وتعلو منزلتها فى كل مكان عن طريق الفهم المشترك والإدراك المتبـادل .

---

(١) الأرواحية : أو مذهب « حضرة الأرواح » نظرية تقـــول بأن أرواح الموتى حاضرة مع أنها غير منظورة وأن فى استطاعتها الاتصال بالأحياء بفضل الوسطاء .

والتقدم فى هذا المجال يمكن أن يدرك بوساطة الحوار الجاد والمساجلات المخلصة وبتبادل الآراء المختلفة .

ولقد جئت أسعى إليكم من طرف بعيد قاص من أطراف العالم حيث يوجد فى تلك الرقعة من الأرض عدد محدود من السكان متناثرين ينضوون تحت رايات شعبية قديمة مختلفة ، ويدينون بديانات تاريخية متباينة .

وإذا نحن ألقينا نظرة عجلى على التاريخ لنرى ماذا حملت لنا تلك الرايات المختلفة وتلك الأديان حتى الآن فإننا لا نرى مع الأسف الشديد إلا الاضطرابات والخلافات والقتال ، والحروب الرهيبة ، والكراهية ، والبغضاء ، وسفك الدماء . ونستطيع أن نقول أيضاً إن هذه المحنة التى بدأت منذ الخلق الأول ، إنما تسلك سبيلها فى الحياة دائماً على مستوى أكبر . ومن ثم فقد أصبحت الحروب أكثر ضراوة وأكثر شراسة ، وأكثر همجية من الأزمان الغابرة التى كانت الحروب فيها بسيطة . وحسبنا مثلا لذلك أن نلقى النظر كرة أخرى إلى الحربين العالميتين الأخيرتين ، حيث نرى ، على وجه الخصوص فى الحرب الأخيرة ، أمة كانت ولا تزال تعد من أكبر الأمم حضارة ، دمرت مدينة العدو الكبيرة بقنبلة ذرية تاركة وراءها مئات الآلاف من الأشخاص الذين قتلوا ولا ذنب لهم ، والأطفال الصغار الأبرياء الذين لم يقترفوا جريرة . فكم من كسيح ، وكم من أناس قدر لهم أن يعانوا من الآلام ويقاسوا العذاب بقية حياتهم . وهناك غير ذلك كثير من الأمثلة البشعة التى يمكن أن يتذكرها كل واحد منكم . . ولكن لكى نوجز القول ، يمكن أن نقول بعد فترة من التفكير والتأمل إن الحضارة لا تعنى بالضرورة تطوراً بالمفهوم المادى ، وأن قوانيننا ودراساتنا التقنية techn cal وتقدمنا فى هذه الدراسات لا يكفى أبداً لترقيتنا وإعلاء مركزنا ولا لتعزيز الحضارة فى صميم الذات البشرية والإفضاء بها إلى مبادىء السلام والصداقة والمحبة ، التى نحن فى مسيس الحاجة إليها . وهكذا فإن دياناتنا برغم سموها وأصالتها العريقة

التاريخية لم تنجح ، حتى الآن ، فى إشاراتها واقتراحاتها ومبادراتها لتدعيم أسس السلام . ولا يزال النـــاس يضرمون نيران الحروب الرهيبة منساقين وراء أنانيتهم البغيضة .

إذن ماذا نصنع ؟ . . وما هو الطريق الذى يتعين علينا أن نسلكه ؟ .

استجابة لهذين السؤالين تأتى كلمة « الروحية » على شفاهنا تلقـــائياً . فمن طريق الروحية وحدها ـ وليس بغيرها ـ يمكن لسكان العالم أجمع أن يتحدوا وأن يتوحدوا ، وبذلك يعم الخير ، وتتحقق الصداقة ، وتنتشر المحبـة التى تهفو أنفسنا إلى توطيدها فى جميع أرجاء الدنيا . ولكننا للأسف الشديد قلة قليـلة بالنسبة لأولئك الذين لا ينتمون إلى الروحية . ومن المحال تقريبا أن يكون فى استطاعتنا أن نستميل أو نجتذب إلى جانبنا هذه الأكثرية ونحافظ عليها عن طريق نشر آرائنا وأفكارنا وإيحاءاتنا عن معتقداتنا بخصوص البعث أو الحياة بعد الموت ، والعودة للتجسد ، والاتصال بالأرواح ، والاستشفاف (الجلاء البصرى ، والجلاء السمعى) ، والصوفية ، إلى غير ذلك من التعاليم الأخلاقية التى تتجمع كلها تحت لواء الموضوع الأســـاسى والرئيسى الذى نطلق عليه « الروحية » **Spiritualism** .

إن المهمة الملقاة على عاتقنا هى أن نجتذب إلى جانبنا كل شخص ونستدرجه إلى صفنا بالطريقة وبالأسلوب المناسبين لذلك الشخص . ولكن كيف يتسنى لنا أن نجد عدداً من الوسائل يغطى ما هنالك من أناس فى هذا العالم ! . . هذه هى المشكلة ! . . ولو كان من الممكن لأولئك الناس أن يتأثروا تماما بوسيلة واحدة من وسائل التعليم لكانت الديانات فيها الكفاية إلى حد بعيد . ولـكان التفاهم والتعاطف المتبادلين والمحبة ، أن تسود وتحكم النفوس الباطنـة فى كل الناس . . أما والحال على ما وصفنا من الصعوبات ومن قصور التيار الدينى التقليدى فإنه لا يبقى أمامنا من وسيلة يمكن أن تؤثر فى كل الناس ، إلا « العلم » . وهنا علينا أن نعترف مرة أخرى بأن اعتقادنا فيما يتعلق بالروحية ، ولو أنه

كامن فى سريرتنا وباق فى ذوات أنفسنا وفى أعمق أعماقها ، ينظر إليه الدخلاء الذين يعدون الأكثرية الساحقة ، كذرائع أو مزاعم بسيطة أو كبعض أوهام سخيفة مبنية على غير أساس ولا سبيل إلى تحقيقها . وفى مواجهة هذا النقاش وهذا الجدل نشعر بأنفسنا مرة أخرى ضعافا أشد ما يكون الضعف ، ولا يسعنا إزاء ذلك إلا الاعتراف بأن الروحية حقاً لا تعتبر حتى الآن علما ولكنها مجرد عقيدة .

على أننا نعرف تماما أن الوقت الآن ملائم أكثر من أى وقت مضى كيما نصرف انتباهنا ونوجه اهتمامنا إلى الناحية العلميـة فى الروحية ، ونعمل بهمـة ونشاط باذلين كل جهد فى هذه الناحية . عندئذ سنرى والسعادة تغمرنا أن بعض الرواد قد أحرزوا تقدماً ملموساً خلال أكثر من أربعين عاما فى هـذا العلم الذى نسميـه اليوم « الباراسيكولوجى » [1] Parapsychology . وإنى أعتقد أنه يمكننا أن نصل من خلال هذا العلم وحده إلى هدفنا ، وعن طريقـه نستطيع أن نبنى تدريجياً التفاهم المتبادل فى العالم ، وبالتالى يمكن أن تغدو المحبة - على وجه التعميم - إحساساً سامياً سماوياً وعاطفة مقدسة .

ولما كنت أقوم بتبادل الرسائل على نطاق واسع مع كثير من مختلف البلاد فيما يختص بموضوعاتنا المشتركة فلقد توفرت لدى معرفة كاملة عن الحركة الخاصة بالباراسيكولوجى . ولست أريد هنا بطبيعة الحـــال أن أذكر الكثير من المؤسسات والعديد من الجامعات التى تباشر هـذه الدراسات الفذة . ولـكنى أحب فقط أن أقدم لـكم اسم صديقى الغالى البروفيسور « إيان ستيفنسون» الذى

---

(١) أى ما وراء الروح ، وهو وصف يشير إلى موضوع يهتم بدراسـة الظواهر الوساطيه برمتها دون التقيد مقدماً بمصدرها من عالم آخر ، ولـكن بغير إنكار لهذا المصدر . ولمن أراد معلومات أوفى عن هذا العلم فليرجع إلى كتاب « مطول الإنسان روح لا جسد » للدكتور رءوف عبيد ، وكتـاب « الروح والخلود » للمؤلف .

كان له القدح المعلى فى هذا الحقل . وهو أستاذ قسم الطب العقلى والنفسى بجامعة فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، وأستاذ البحوث العلمية فيها . ولقد ركز طوال سنوات عدة على موضوع « العودة للتجسد » . وكانت المهمة الشاقة التى عهدت إليه عالية حقاً . ومن خلال العديد من البحوث التى قام بها ، حتى الآن ، فى كثير من أرجاء العالم ، أمكنه أن يسجل أكثر من ٦٠٠ ستمائة حالة مثيرة من حالات العودة للتجسد ، منها ستون حالة فى بلدى . وكان لى الشرف بأن أكون زميلا له وشريكا فى هذه البحوث التى تمت فى تركيا منذ أكثر من عشر سنين .

ومع أن الآثار النموذجية والمصادر الموثوق بها عن الروحية وبخاصة المصادر الفرنسية مليئة بكثير من الحالات والوقائع المتصلة بعودة التجسد ـ ولا سيما ما قدمه لنا الكونت كولونيل ألبير دى روشا وآخرون غيره ـ فإنها اليوم غير مقبولة لدى الباحثين ذوى العقول العلمية والشكوكيين . إذ أنه يستحيل ـ فى رأيهم ـ إلى حد بعيد الرجوع إلى الوراء ومباشرة استقصاءات خطيرة عن صحة وأصالة تلك الحالات لأن الأشخاص ذوى الشأن وكذلك الشهود قد انتقلوا إلى العالم الآخر . ولكن الحالات التى لدينا الآن وتحت يدنا حالات واقعية ما يزال أشخاصها وشهودها على قيد الحياة . وليس على أولئك الذين لن يقتنعوا بعد أن أروى لهم بعض تلك الحالات إلا أن يأتوا إلى تركيا ويباشروا بأنفسهم هذه البحوث . أما الأشخاص والشهود فهم تحت تصرفهم .

ولأنى التقيت فى كل مكان حللت فيه بكثير من الروحيين القدامى الذين ليست لديهم معرفة عن العودة للتجسد فإنى أوثر أن أعرض بعض التفسيرات عن هذا الموضوع :

المعتقد أن عقيدة العودة للتجسد قد نشأت منذ قرون طويلة . ولكن بعد أن انتقل إلى العالم الآخر الرواد الأوائل ، وأعنى بهم كبار المطلعين ، وذوى الخبرة ، والفلاسفة العظام وتلاميذهم المقربين ، فقد لحق هذا الاعتقاد الفساد بين طبقة من الناس ليست لديهم الحساسية الكافية ولا الاستعداد والنضج لقبول هذا

الفهم المتسامى الواقع وراء نطاق الخبرة (ولكن ليس وراء نطاق المعرفة) البشرية . وعلى مر الزمن جاء اعتقاد جديد حل محل التناسخ ، نسميه اليوم بـ « التقمص » أو تعدد الحيوات أو التجسدات المتكررة Metempsychosis .

إننا نعرف أن الناس قد آمنوا منذ وجدوا بأنهم سيثابون أو يعاقبون فى المجتمعات بواسطة الحكام أو بقوانينهم ، وذلك حسب سلوكهم إن كان خيراً أو شراً . وهم لذلك لم يروا أى داع لنبذ هذه القاعدة حتى فيما يتعلق بالقوانين الإلهية المتسامية التى يخضعون لحكمها وهم جاهلون . فالتجسدات المتكررة إذن قد أقيمت دعائمها على هذا الوضع العملى الفطرى . ولقد قيل ، على سبيل المثال أنه إذا كان الشخص فى حياته عنيداً صلب الرأى فإنه يعود مرة أخرى إلى هذه الدنيا فى صورة حمار أو كبش . وإذا كان شريراً ويسلك دائماً ضد مصلحة الآخرين ، فسيكون فى حياته الأخرى ، مثلا ، عقرباً ! .

وهناك اعتقاد آخر كتب عنه فى كتب كثيرة . ونرى هذا الاعتقاد تحت اسم « قانون الكارما » . وكلمة « كارما » مشتقة من اللفظ السنسكريتى (١) « بالى كاما » Palli Kamma ، ومعناه « العمل » action وهذه العقيدة تتضمن الثواب والعقاب . فإذا اقتلع شخص عين شخص آخر فإنه يعود إلى هذه الدنيا طفلا أعمى عقابا له .

ألا تكون نتيجة منطقية أن ننظر إلى القوانين والأحكام الإلهية نظرتنا إلى قوانيننا البسيطة ؟.

وإذا قارنا حقيقة العودة للتجسد بالعقائد الباطلة التى تحدثت عنها ، فإن العودة للتجسد تأخذ فى الحال مكانها المقدس السامى . إن العودة للتجسد ليست قانوناً من صنع الإنسان . وإذا لم يكن ثمة ثواب أو عقاب فسيكون هناك اختبارات متواصلة غير منقطعة وتجارب لا تحصى عدداً . إن النفوس

---

(١) لغة الهند الأدبية القديمة .

(الأرواح) إنما تأتى إلى هذه الدنيا لاجتياز هذه التجارب ولاكتساب كثير من الخبرات التى يحتاجون إليها من أجل تطورهم الأبدى فى الكون..إنها ليست دورة أو عودة رجعية من مجال تطور مكتسب. ولأضرب لكم بعض الأمثلة : هل ترونه آثما أو مذنبا ذلك النمر الذى يقتل فى الغاب ظبيا بريئا ليأكله ؟..هل يمكن أن نقول إنه سينال جزاءه فى حياة تالية ؟ . . هل يمكن أن ترى إنساناً متوحشا من آكلى لحوم البشر يوقع فى شركه مسافراً أبيض البشرة من بلد متحضر ويأكله لكى يشبع ثم تعتبره مخلوقاً آدميا ؟ إن هذه الأفعال ، أقصد أفعال النمر وآكل لحم البشر ، إنما تتم فعلا وفقا لعوالم التطور التى أحرزوها من قبل. فهل يمكن أن يسلكوا سلوكا آخر غير هذا ؟. .ولنضرب مثلا آخر لصاً جاهلا يقطع الطريق على الناس فى بعض المنعطفات ويقتل المسافرين لينهب أموالهم وعتادهم . لاشك أنه يفعل ذلك طبقا للتطور القياسى الذى توصل إليه. . ونعود إلى أنفسنا. فنحن ولو أننا جميعا هنا بعيدون كل البعد عن قتل شخص ما أوسفك دمائه أو سرقة ماله ، فإننا لا نزال نقترف بعض الأخطاء الصغيرة أو الكبيرة التى كثيراً ما نغفل عنها ولا نعيرها التفاتا . ثم إننا نعمل أيضا حسب ما تمليه علينا دنيانا ،وبالتجارب والخبرات سنصل إلى أسمى تلك العوالم. هذا كل شىء. فليس هناك ثواب أو عقاب . .

ولقد التقيت ببعض المشتغلين بالروحية ممن كانوا يزعمون أن العودة للتجسد ومن ثم النشوء والارتقاء كانا من المميزات التى امتازت بها المخلوقات البشرية وحدها ، فى حين أن النباتات والحيوانات مصيرها الهلاك والفناء بعد الموت المادى إلى الأبد !.. ونحن نرى من ذلك الادعاء أن المخلوقات البشرية على درجة كبيرة من العمى والضلال ومن ثم فهم جد متغطرسين ومغرورين إذ يعتبرون أنفسهم سادة على جميع الكائنات !.. ولا يزال كثير من الناس فى هذا العالم يرون أن النباتات والحيوانات إنما خلقت فقط لفائدة المخلوقات البشرية !.. فى حين أن الحقيقة هى أن تكوين المخلوقات البشرية إن هو إلا مجرد نوع واحد فقط من الكائنات بين مخلوقات أخرى لا عد لها ولاحصر تقيم فى هذا الكون المادى وليس

له أى رجحان أو تفوق على الآخـــرين ولا أية امتيازات . إلا أن الزهو غير المناسب والغـــرور المؤسف هو الذى جعلهم يظنون أن الرفعة والشموخ والتفوق لهم وحدهم دون غيرهم . وفى مدرسة الحياة الأولية ، إذا كانت النباتات فى الصف الأول والحيوانات فى الصف الثانى ، يمكن أن نعتبر أنفسنا فى الصف الثالث . وهذا كل شىء . . ومن ذا الذى يعرف إن كان هؤلاء التلاميذ من الصفوف العامة (الواطية) سوف لا يعلوننا فى مدارس الكون العليا . . .

إننا إذا توجهنا بنظرنا إلى السماء فى ليلة صـــافية لا غيوم فيها بواسطة مقراب (١) سنرى كما لو كان عالمنا تغطيه صينية (٢) ذهبية . وتلك المجرات التى لا تحصى عدداً مع المنظومات الشمسية التى لا حصر لها، مع الكواكب السيارة(٣) إنما هى بطبيعة الحال مدارس كثيرة وجامعات عديدة للتطور الروحى السرمدى . وإنها جميعا مليئة بمخلوقات سفلى بالإضافة إلى مثل عددها من كائنات أسمى تطوراً منا . ولسوف ندخل جميعا هذه المدارس فى طريق تطورنا اللانهائى .

أصدقائى الأعزاء . .

إن كل عمل وكل فصل فى دنيانا هـذه له بداية وله نهاية . فإنى ، على سبيل المثال ، بدأت الحديث اليكم ولكنه سيصل إلى نهاية. وكما أننا إذا بدأنا فى تحرير خطاب أو تأليف كتاب لابد أن ننتهى منه ، أو نموت ، فتلك الأعمال والأفعال ستنتهى كذلك . وهذه البدايات والنهايات مألوفة جداً فى غضون حيواتنا حتى لقد أصبح من المستحيل أن يتصور السواد الأعظم من المخلوقات البشرية وجود بعض الحوادث التى ليست لها نهاية . وهكذا فإن كثيراً من المشتغلين بالروحية، تحت تأثير هذه العادة ، يحسبون أن الطبيعة (أو العالم الخارجى بكامله) تتكون

---

(١) المقراب : التليسكوب.

(٢) طبق تقدم عليه أوانى الطعام والشراب .

(٣) الأجرام السماوية الدائرة حول الشمس .

من معبرين فقط . الأول ، حياتنا الجسدية فى هذا العالم والتى تؤخذ على أنها مرحلة ابتدائية ؛ والمعبر الثانى هو العالم الآخر الذى نصل منه إلى الله كنهاية . إنهم لم يأخذوا فى اعتبارهم مجموعات الكواكب التى لا حصر لها فى الكون اللانهائى .

أليس من الأفضل أن نكون متواضعين ومعتدلين ونترك جانباً تلك المزاعم وهذا الغرور ونسلم بأننا لسنا إلا مجرد نوع واحد من المخلوقات كغيرنا من مخلوقات لا عد لها موجودة فى هذا الكون أوجدها بقدرته الخالق ، القدير ، بديع السموات والأرض ؟

أصدقائى الأعزاء ..

إننا نحن الروحيين ، نؤمن جميعاً بإخلاص وصدق بوجود الله تعالى . وبدون الرضا والتسليم والإيمان بهذا لا يمكن أن يفسر أى شىء عن موضوعنا المشترك فى الروحية . وإذا ما اعترفنا بوجود الله الواحد الأحد ، فإن النقطة الأساسية الأخرى التى يقتضينا الاعتراف بها وبقبولها مرة أخرى ، هى عدالته المطلقة .

وإذا نحن تأملنا فى ملكوت الله كيما نرى طريقة الحيوات التى تتمتع بها الكائنات ، دون أن نأخذ بعين الاعتبار كثيراً من الحيوات الأرضية ، وأقصد بذلك العودة للتجسد ، أو ننظر إلى الموضوع كما لو كان وهما أو من مبتكرات الخيال ، فمن المستحيل قطعاً أن نرى أى مظهر للعدالة الإلهية . فكيف تبدو الحياة إذن فى هذا العالم تحت فحص عام ؟.

إن الإنسان إنما يعنى بالمنظمات والهيئات الاجتماعية ، كما يولى اهتمامه وعنايته بالبيئات . الأمم المتمدينة فى جانب ، بينما يظهر فى الجانب الآخر تضاد مطلق ، من أناس بدائيين . فالناس الذين تتألف منهم الأمم المتمدينة يتمتعون بأسباب المتعة والراحة ويواكبون التقدم الحديث وبالأخص التعليم الذى يتسم بالتجديد والثقافة الحديثة التى تساير الأسلوب العصرى . فى حين أن ثمة مخلوقات

آدمية أخرى فى حرمان كلى وفى جهل مطبق . وبتحليل التباينات المختلفة علاوة على ذلك نرى المهجيين ، والمترحشين ، والمرضى ، والمقعدين ، والشواذ . ونرى مقابل هؤلاء المتمتعين بالصحة التامة ، والموهوبين بالذكاء والجمال، والذين لديهم القدرة على الاستمتاع بمباهج الحياة . وهناك أيضا التفاوت البين فى امتداد مدة حياة المرء على الأرض . فبينما يموت البعض فى سن مبكرة ، فى سن الطفولة مثلا أو حتى قبل الولادة من أثر مرض لم يتحملوه ، هناك من يمتد بهم العمر إلى أكثر من ١٢٠ عاما . فن وجهة نظر النوعيات الروحية التى نكتسبها عن طريق الوراثة (١) تبدو الصورة متساوية فى التغاير . وكثير من الناس يعـــانى من ضعف فى الصحة أو من علة تلازمهم طوال حياتهم، أو يكتسبون خصلة تقودهم إلى أعمال السادية والظلم والطغيان وحتى الجريمة . نرى بالمثل ، من ناحية أخرى، كثيراً من المخلوقات البشرية يكتسبون عن طريق الوراثة صفات النبوغ والذكاء التى تيسر لهم الحصول على الشهرة وتجعلهم قادرين على اقتناء الإمكانيات المادية. وبعيداً عن السؤال الخاص بالشذوذ المضاد الموجود فمن الضرورى أيضا أن نمعن النظر فى الحالة المناقضة فيما يختص بالحيوانات والنباتات بالمغايرة مع الإنسان الذى يعد أحسن حالا بكثير فى القوة والكمال مما اعتادت الطبيعة أن تمنحه .

وبالاختصار ، إذا نحن أجلنا البصر فى عالمنا ، بالرغم من العودة للتجسد، نرى خلطاً ملطاً من الفوضى ضاربة أطنابها ، واضطرابا واعتلالا وفســادا ، وخاصة الظلم والقسوة ، كما لو كان هذا العالم فى ما يبدو ، لا يدبره خالق قادر حكيم ، بل كما لو كانت هذه السبل من الحياة وما فيها من أطايب ومتاعب تحصد بدون ما وعى أو إدراك .

وإذا نحن لم نستطع أن نجد العدالة فى كل شىء ونراها بداخل أوجه الحياة المختلفة فى هذا العالم . فهذا ناشىء عن جهلنا وسوء فهمنا وافتقارنا إلى وعى وإدراك . ومحاولة الوصول إلى عدل إلهى فى حياة فريدة لمدى ٨٠ أو ٩٠ عاما

---

(١) وراثة الصفات ، انتقال صفات الوالدين إلى أولادهم.

يمكن أن تكون أشبه بمحاولة البحث عن خاتم صغير سقط من شخص فى أعماق المحيط.

والذين لا يتقبلون العودة للتجسد يحاولون أن يقنعوا غيرهم بأن جميع متاعب الحياة ، ولا سيما تلك التى ذكرتها وكثيرا غيرها مما يطيقها الإنسان ومما لا يطيقها سوف تسوى ويعوض عنها فى السماء، ومن ثم سيوفى العدل الإلهى لكل فرد حقه.

ونحن لا يمكن أن نوافق على هذه الحجة ولا يمكن أن نعتبرها إيضاحا للعدل الإلهى . ولكن يمكننا فقط أن نفكر فيها كجزاء بسيط وكفعل للوقاية أو الأمان أو التعويض عن ضرر تم على نحو مألوف تحت سلطة القوانين السائدة فى هذا العالم ، ضد الحوادث المفاجئة المختلفة ، والضرر والخسائر . ألا ترون أن الفكرة فى غاية الحماقة والسخف فى مقارنتها عدل الإله القادر القوى بقوانيننا ونظمنا البسيطة ؟ . . إن الله ، قبل كل شىء ، هو الموجود المطلق الكمال الذى لا يمكن أن ينقصه كمال ما . . وحاشا أن يخطىء سبحانه سواء فى ما يتعلق بالحوادث أو بغيرها مما سيكون مضطراً لتعويضه . إذن فالتعويض أو وفاء الدين ليس فيه أى مجال للشك أو الاعتراض فى عدالة الله.

وإذا نحن الححنا بإصرار على سلوك طريقنا بعناد إلى الأفكار العتيقة والنظم الموروثة ، فسوف لا نحقق أية خطوة تقدمية فى المعرفة الروحية العظيمة . ويتحتم علينا ألا ننسى أن الديانات إنما تتعاون مع الروحية ولا تطوقها . فعلينا إزاء ذلك ألا نحاول تطويق الروحية ولفها فى أى حدود أو قيود . وأحرى بنا أن نعود أنفسنا على النظر إلى الديانة كوجود أو ككينونة داخل المدار الوسيع والفلك العظيم لعلم الروح .

والآن ، وبعد تلك التفسيرات العامة عن : الروحية ، والباراسيكولوجى ، والعودة للتجسد ، ندخل فى الموضوع الرئيسى ونحاول تقديم فكرة عن البحوث التى أجريت فى بلدى على يد العلم الشامخ البروفيسور أيان ستيفنسون بمعاونتى له . ولقد سجل ، كما قلت من قبل ، نحو ٦٠٠ حالة تلقائية فى أجزاء مختلفة من

العالم . منها ستون حالة فى بلدى ، وهى حالات صحيحة ومطابقة للواقع . وأريد من أى فرد غير مقتنع أن يباشر بنفسه الاستقصاءات الشخصية قبل أن تنتقل الشخصيات موضوع البحث والشهود إلى العالم الآخر . وإنى من جانبى لا أعتمد ولا أعول على تلك الحالات التى يمكن أن نجدها فى كلاسيكيات الروحية التى لا يمكن أن تبنى فوقها أية استقصاءات عن صحتها أو موثوقيتها لأن وقائعها قد حدثت منذ ٥٠ سنة مضت على الأقل .

وتلك الحالات الستون التى وجدناها فى بلدى كانت جميعها فى الجهات الشمالية حيث يعتمد الناس فيها بالعودة للتجسد . وهؤلاء يشكلون أقلية من المواطنين الأتراك من أصل عربى هاجروا من سوريا منذ قرن مضى .

ولطالما سئلت : لماذا حدثت كل تلك الحالات فى المكان الذى يكون الناس فيه ذوى إدراك وفهم للعودة للتجسد ، ولماذا لا نلتقى بمثل تلك الحالات فى مكان آخر . وأظن أن هذا السؤال يحمل معه الإجابة الضرورية ، وهى أن الناس الذين ليست لديهم أية فكرة عن العودة للتجسد ، أو الذين لم يسمعوا عن هذا المفهوم قط لا ينتبهون ولا يعطون أى اهتمام لما يتفوه به أطفالهم من كلام غير مفهوم يعوزه الوضوح والمعنى والترابط حتى ولو كانوا يثرثرون أو يتلفظون بكلمات عن حياة سابقة بذكر بعض الأسماء والتفصيلات . ويتلقى الآباء تلك الادعاءات من أطفالهم كهذيان وهراء طفلى وبذلك تترك الحالات لتنطوى ويكون مصيرها إلى زوال . على حين أنه فى الجهات التى يكون فيهـــا الناس على وعى وتفهم للعودة للتجسد أو الإيمان بها ، يتنبه الآباء فى التو إلى تفوهات أطفالهم لأول وهلة عن الحيوات السابقة وبذلك تستنبط الحالات وتوضع موضع الدرس والفحص .

وفى غضون تلك الحالات التى ظهرت فى القطاعات الشمالية من تركيا طرح سؤال آخر : لماذا كانت لكل تلك الحالات المدعاة عن العودة للتجسد صلة بحياة بائدة وبفعل جريمة القتل العمد وفقاً لفكرة عامة عند أقلية من العرب فى تلك الجهات ؟ . . وفى الواقع ، أن العودة للتجسد إذا لم تكن خيالا بـــل حقيقة كما

أعتقد ، فليس من السهل أن نعتبر المفهوم المذكور آنفا كشيء منطقي أوله تفسير قويم ، أو متفق مع الآراء المقبولة . وأعترف أني قد فكرت وأطلت التفكير في هذا السؤال ولكن بدون أن أتوصل إلى نتيجة.أما التفسير الحكيم جداً والمنطقي جداً لكنه في غاية البساطة فقد جاءنا لحسن الحظ من أحد شهود الرؤية الذين التقينا بهم في أثناء زيارة لتلك الأقاليم مع البروفيسور ستيفنسون.لقد قال ذلك الرجل إن كل فرد يعود للتجسد ، ليس فقط من يقتلون ولكن الذين يقتلون يتذكرون ، أما أولئك الذين يموتون موتة طبيعية فإنهم لا يتذكرون .

ومع أن هذا الشاهد لم يكن متعلما فقد كان تفسيره ذكيا ووجيها ألقى الضوء على ذلك السؤال المحير . وبالحق لقد أصبح من السهل الآن ، بعد هذا التوضيح، أن نفهم وأن نستوعب وأن ندرك إدراكا كاملا التأثير القوى على النفس الذى يمكن أن يتركه حادث القتل .

ومن جهة أخرى ، عندما ندرس حالات كثيرة أخرى عن العودة للتجسد مما أعلنت رسميا وقدمت عنها تقارير ، وتلك التي يمكن أن توجد في المصادر الموثوق بها في الروحية ، نلاحظ أن كل المتذكرين قد أوردوا من حيواتهم السابقة على الأقل بعض تذكرات أساسية جداً وفي غاية الأهمية إذا لم تكن قصة قتل . لأن أولئك الذين يموتون موتة طبيعية ، إذا كان انتقالهم من حاله إلى أخرى عاديا ومألوفا للغاية وطبيعيا ومتوقعاً ولاسيما في السن المتقدمة كالشيخوخة، يكون الوضع مختلفا إذ لا يستطيعون أن يتقدموا أو يدلوا بتذكرات لحيواتهم التالية . ولكن الذى يمكن أن يحدث هو أنهم ربما يستحضرون لحيواتهم الحالية بعض التذكرات الغامضة غير الجلية والغابرة سريعة التبخر والزوال والتي يمكن أن تبدو واضحة في ظاهرة « رؤى من قبل » Déjé Vues .

وهكذا،فإن أكثر المتذكرين،وأعني بهم الأشخاص الذين تدرس حالاتهم، من الذين التقينا بهم في تلك المقاطعات لهم حياة سابقة انتهت بفعل القتل.ولقد اعتادوا في أثناء استقصاءاتنا أن يخلعوا ثيابهم ليكشفوا عن أثر علامات

ولادية على أجسامهم الحاليه مدعين أن تلك العلامات تمثل مواضع فعلية لطعنات من خنجر أو أعيرة نارية استهدفت لها أجسامهم السابقة .

واذا نحن فكرنا مليا فى أن أجسامهم السابقة قد تحولت منذ عهد بعيد إلى عناصرها الأولية تحت الثرى فلن يكون من السهل أن تؤخذ بعين الاعتبار تلك الادعاءات.ولكن الدراسات الأخيرة والمحاولات التى قمت بها فى هذا الموضوع قد ألقت الضوء على هذه الظاهرة :

سيكون من السهل على أولئك الذين تابعوا بانتباه النشرة التى صدرت عن معامل الباراسيكولوجى بجامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية أن يقدروا قيمة إمكان تأثير العقل أو الروح فى المـادة الصلبة تأثيراً مباشراً .. وفى هذا المعمل بين التجارب العديدة والمختلفة التى أجريت على « الإدراك عن غير طريق الحواس » [1] Extra Sensory Perception ، ثبت أن هذه الظاهرة كثيرا ما تتخذ فى غرف الجلسات صورة رفع منضدة إلى أعلى بدون أية وسيلة مادية ، وقد يرتفع الوسيط نفسه إلى أبعاد مختلفة ، كما قد يتحرك أى جسم صلب من مكانه تحت بصر الموجودين بالمكان . وبذلك قد ثبت أن الروح يمكن أن تؤثر فى المادة . إذن ، لماذا لانسلم بأن الروح يمكن أن يكون لها تأثير أسمى وأرفع مقاماً وأعظم نفوذاً فى الجسد المادى الذى تحل فيه ، خصوصا إذا كانت هذه الروح مركزة تماماً على فعل الطعنات المقدرة التى وضعت حداً لحياتها الجسدية .

علينا بعد هذه التفسيرات أن نسلم بأن الروح التى فقدت جسدها المادى بفعل القتل ستكون بطبيعة الحال متعلقة جداً بهذا الحادث غير المتوقع الذى وضع حداً لحياتها وتركز تماما على المنظر الذى أمكنه أن يسجل ويشير بدون أن

---

(١) أفردنا فصلا خاصاً عن هذه الظاهرة فى كتابنا « الروح والخلود » ص ٩٤ / ١١٠

يدوى إلى كل علامات الطعنات التى تلقاها فى جسده الجديد الذى هو فى حالة التــــكوين .

وفى ختام محاضرتى ، يتعين على أن أقول إنه سيكون من دواعى سرورى أن أتبادل المراسلات مع أى صديق من المشتغلين بالروحيــة ممن يهمهم معرفة المزيد من الحالات التلقائية التى تحت يدى . وسأبذل جهــدى فى أن أتوسع فى تلك الحالات التى تبرهن على العودة للتجسد وتدعو إلى الاقتناع بهـا . وإنى أرحب بأية رســالة من أى شخص فى أى جزء من العالم تكون عنده الرغبة الخلصة لمعرفة المزيد عن العودة للتجســد .

° ° °

وفيما يلى عنوان الدكتور رشاد باير لمن يرغب فى مراسلته على أن تكون المراسلات باللغة الانجليزية أو التركية :

Dr. Resat Bayer,
Turkish Society for Parapsychological Research,
P. O. Box 33, Karakoy,
Istambul, Turkey.

تحقيقات الأستاذ رشاد باير

حالة سليمان زيتون :

زمن التحقيق : ١٩٦٣ — ١٩٦٥
المكان : كايسلي ، أدنه ، تركيا
المحقق : رشاد باير — كاراكوى — استنبول — تركيا
محمد قزمان : اسم الشخص موضوع الدراسة فى حياته السابقة ، غرق فى عام ١٩٣٨ وهو يغسل حصانه فى نهر سيجون .
زهرة قزمان : زوجة الرجل الغريق . ولدت فى ١٩٢٠ . كايسلى - أدنة - تركيـا .
عبد الله قزمان : ابن الغريق ، ولد فى ١٩٣٦ ، كايسلى. أدنة
سميحه استكيدال : بنت الغريق المتزوجة ، ولدت فى ١٩٣٨
سليمان زيتون : اسم الشخص موضوع الدراسة فى حياته الفعلية، فى سن الـ ١٩ - ٢٠ من عمره - أصم وأبكم منذ ولادته
رمضان زيتون : والد الشخص موضوع الدراسة، ولد فى ١٩٢٠ يعمل بقالا فى (صيدام كاد — أدنة — تركيا)
بيديا زيتون : أم الشخص موضوع الدراسة ، ولدت فى ١٩٣٠

مقدمة :

عندما حدثت هذه الحالة كانت أسرتا « قزمان » و« زيتون » كلتاهما تعيشان فى « كايسلى » ، ثم انتقلت عائلة زيتون إلى المدينة

كايسلى قرية فى أدنة تبعد عن المدينة بعشرين كيلومتراً .. ويبلغ عدد سكانها ١٥٠٠ نسمة ، وفيها ٢٥٠ بيتا .

وعندما قمنا بالتحقيقات كانت عائلة « زيتون » قد انتقلت إلى أدنة فى عام ١٩٥٩ ، لذلك كانت الاستجوابات بعضها فى أدنة وبعضها الآخر فى قرية كايسلى.

ومع أننا قد حصلنا على شهادات كثير من الشهود الآخرين فى كل من المكانين ، فإننا نكتفى هنـــا بسرد ملخص قصير باقرارات أفراد الأسرتين المذكورتين آنفا فقط ، بطريقة مشتركة كيما نتحاشى التكرار .

قصة الحالة :

كان محمد قزمان فى حياته فلاحاً طلق المحيا ، رقيقاً ، دمث الأخلاق ، محبوباً من جميع سكان القرية . وكان متزوجا وأباً لثلاثة أطفال . يحب أسرته ويعز زوجته ، ويحاول جهده ألا يرهقها فى العمل .

وقد كان محمد فى الأربعين من عمره عندما غرق هو وحصانه فى نهر سيحون (قيزيل أرمق) ، ليصبح بعد ذلك حالة هى موضوع تحقيقنا .

فى ذات يوم من سنة ١٩٣٨ كان صاحبنا قد جمع المحصول ومضى بحصانه إلى النهر ليغسله فى منطقة منه ضحلة اعتاد القرويون أن يغسلوا فيها خيولهم وماشيتهم . ولكن الحصان أجفل على غير عادته من الماء ، ولما أراد أن يقسره على النزول إلى النهر تملكته نوبة من الهياج الجنونى جعلته يدفع بصاحبه إلى المياه العميقة، ويعضه فى صدره ، ويضطره إلى تكيمه . وما زالا على هذا الصراع حتى غلبهما الاعياء فجرفهما التيار وراحا غريقين. ولما استخرجا من النهر كانت الأسماك قد عبثت بجثتيهما ولكن آثار العض والتكيم كانت على درجة كبيرة من الوضوح.

تجسد الشخص (موضوع الدراسة) وسلوكه :

وفى عام ١٩٤٥ على وجه التقريب ، وضعت « بيديا زيتون » طفلا ذكرا سمى « سليمان زيتون » ولكنـــه لسوء الحظ ، كان أكمه (أصم أبكم) منذ ولادته حتى أنه لا يمكنه أن يسمع قنبلة إذا انفجرت بجواره .

وكان منزل كل من الأسرتين (أسرة قزمان وأسرة زيتون) مواجهاً الآخر ويبعدان عن بعضها بمسافة مائة قدم . وكان يحيط بها فى القرية منازل أخرى لعائلات أخرى .

ولما نما الصبي قليلا بدأ يشير إلى حياته السابقة وإلى الأطفال الذين كان يندمج فى اللعب معهم . وذهب ذات يوم إلى منزل قزمان مباشرة ، وهناك أشار إلى أن الحقل المجاور والبيت كلاهما ملك له ، (زيتون ليس له حقل) ، وتعرف بالإشارات والإيماءات على جميع سكان البيت . وحاول أن يأخذ بعض أشياء مختلفة كانت خاصة به فى حياته السابقة . ولما منعوه من نقل هذه الأشياء إلى بيته بدأ يبين لهم عن طريق الاشارات كيف غرق فى النهر مع حصانه . وكان يشير إلى فمه ليعبر عن أنه ابتلع كمية كبيرة من ماء النهر حتى مات باسفكسيا الغرق .

وتكررت بعد ذلك زيارات عديدة للتأكد من هذه الأقوال ، وفى كل مرة كان الصبي يلح على توكيد هذه المعلومات بالاشارات .

وعندما اشتبك عبدالله (ابن قزمان) فى شجار مع آخرين تدخل الصبي سليمان فى جانبه على اعتبار أنه أبوه .

وبعد غرق محمد قزمان كان على زوجته أن تحصل على قوتها هى وأولادها بخدمة بعض الأسر ، وقد بذلت فى هذا السبيل جهداً شاقا آلم الغلام سليمان وجعله يكثر من الإشارات الحزينة لما آل إليه حال (زوجته الحبيبة) وطالما بكى وهو يراها تتجشم متاعب الخبازة فى بيوت الناس وترهق نفسها فى خدمتهم من أجل أطفالها . على حين أن الأرملة زهرة لم تكن فى بادىء الأمر مقتنعة بقبول فكرة أن هذا الغلام الأكمه هو الصورة الجديدة لزوجها الغريق . ولكنها عدلت عن هذا الشعور بعد تجربة نوردها فيما يلى :

حــــلم :

كانت زهرة تحلب البقرة بعد أن أحكمت وثاق العجل فجاء سليمان الذى اعتاد أن يكون دائما بقربها ، وفك رباط الوليد فجرى إلى أمه وراح يرضع منها ، وفى نفس الوقت خبط الحيوان الصغير وعاء اللبن برجله فانسكب على

الأرض وحينئذ تميزت المرأة غيظاً وضربت الصبي . فلما جن الليل رأت فى منامها من يقول لها : « ألا تخافين الله ؟.. وكيف تضربين الطفل بهذه القسوة .. إنك لا تصدقين أنى زوجك ، ولكننيه فى الحقيقة » وتقول زهره إن الذى خاطبها فى المنام كان أشبه بالغلام منه بزوجها . ولكن هذا الغلام الأكمه قد تكلم فى الحلم بصوت محمد قزمان مما جعلها تميل إلى الاعتقاد بأنه يحمل روح زوجها المتوفى .

لقاؤنا مع الصغير الأكمه :

تم لقاؤنا كالمعتاد وسط زحام شديد من السكان كله ضوضاء ولغط ، وكان من المستحيل ، بطبيعة الحال ، أن ندعى أو نزعم أننا سجلنا اعترافات هذا الناشىء الصغير سيء الحظ ، فقد كانت أشاراته وإيماءاته غير مفهومة ، ولكن منظره وهو يرينا كيف أنزل الحصان إلى الماء ، وكيف عضه الحيوان فى صدره ، وكيف كمم فمه ، وكيف ابتلع كمية كبيرة من الماء ، كان كل ذلك ملحوظا ومختلفا عن الإيماءات الأخرى غير المفهومة .

تفصيلات اضافية :

يتعين علينا أن نضيف إلى ما تقدم وإلى الاقرارات والشهادات المتجمعة أن « زهره قزمان » قالت إنهـــا عندما تضرب أطفالها ترى سليمان زيتون يبكى وتراه يبكى أيضاً عندما تلبسهم ملابس قديمة . وقالت إنه عندما يزور القرية فى هذه الأيام فإنه يتوجه قبل كل شيء إلى منزله (منزل قزمان) ، وإنها تحب سليمان الآن كابن لا كزوج . وتلقاه دائما بترحاب .

وقال « عبد الله قزمان » إن سليمان زيتون عندما يأتى إلى القرية فإنه يزوره بانعطاف شديد ويعطيه كل ما يكون فى جيبه .

أما « سميحه استكيدال » فقد قالت : إن سليمان يحرص على زيارتها ، وأنها تحب هذه الزيارات وتتقبله كوالدها ، وأضافت إلى ذلك أنها رأته يوم زفافها

دائم التنقل وهو يبكى متأثراً .. وأنه بكى أيضاً فى حفل زواج أختها . (ابنة محمد قزمان الأخيرة لم تكن فى أدنه ولذلك لم تتمكن من لقائها).

وعلمنا أيضاً من « بيديا زيتون » أن الغلام الأكمه كان يزور دائما قريته السابقة ويحمل إليها هدايا كثيرة .

النتيجـة :

قبل أن نترك كايسلى عدنا أدراجنا مرة أخرى لرؤية المنزلين المشار إليهما آنفا . منزل الرجل الغريق يبعد بمقدار ١٠٠ قدم عن منزل الصبى الأكمـه .. والبيت الثانى أقرب إلى القرية من بقية البيوت الأخرى . وكان علينا أن نتوقع أن الغلام عندما يغادر المنزل الحالى ويرغب فى الذهاب تجاه البيوت الأخـرى يميل بطبيعته ووفقا لتخطيط البيوت إلى الذهاب تجاه البيوت الأخرى القائمة فى المنطقة الرئيسية من القـــرية . وكيما يذهب تجاه منزل الرجل الغريق فهو يدور ويلف ـ إذا جاز التعبير ـ ويبعد عن مركز القرية تجاه محيط دائرتهـــا مفضلا ذلك عن الاتجاه نحو مركزها .

وإذا كان بعض المحققين يتحرزون من أن الأطفال يمكن أن يكونوا متأثرين بسماع قصص كثيرة عن حالات مختلفة من الولادة الثانية . وبالتـــالى يحصلون بسهولة على شخصيات جديدة ، فليس من الجائز بأية حال أن نأخذ بعين الاعتبار الشخص الذى ندرس عليه الحالة الراهنه (الذى ولد أصم وأبكم) على أنه متأثر من تلك الحكايات أو القصص عن الرجل الغريق .

وبالإضافة إلى ذلك ، يتعين علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أنه لم يكن هناك حلم ينبىء عن الحالة التى يمكن أن تؤثر على الوالدين ليعطيا لطفلها ، قبل ولادته ، شخصية الرجل الغريق .

ولكننى عندما أمسكت بشخص غريب الأطوار تحوطه الشكوك ، حصلت على مقابلات كثيرة مع أشخاص مختلفين فى كايسلى وفى أدنه كيما أكتشف عن

طريق الأسئلة المختلفة والمحيرة ، ما إذا كان البطل عنده القـــدرة على السمع فى طفولته ، أم أنه كان أصم منذ ولادته . ولكن ذهبت محاولاتى أدراج الرياح ، فلم أجد شخصا يمدنى بأى دليل يمكن أن أرتاح إليه .

وإنى الآن أحب أن أدفع عنى بعيداً شكوكيتى ، وسأحاول كذلك فى خلال زيارة قريبة لـ « أدنه » أن أضع الشخص موضوع هذه الدراسة تحت الفحص بوساطة متخصصين فى مستشفى المدينة ليروا هل من الممكن تحديد ما إذا كان صممه منذ ولادته .

وبناء على أساس الشخصيات المذكورة فى هـذه الحالة يتعين على أن أؤكد أننى أعتبرها واحدة من الحالات ذات الأهمية القصوى ، المغرية بالإقنـاع، التى صادفتنى ، والتى لا يمكن أن نجد مثلها بسهولة فى مكان آخر . .

حالات تلقائية مختلفة

توحي بالعودة للتجسد

عودة الى حالة « طليع سويد » :

هذه الحالة التى سبق أن أشرنا إليها فى سياق الحديث الذى أجرته الأديبة غادة السمان مع الدكتور ستيفنسون ، يرويها لنا أيضا بالتفصيل الدكتور سامى مكارم بعد أن يمهد لها بقوله :

« أحيانا تظهر على جسد الإنسان علامات ولادية تكون لها علاقة بحياته السابقة . ولهذه العلامات أهمية كبيرة فى مجال تذكر الحياة السابقة . .

« فى قرية صغيرة اسمها « التيبات » ، صبى يدعى طليع سويد ،كان يشكو من صعوبة فى النطق ، ويقول منذ بدأ يتكلم إن اسمه سعيد أبو الحسن من قرية « بتخنية » وأن قريبه رامز أبو الحسن قتله فى نوبة غضب عصبية . يقول إنه كان واقفا فى الشرفه حين مر به رامز ودعاه إلى فنجان من القهوة . ثم أطلق عليه الرصاص فأصابه فى خده. والغريب أن فى خد طليع سويد الأيمن أثر رصاصة ولد وهو يحملها ، وأن الصعوبة فى النطق التى يعانى منها ترجع إلى موضع الرصاصه أى إلى ضربة من (الجيل الماضى) .

« ولقد شاهدت هذا الطفل أكثر من مرة . وقد تحسن نطقه بعد أن كشف عن سره . سألته ما اسمه فقال لى سعيد أبو الحسن وهو يفضل هذا الاسم على اسمه طليع . وآخر مرة رأيته فيها فى شهر فبراير ١٩٧٣ ، ولا يزال يعانى من صعوبة فى نطق بعض الحروف التى تتطلب شد الفم . الشين يلفظها جيا ، والسين يلفظها زايا ، وهكذا .

ويستطرد الدكتور مكارم إلى حالات أخرى وقعت فى لبنان قائلا: إن وجود علامات ولادية فارقة من آثار الحياة السابقة أمر نجده يرافق حالات الوفاة بطريقة عنيفة . . أى حالات الوفاة قتلا . .

حالة « سالم العنداري » :

هناك مثلا فى قرية فالوجا شاب يدعى سالم العنداري ، يتذكر منذ طفولته أنه كان يحيا فى جبل الدروز، وأنه قتل على يد البدو بسبب الثأر . ضربه أحدهم بعصا على رأسه . وحققوا مع أسرة القتيل فى جبل الدروز فتبين أن ذلك صحيح وأنه قتل بهذه الطريقة ورمى به فى بئر وأهيلت عليه الأحجار ، كما ذكر سالم العنداري تماما. والغريب أن فى رأس سالم منذ ولادته أثر الضربة .

ولقد أكد هذه القصة نجم والد سالم العنداري وأضاف إليها أن ابنه كان يدعى من قبل حسن حامد وكان يعيش فى جبل الدروز ثم قتل بسبب الثأر . وأنه قبل أن يموت انتشله الأمير زيد الأطرش من إحدى الآبار ، واحتضر وهو بين يديه . والغريب أن ابنه تعرف على الأمير زيد وعرف فيه الشخص الذى انتشله من البئر وآخر وجه رآه فى حياته السابقة .

٭ ٭ ٭

وتروى السيدة جولى زوجة الدكتور سامى مكارم الأمريكية بعض حالات أخرى قائلة : طفلة فى أمريكا قالت لأسرتها إنها كانت جيبة من قبل وحددت اسمها السابق ومكان وفاتها ، بل إنها ذكرت لأهلها أنها لما دفنت لم تكن ميتة كما ظنوا ، وإنما كانت فى غيبوبة فقط،وأنها أفاقت فى القبر ووجدت نفسها سجينة التابوت فصرخت ولم يسمعها أحد وماتت اختناقا . . ولما كانت الفتاة قد روت تفاصيل واقعية مذهلة عن حياتها السابقة ، فقد شكلت لجنة طبية وقررت نبش قبرها والتحقق من صحة أقوالها . وعندما فتح التابوت ، تبين أن المرأة التى دفنت فيه قد أفاقت فعلا بعد دفنها وأنها مزقت وجهها وشعرها وكفنها وماتت اختناقاً فى التابوت تماما كما قالت الطفلة التى حلت روح الميتة فيها فيما بعد .

٭ ٭ ٭

وفى قرية « العبادية » شخص كان اسمه ج . ع . ز ، وكان يتشاجر دائما مع

إحدى بنات الضيعة لأنها كانت تعتدى على حقه فى الماء والرى ، كانا يتشاجران باستمرار ، ثم تزوجت الفتاة من أسرة (ش) فى « عيناب » ومات الشخص الذى كانت تتشاجر معه . وولد لها صبى اسمه « زهيرش » وكم أذهلها أنه حين تطلق بدأ يعاتبها على تصرفاتها معه بخصوص حق الرى والاعتداء على الماء..وحين كبر ابنها أصر على الذهاب إلى العبادية ومقابلة أسرته السابقة .. (وربما كان بوسع التجسد أن يفسر عمليا حبنا لشخص من أول نظرة ، اطمئناننا إليه ، أو نفوراً منه ، دونما سبب منطقى وإنما بدافع قوة داخلية غامضة) .

وتواصل السيدة جولى حديثها قائلة : إن فى التجسد حكمة عجيبة . هناك فى « المتن » شخص كانت زوجته تضع طفلا ، وارتكب هو فى تلك اللحظة جريمة قتل . ولما صار ابنه قادراً على الكلام أذهله الكره والاحتقار اللذان كان يكنهما لأبيه لأنه قاتل ولأنه قتله هو فى حياة سابقة !! ..

إن عزت ش ، فى « عاليه » يروى أيضا كيف قتل لما كان اسمه وجيه ت . ورمى به فى برميل ماء ، ويعرف قاتله ، وقد ذهب وزاره.لقد قرع باب أسرته القديمة قرعته الخاصة وقالت أمه هذه « دقة » فلان .. وبكت ابنها .. وفوجئت بالقادم الذى تعرف على أفراد الأسرة كل باسمه وعلى أشيائه،وأسراره الصغيرة.

وهناك دكتور رياضيات هو الدكتور فؤاد خورى . ابنه الصغير يتذكر بوضوح أنه كان طياراً فى حياة سابقة ، وأنه كان بريطانيا . والمذهل أنه يتقن الإنجليزية كما لو كانت لغته مما يدهش أساتذته .وهذا أيضا من بعض آثار الحياة السابقة فى الحياة الحالية . عماد الأعور مثلا يتقن قيادة السيارات دون أن يتعلم ذلك ، إنه ما يزال يتذكرها من حياته السابقة أيام كان يدعى إبراهيم بشير أبو حمزه .

وعندما سئلت السيدة جولى : ألا ترين أن فكرة العودة للتجسد قد تلغى القوميات ، كما أنها قد تفيد الإنسان وتحوله إلى « سوبرمان» إذا استطاع فى كل

حياة أن يتذكر ما تعلمه فى حياته الســـابقة ، إنه يصير قادراً على التمتع بمزايا « الكومبيوتر » بالإضافة إلى مشاعر القلب الإنسانى وخبراته .. تصورى لو أن كل إنسان استطاع أن يكون مرة واحدة فى حياة واحدة الخبرة المقطرة لعشرات الرجال ولتاريخهم ومعارفهم . .

أجابت : الأروع من ذلك كله أن فكرة العودة للتجسد تحمى الإنسان المعاصر من السقوط فى فخ العبثية الســارترية واليأس على طريقة ألبير كامو ، ولذا فإن أفكار العودة للتجسد بدأت تسرى فى الجيل الجديد فى أمريكا أوروبا..

لقد وصلتنى رسالة من رفيقة لى فى أمريكا « فريدا كوكس » من ميتشجان تقول فيها إن والدها يحتضر ، ولكنها ليست حزينة كثيراً لأنها تعرف أن الموت هو مجرد تجربة انتقال الروح من جسد إلى آخر وانتهاء تجربة حيــاتية للبدء بتجربة أخرى .

والجدير بالذكر أن هذه السيدة هى من أعضاء ناد كبير فى أمريكا يؤمن بالعودة للتجسد ويتزايد أفراده يوما بعد آخر .

* * *

سأل « لوتون » المحرر بجريدة « الافننج بوست » الباحث المحقق « جون ماكلين » : « هل نحن نعيش أكثر من حياة واحدة ؟ » فذكر ماكلين معلومات دقيقة عن حالات توحىَ بالعودة للتجسد . من هذه الحالات أن ربة بيت إيطالية تدعى « ماريا روز ينيلى » لا تعرف من اللغة الفرنسية حرفاً واحداً، ومع ذلك فقد سردت بالتفصيل دون حذف أو اختصار محتويات كتــاب « احتكام إلى الأجيال المقبلة » الذى ألفه « جان دى لابلاتير » باللغة الفرنسية الأصيلة.وتقول ماريا إنها عاشت من قبل بوصفها المؤلف الذى أعدم بالمقصلة عام ١٧٩٣.

وكاتبة حســابات تدعى « جوزفين ستراكر » من لوس أنجلس وتبلغ من العمر ١٩ عاما ، تعتقد أنها عملت ذات مرة ممرضة مع فلورنس نايتنجيل (١) فى

(١) فلورنس نايتنجيل : (١٨٢٠-١٩١٠) ممرضة انجليزية ، يرجع إليها =

حرب القرم . ووصفت بدقة الضباط الذين ترددوا على المستشفيات التى كانت تعمل فيها على خط النار. وكان من الشخصيات التى ذكرتها القائد البريطانى اللورد راجلان ومساعدوه .

ومهندس الديكور جوليان براون بلندن متـــأكد هو الآخر من أنه كان اسكتلنديا يدعى أنجلوس ماك كاللوم ، ومات من أثر إصابته بجرح من قوس ونشاب فى عام ١٤٩٠ ــ وكتب قصة اعتبرها مجرد قصة خيالية ، ولكن اتضح فيما بعد أن كل الشخصيات التى ذكرهـا فى القصة ــ وكان يظن أنه اختلقهـا ــ كانت تعيش حقيقة بنفس الأسماء منذ ٥٠٠ سنة مضت .

وذكر ما كلين حالة أخرى استرعت اهتمام العالم النفسانى الدكتور جان لارسون الذى كرس حياته للبحوث الروحية . وهى أن امرأة ليس لديها أية ميول ميكانيكية ولا تفهم شيئا فيما يتعلق بالأعمال اليدوية أو بالصناعة الحرفية ، زارت صديقا لها ما يزال موجوداً على قيد الحياة ، يعيش برئة حديدية (١)

ووصلت إليه لتجد أن الآلة تعمل بطريقة خاطئة ، والممرضة خرجت من المنزل لشراء بعض الحاجيات . وبدا عليها عندئذ أنهـا تعرف بالغريزة ماذا تفعل ، وشعرت بهدوء وثقة واعتداد . واخرجت كتلة خاصة بالمقـاومات (٢) وفكتها وأدخلت بعض قطع أخرى من الغيار . ولما سألها الدكتور لا رسـون فى ذلك قالت : « إننى متأكدة تماما إننى حصلت على المعرفة فى حياة سابقة » .

= الفضل فى النهوض بفن التمريض ، ورفع شأن الممرضات . تجلت عبقريتها الإدارية فى حرب القرم ، عندما كونت وحدة ميدان التمريض عام ١٨٥٤ ، ثم أنشأت أول مدرسة للتمريض باسمها فى لندن سنة ١٨٦٠ - وهى أول امرأة تنال وسام الاستحقاق ١٩٠٧ - لها عدة مؤلفات فى التمريض، وإدارة المستشفيات

(١) أداة للتنفس الصناعى

(٢) أداة تستعمل فى دارة كهربائية تتميز به من قدرة على المقاومة .

وعلق ما كاين على ذلك بأنه يمكن أن تكون هذه بينة كافية تجمل العبارة «إنك عشت مرة واحدة» مشتبها فيها ومشكوكا فى أمرها .

عن «سايكك نيوز»
فى ١٩ فبراير ١٩٧٢

* * *

امرأة ذات ماض بعيد :

صرحت «إيرين ف . هافز» لمحرر «السايكك نيوز» بأنها امرأة ذات ماض . وهذا الماضى يعود إلى الحضارات القديمة . وتعتقد اعتقادا راسخاً أنها عاشت من قبل على الأرض عدة مرات ؛ مره كابنة لملك من العصر المينوانى (١) قبل عام ٤٠٠٠ ق . م .

ويقول المحرر إنه عندما التقى بهذه الأمريكية خلال زيارتها للندن قالت له إن جزيرة «رودس» اليونانية كانت مسرحاً لأحد تجسداتها . وتضيف قائلة :

« لقد كانت كلها مألوفة لى جداً ، وعرفت أنى كنت أعيش هناك منذ زمن بعيد مضى . وعندما كنا نتجول فى الجزيرة ، توقفت بقرب هيكل خرب . . وسمعت بوضوح صوتا ، يخبرنى بأنى كنت ابنة الملك كان يقوم دائما برحلات إلى «ديلوس» ، وهى جزيرة أخرى فى المنطقه . وعندما حدثنا دليلنا فى الرحلة مرة أخرى ، كان أول شىء أخبرنا عنه هو قصه الملك القديمة، وصلاته الاجتماعية المعروفة فى «ديلوس» . ولم أكن أعرف شيئا عن هذا قبل أن أذهب إلى الجزر اليونانية » .

إن مسز هافز المولودة فى «تنيسى» (٢)، والتى تعيش اليوم بقرب شيكاغو،

---

(١) ذو علاقة بحضارة جزيرة إقريطس (كريت) القديمة (٣٠٠٠ — ١١٠٠ ق.م) عصر البرونز الكريتى .
(٢) إقليم فى ولايات أمريكا المتحدة .

لها برنامجها الإذاعى الخاص بها ، علاوة على عمود التنبؤات الذى تحرره أسبوعيا بصفة مستديمة فى عدد من الصحف والمجلات التابعة لإحدى المؤسسات الصحفية.

وكانت قصة حياتها وتنبؤاتها موضوع كتاب جديد للمؤلف الروحى « براد ستايجر » Brad Steiger .

وكانت التنبؤات التى تلوح وكأن أحداثا تهدد بوشك الوقوع على المسرح الروحى الأمريكى ، من الملامح البارزة التى تقدمها إلى الجمهور عن طريق البرامج الإذاعية والتليفزيونية .

وكان أول سؤال استقبل الآنسة هافز عند وصولها إلى لندن فى بداية الأزمات السياسية التى كانت تعانى منها بريطانيا ، هو : « هل تنبأت بهذه الكارثة ؟ » .

فأجابت بابتسامة : « لا . ولكنى تنبأت بالاضرابات التى قام بها قطاع النقل والبريد فى الولايات المتحدة » .

أما تنبؤاتها المطبوعة فى عام ١٩٧٢ فلم يكن فيها شىء عن بريطانيا ، ولكنها تشير إلى أن أمريكا ستتورط فى متاعب كثيرة فيما يختص بارتفاع الضرائب ، وتخفيض قيمة العملة ، وحدوث زلازل ، وقيام مظاهرات معادية للحكومة .

وتؤكد الآنسه هافز ، عضو جماعة الرواد الروحيين بأمريكا ، أننا سنبعث بعد الموت ، وتؤمن بالعودة للتجسد ، ولكنها لا تتوقع « المرور من هذا الطريق مرة أخرى » ، فتقول : « إننى أعرف يقينا أن هذه آخر مرة لى على الأرض » .

ولما سئلت : « هل تنبأت لنفسك ؟ » ، أجابت :

« نعم ، حتى ذات هذا اليوم ، إننى أعرف متى سأذهب ، ولكن هذا لا يقلقنى . ففى بعض الأحيان لا يكون هنالك ما يمكن أن نصنعه لتغيير مستقبلنا » .

عن « سايكك نيوز »

فى ٢٦ فبراير ١٩٧٢

الكسندرينا سيمونز :

وفى كتاب « معجزات الإرادة » المؤلفين ديشاتيل وفاركوليه نجد قصة الطفلة « الكسندرينا سيمونز » التى توفيت وهى فى الخامسة من عمرها فى ظروف غامضة . وكانت الابنة الوحيدة لجراح إيطالى . وظلت أمها المحزونة الملتاعة ترى فى أحلامها طفلتها المفقودة وهى تؤكد لها أنها ستعود مرة أخرى فى شكل ابنة جديدة . وبعد شهرين حملت الأم ، ووضعت طفلتين توأمتين إحداهما تشبه الكسندرينا تمام الشبه ، حتى لقد سمتها أمها الكسندرينا أيضاً . وفى رحلة إلى مونتريال ، وصفت الكسندرينا رقم ٢ مشاهد فى المدينـــة لم تقع عليها عيناها من قبل ، وأدركت أمها أنها كانت من المشاهد التى فتنت بها الكسندرينا رقم ١ .

° ° °

ومنذ زمن قريب حدثت هذه القصة الغريبة التى يرويها ضابط ألمانى سابق كان يقيم فى فرنسا المحتلة خلال الحرب العالمية الأخيرة . .

فقد تلقى هذا الملازم الصغير أمراً بالتوجه إلى قرية صغيرة فى وادى الرون حيث اتخذت الاجراءات اللازمة هناك لمبيته ونومه وراحته الخاصة . وبمجرد وصوله إلى تلك الجهة إنتابه بطريقة ما ، إحساس يتعذر تفسيره أو تعليله بأن هذه القرية النائية وغير المطروقة ، ليست غريبة عنه أبداً . إنها تبدو مألوفة له . وهو مع ذلك لم يستطع أن يتذكر أين رأى ، من قبل ، هذا المكان المثير الشبيه بصورة رائعة . .

وفجأة ، تذكر أن هناك مدرسة موجودة بعد شارعين اثنين من هذا الموقع ، فذهب تواً ليستجلى الأمر . . إنها هى بكل تأكيد . . وبينما هو يتفرس فيها عدقاً مبهوراً مسلوب اللب ، ذكر أيضاً أنه كان يمرق بخفة ورشاقة من خلال بوابتها فى كل يوم متجها نحو بيته سعيداً ، مبتهجاً . .

فابتسم لهذه الفكرة .. لقد تذكر الآن أيضاً بيت العائلة الكائن خلف دكان صغير لبيع الحلوى ..

واقتفى أثر الطريق الذى كان يسلكه فى صباه وهو عائد إلى منزله . فتحت الباب سيدة وقورة رزينة وحدقت فى الشاب فاغرة فاها من الدهشة . بينما حاول هو أن يتفاهم معها مستعيناً بقاموس مبسط . قال لها : « هناك ، فى إحدى الغرف لجوة صغيرة لوضع السرير وفوقه رف للكتب . وفى الجهة الأخرى دولاب بنى اللون وأمامه حصان خشبى هزاز صغير نوعاً وعتيق . والدولاب غاص باللعب من كل نوع » .. وكانت مفاجأة السيدة لم تخطر ببالها ، عقدت لسانها عن الكلام . لقد كان أمامها جندى ألمانى غريب يرتدى بزته الرسمية الكاملة ، يصف لها بكل دقة غرفة بما تحتويها فى الدور العلوى لم يرها قبل ذلك .. إنه لأمر عجيب .. وغير معقول .

وأصر الشاب على تأكيد أقواله ، فصعدت معه إلى الدور العلوى وهى فى ريبة من أمره ، حيث وجدت كل شىء كما وصفه لها بدقة متناهية : الدولاب ، اللعب ، الحصان الخشبى الهزاز . .

قالت وهى تتعثر فى حديثها إنه منذ ٢١ عاماً كان لها ابن صغير ، توفى وهو فى التاسعة من عمره . .

فصاح الضابط ، وهو عاجز عن كبح جماح ثورته النفسية :

— فى أى يوم ؟

فقالت متمتمة : لماذا ؟ . . فى الثامن من شهر فبراير .

فأكد برزانة واكتئاب : « هذا هو يوم ميلادى »

وكانت تجربة قدو عجيبة لكل منهما . ولكن ، كانت الحرب دائرة الرحى فلم يكتب لها أن تبلغ حقها من الازدهار .

* * *

تجسدات العذراء :

١ — فى « لورد » :

كان ذلك فيما بين ١١ فبراير و ١٦ يوليو من عام ١٨٥٨ ، وفى قرية « لورد » Lourdes بمحسة جبال البرانس فى جنوب غرب فرنسا ، عندما ظهر للطفلة الصغيرة « برناديت »[1] ضوء فى السماء قادم نحوها . ووقفت الطفلة مبهورة من المنظر الغريب الذى بدا أمامها . وبعد قليل تشكل الطيف بشكل السيدة مريم العذراء ، واقتربت من الفتاة الصغيرة التى كانت تشكو من مرض ألم ، وقالت لها : « أنا الحمل الطاهر » . . وكانت العذراء فى تجسدها ترتدى ثوباً أزرق ، وكان وجهها مشرقا ، وقدماها مغطاتين بالورود . وكانت تبتسم .

وركعت الطفلة برناديت عند قدمى العذراء .

وروت الطفلة سرها لأطفال آخرين ، وانتشر الخبر ، وجاء الأطفال ليشاهدوا ما شاهدته برناديت ولكنهم لم يروا شيئاً . وجاء أهل المدينة أيضاً ليروا ، ولم يروا شيئاً فكذبوا الخبر . وحاولت السلطات أن تنتزع من الفتاة اعترافا بأنها تكذب فرفضت ذلك .

أما رجال الدين فإنهم طلبوا من الفتاة أن تسأل العذراء عندما تراها مرة أخرى ، عن معجزة تؤكد لهم أنها هى التى ظهرت فى إحدى مغارات المدينة . كما طلبوا منها أن تجعل الورود تنمو فى هذا الوقت من العام .

ولما ظهرت العذراء ركعت الطفلة عند قدميها ، وسألتها عن معجزة الورود فأمرتها العذراء أن تمسح وجهها فى الشوك ، وأمرتها أيضاً أن تحفر بيديها فى الأرض ، وأن تضع الطين فى فمها ، ولم تكد تضع الطين فى فمها حتى بصقته على الأرض .

---

(١) القديسة برناديت (١٨٤٤ — ١٨٧٩) .

وفى اليوم التالى امتلأت المغارة بالورود . وفى المكان الذى بصقت فيه الفتاة تفجرت ينابيع الماء . وأصبحت هذه الأماكن مقدسة يؤمها حوالى مليون زائر سنويا التماسا للعلاج عن طريق المعجزات (١) التى لا تزال تحدث ، وسجلتها عدة لجان من الأطباء الكبار فى تقارير رسمية .

وفى « لورد » الآن هيئة طبية لا يقل عددها عن خمسة آلاف طبيب ، من مختلف الجنسيات ، يتداول منهم العمل باستمرار « المجلس الطبى » وهو مجموعة من عشرين إلى ثلاثين طبيبا اخصائياً من مختلف العقيدة ، كما أن بعضهم لا عقيدة له على الإطلاق ، وأكثرهم يعملون لحسابهم الخاص وبعيداً عن الكنيسة .

ومهمة أطباء هذا « المجلس الطبى » هى أنهم يدرسون كل حالة على حـــدة ويثبتونها فى تقارير علمية وملفات زاخـــرة بالكشوف والتحاليل قبل وبعد العلاج . ولقد أنكر رجال الكنيسة رسالة « برناديت » فى أول الأمر ولـكنهم اعترفوا بها بعد ذلك . وقضت برناديت باقى حياتها كقديسة فى أحـد أديرة فرنسا (٢) .

ب - فى « فاتيما » :

وفى قرية « فاتيما » فى بلاد البرتغال ،شاهد ثلاثة أطفال ممن يعملون فى رعى الأغنام ، السيدة مريم العذراء ، وكان ذلك فى يوم ١٣ مايو سنة ١٩١٧ .

---

(١) هذا العلاج يحدث عن طريق مياه هذه الينابيع المحملة بسيالات روحية **spiritually changed water**

(٢) وحدثت معجزات مماثلة كثيرة بضاحية الزيتون بالقاهرة ابتداء من ٢ ابريل ١٩٦٨ بعد ظهور نفس الطيف مراراً فى حضور عدد غفير من الشهود ، بالإضافة إلى ظواهر روحية كثيرة سجلتها جهات الإعلام المختلفة فى مصر والخارج منها أضواء قوية مجهولة المصدر اعترفت بها الكنيسة القبطية الأورثوذكسية ، وحرص البابا شنوده فى أثناء مقابلته للبابا بولس على أن يذكر هذه الظاهرة الروحية العظيمة فى خطابه الذى ألقاه فى الفاتيكان .

أما الأطفال فكانوا دون العاشرة . وقد توفى منهم اثنان بعد ذلك بسنتين. أما الطفلة الثالثة فقد عاشت حتى تجاوزت الستين من عمرها . وكتبت سر هذه الرؤية ، وأودعت قصتها فى إحدى خزائن الفاتيكان ، ولم يسمح لأحد بقراءتها إلا سنة ١٩٦٠ .

وقد تجسدت السيدة مريم العذراء أمام هؤلاء الأطفال الثلاثة فى يوم ١٣ من كل شهر . وقد وعدتهم بأن يكون اللقاء يوم ١٣ .. فرأوها خمس مرات فيما بين ١٣ مايو و ١٣ أكتوبر سنة ١٩١٧ .

ولم يفلح أحد من الناس فى قرية « فاتيما » أن يرى ما رآه الأطفال. والسبب هو أن هـؤلاء الأطفال كانت عندهم الشفافية الروحية التى تجعلهم قادرين على رؤية العذراء فى تجسدها والاستماع إليها. ولقد باركت الكنيسة البابوية هذه الظاهرة واعترفت بها كمعجزة.

* * *

إدعى فلاح فى مقاطعة ورتمبرج State Wurtemberg بألمانيا أنه استطاع أن يرسم خرائط دقيقة غاية الدقة ، ومحددة بإحكام للمبانى والصروح الضخمة عتيقة الطراز والتى تعتبر من الآثار البدائية المبنية على أوتاد فى منطقة فيدرسى Federsee الموحلة (المستنقعية) منذ مئات السنين .

ولما سئل كيف كان فى استطاعته أن يفعل ذلك ، وكيف توصل إلى معرفة كل تلك التفاصيل ، قرر ببساطة أنه كان يعيش فى تلك المنطقة من قبل .

* * *

جمع الشمل بعد ولادة ثانية عاجلة (١)

ولقد سجلت حالات أخرى عديدة عن تذكر الحوادث السابقة وكانت

(١) عن « العودة إلى الحياة » ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى عن كتاب "Reincarnation Fact or Falacy" لجيفرى هود سون ص ٣٣ / ٣٦ ومجلة Fate عدد نوفمبر ١٩٥٤ وكتاب « أغرب من العلم » لفرانك إدوارد

نيودلهى عاصمة الهند مسرحا لإحداها ، حيث أفلحت صبية هندية فى الثامنة والنصف من عمرها فى اقتفاء أثر منزلها الغابر والتعرف على أقارب حياتها المنصرمة . وهذه القصة كما حققها بنفسه عضو بارز فى الجمعية الثيوصوفية قد نشرت بمجلة The osophy in India بعدد يناير — فبراير سنة ١٩٣٦ ، فى وقت كانت فيه القصة ماثلة للأذهان .

وكانت الفتاة « شانتى ديفى » Shanti Devi فى السنوات الثلاث الأولى لطفولتها خرساء لا تنطق ، يشيع الاكتئاب فى محياها وتعكف على التأمل ، ولكنها منذ سنتها الرابعة شرعت تتحدث عن منزل لها فى بلدة « ماثورا » التى تبعد عن نيودلهى نحو ٥٠٠ ميل . ولم يعرها أبواها ولا أقاربها آذاناً صاغية مع أن مربياتها وصفنها بالذكاء . وبعد نحو ثلاث سنوات أو أربع صمم جار العائلة وهو محام على أن يبحث ويستقصى .

وقد اعتادت الفتاة أن تقول إن الحلوى والفاكهة والنقود كانت متوافرة فى منزلها القديم . ثم وصفت بالتفصيل أعمال زوجها ، وحددت موقع منزلها وتصميمه وطلاء جدرانه ، وألحت إلى أقاربها . وحينما كان يرد ذكر زوجها كانت تحنى رأسها بإيماءة الاحترام التقليدية . ومع أنها فاهت باسم صهرها ، إلا أنها طبقا لعادة متأصلة لدى الهنود لم تنطق باسم زوجها . بل قنعت بقول أنها كانت أما لطفلين مات أولها أثناء مقامها على الأرض ، ثم قضت هى بعد مولد طفلها الثانى بعشرة أيام .

وحتى يتسنى للمحامى صديق الأسرة مواصلة تحرياته فإنه استدرج الفتاة إلى أن تذكر اسم زوجها ، وطلب من الفتيات أترابها اللواتى كن يلهون معها أن يسألنها عن ذلك ، فخطت الفتاة لإحداهن على قطعة ورق اسم كيدارنات شوبى Kedar Nath Chauby من ماثورا . وكان التأييد نصيب هذه المعلومات . وأثناء ذلك كانت الفتاة دائمة الإلحاح على والديها بأن يصحباها إلى منزلها القديم بماثورا . وحدث أثناء تلقى أحد الدروس أنها أخذت تبكى وتتوسل إلى مربيتها

أن تأخذها إلى ماثورا. وقد أجابتها المربية باستحالة ذلك مالم تصرح باسم زوجها وعنوانه . فخطت الفتاة مرة أخرى اسمه كيدارنات شوبى على قطعة من الورق وناولته لمربيتها . وهكذا اقتنع والداها بأن معلوماتها صادقة . وقد بعث المحامى الصديق بخطاب إلى السيد كيدار شوبى يخبره بجلية الأمر دون أن يدرى أن التأييد كان فى طريقه إليه .

فبعد أيام قليلة أجاب السيد كيدار شوبى بأن حوادث حياته كاسردتها الفتاة تنطبق عليه ، واقترح عقد اجتماع بأخيه الذى كان يؤدى إذ ذاك عملا بنيو دلهى. وقد تعرفت عليه الفتاة كأخ لزوجها وتبين من الاستجواب الذى تلا ذلك أن أوصاف المنزل وظروف وفاة زوجة السيد كيدار شوبى كانت صحيحة جملة وتفصيلا ، وتشبثت الفتاة باصطحاب صهرها (فى الحياة السابقة) فى الذهاب إلى ماثورا ، إلا أنه نظراً لعدم وجود صداقة بين الأسرتين ، فقد تعذر تحقيق ذلك .

تذكر تفصيلات مؤكدة :

وبالطبع اهتم السيد كيدار شوبى بهذا الأمر وانتقل بعد قليل من ماثورا إلى نيو دلهى مع ابنه (الذى ولد له من تلك الطفلة فى حياتها السابقة) ليرى بعينيه الأم الصغيرة والتى انفجرت باكية حينما رأته ، وأحنت له رأسها احتراما. وحينما سئلت عن هوية ذينك الشخصين ، لم تتردد فى القول بأن أحدهما كان زوجها والآخر إبنها .. ثم سردت تفصيلات عما يهواه زوجها وعما يعافه . ووصفت بدقة الشامات والسمات الأخرى التى تميز بدن زوجها .

ولفرط اندهاش الاصدقاء والأقارب الذين كانوا مجتمعين بالمنزل فقد أيد السيد كيدار شوبى جميع ماقالته الفتاة. وعلى الفور توثقت عرى الصداقة بين الصبية والطفل وأصبحا مسرورين معا. وبهذا تقوى الدليل على أن الفتاة لابد أنها كانت الزوجة السابقة للسيد كيدار شوبى ، وأنها عادت للحياة بعد سنتين وثلاثة شهور من وفاتها .

ولتخفيف أثر الصدمة التي يحدثها الفراق المباغت في ذهن الفتاة الصغيرة فقد أخذ المحامي فريق المجتمعين في جولة في أرجاء دلهي الجديدة ، حيث كانت الفتاة في أثنائها تمرح مع الصبي إذ كانا سعيدين بعشرة أحدهما للآخر. وفي الواقع قرر المحامي الصديق الذي كان يعـــرف الفتاة منذ طفولتها أنه لم يرها أشد مرحاً مما رآها في تلك المناسبة .

وهناك بينة أخرى ترقى إلى مصاف الدليل على أن الفتـاة كانت تجسداً ثانيا للزوجة السابقة . فقبل أن يقوم المجتمعون بالجولة أسرت الفتاة إلى أمها بأن تعد للضيوف ألوانا معينة من الطعام ، وأن تقدمها إليهم قبل رحيلهم . وحين عودة السيد كيدار شوبي من تجواله دهش ، بل إنه صدم فعـلا ، حينما رأى أمامه على المائدة ألوان الطعام المحببة إليه ، والتي كانت زوجته المتوفاة تعدها له . وسلم السيد كيدار شوبي بأنه مع زوجته السـابقة كانا ، كما زعمت الفتاة الصغيرة ، زوجـين هانئين ، وأن تلك الزوجة كانت تكن له كل إخلاص .

وسافر إلى الهند الطبيب السويدى المشهور ستيوارد لونر شراند ، وفحص الفتاة ، وتأكد من كل ما قالته وفعلته ، واختبرها ، ورافقها إلى أماكـن مختلفة كانت الزوجة المتوفاة قد ترددت عليها من قبل .

وانتهى الطبيب السويدى وعشرات من العلماء ومن بينهم العالم الهندى الكبير لا لا ديشباندو جوبتـا Lala Deschbandu Gupta ، إلى أن ما تقوله الفتاة شانتي ديفي صحيح ، لقد عاشت قبل ذلك ، ثم ماتت ، وعادت روحها إلى الحياة في جسم آخـر .

دليل قضائى للذاكرة عن حياة سابقة (١) :

وهناك قصة أخرى تؤيد بجـلاء وجود حياة سابقة وقـد نشرت في كتـاب

---

(١) نفس المرجع ص ٣٦ / ٣٨ .

Adventures in Arabia (1) بقلم و . ب . سيبروك ، W . B. Seabrook ،
على النحو الآتى :

« إن كل نفس قد مرت من قبل بتجسدات بشرية عـــديدة .. وأكثر هذه الحالات تشويقا قصة سمعتها عن شخص اسمه منصور الأطرش ، ويجزم بصدقها عشرات الناس فى جبل الدروز. وكان منصور الأطرش هذا قد تزوج من صبية فى الثانية عشرة من عمرها تدعى أم رمان . وحدث أن قتل الزوج فى غارة منذ ثلاثين عاما . وفى ذات الساعة التى لفظ فيها منصور الأطرش أنفاسه الأخيرة ـ وهو وقت تحققت صحته ، ولد لأسرة من الدروز فى جبـل بلبنان يبعـد مئـات الأميال، طفل أطلق عليه اسم نجيب أبو فاراى. وقد شب الطفل حتى بلغ العشرين دون أن يغادر موطنه الجبلى ، ولكنه ما إن انتقل بطريق الصدفـة إلى جبل الدروز الموطن السابق لمنصور الأطرش حتى هتف قائلا : « لابد أن أكون فى حلم، فهذه الأماكن شاهدتها من قبل، وهى مألوفة لدى أكثر من جبالنا ». وحينما بلغ الصبى القـرية التى كان منصور الأطـرش يعيش فيها قال : « إن هذه قـريتى ، ويقع منزلى فى نهاية الشارع وفى ناحية معينة منه » . ثم سار رأساً فى الشوارع المتعرجة صوب منزل منصور الأطرش ، واتجه إلى مخبأ مستور وهدم جداراً وكشف عن كيس صغير به نقود تذكر أنه وضعه هناك فى حياته السابقة. وبعد ذلك ذهب إلى كروم عائلة الأطرش حيث كانت بها حدود متنـازع عليها . وأشار إلى الحدود وقرر أنه هو الذى وضعها حينما كان منصـور الأطـرش ، وبهذا القول المدعم بالدليل أخذت محكمة الدروز . كما أنه بسبب الأدلة العديدة التى ساقها على شخصيته ، فقد تعرف عليه أبناء منصور الأطرش وسلموا بأن أباهم عاد إلى الحياة . وقد تلقى من عائلة الأطرش شحنة حبوب على قافلة من الجمال هدية له .

---

(١) طبع هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٢٧ فى مطابع هاركورت بريس وشركاه بالولايات المتحدة ، وكندا ، وجورج . ج . هاراب وشركاه بانجلترا .

قوة التذكر مؤيدة بادلة مادية (١) :

فى عدد مايو سنة ١٩٤٤ من مجلة Life Digest نشر فى مقال بعنوان : «هذا الصبي عاش من قبل » (٢) ، المثال التالى لتذكر حياة سابقة :

« فى النصف الثانى من عام ١٩٢٢ ، وفى مدينة باريلى بالهند أثار طفل هندى فى الثالثة من عمره يدعى « فشوانات » Vishwanath ، دهشة والديه بأن سرد لهم تفاصيل دقيقة لما ادعى أنه حياة سابقة له . وقد أرهق الطفل والديه بمعلومات عن مكان اسمه بليبيت Pilibhit ، وألح فى معرفة بعد المسافة بينه وبين باريلى . ملتمساً من أبيه أن يصحبه إليه . ولما كان والداه يعتقدان خطأ أن الأطفال الذين تكون لهم مثل هذه الذاكرة يموتون صغاراً ، فإنهما عملا ما فى طوقهما ليقلع الطفل عن أوهامه الغريبة . إلا أن الطفل حينما شب على الطوق زاد انشغاله بحياته السابقة مما اضطر الوالدين إلى النزول على رغبته . فصحباه إلى المدرسة الحكوميه العليا فى بيلبيت . ولكنه صرح بأنه لا يعرف شيئاً عن تلك المدرسة . وفعلا اتضح ان المدرسة كانت حديثة البناء .

« وقد أدهش فشوانات سامعيه بفيض من المعلومات عن حياته السابقة فى بيلبيت ، فقال إن جاراً له يدعى « لالا سندر لال » Lala Sunder Lal ، كان يفخر ببوابة خضراء وسيف وبندقية ، وكان يحيى حفلات راقصة تقوم بها فتيات فى فناء منزله . وقال إن أباه كان حينذاك مالكا لعقارات ومدمناً على الخمر ، ومولعاً بتنـــاول سمك « روهو » وبالحفلات الراقصة . ثم أنه تلقى علومه فى المدرسة الحكومية ، ونجح فى اللغات الارديه والهندية والانجليزية ، وأنه انتقل إلى الصف السادس بها . وقد ثبت بعد ذلك صدق هذه الأقوال . ووصف الصبي محتويات المنزل الذى كان يعيش فيه . وحينما أخذ إلى المبنى وجد كل شيء مطابقا

---

(١) عن نفس المصدر ص ٣٨ / ٣٩ ومجلة « FATE » عدد نوفمبر ١٩٥٤ .

(٢) نشرت القصة أصلا فى مجلة Answers ، بلندن . ثم نشرت بعد ذلك فى مجلة FATE عدد شهر نوفمبر ١٩٥٤ .

لوصفه بما فى ذلك موقع درج السلم . وقد أشار الصبى بأصبعه إلى شخص فى صورة فوتوغرافية وقال إنه « هار نارين » Har Narain . وفى النهاية توج ذكرياته الغريبة لحياته السابقة بأن أشار إلى نفسه فى الصورة كصبى يجلس فى مقعد . وهذا الصبى الذى أشار إليه كان «لوكسمى نارين» ابن «بابو ناى نارين»، الذى توفى بذات الرئة فى الثانية والثلاثين بمدينة شاجهنبور فى ١٥ ديسمبر ١٩١٨ . ومن بين التفصيلات الأخرى التى سردها فشوانات بدقة ، الموقع الصحيح للصف السادس بالمدرسة المحلية والمظهر الخارجى لأستاذه وأسماء الأماكن التى عمل بها ، واسم خادمه الخاص . وقد أيد خال الصبى العديد من هذه التفصيلات، ومن بينها حقائق كان قد نسيها الجميع.

استرداد الذاكرة والموهبة :

أقسم هـ. فيلدنج هول مؤلف كتاب the Soul of a People - الذى نشره ماكميلان وشركاه بلندن - على صحة حالة فتاة صغيرة فى السابعة من عمـــرها سردت له فيها بتفصيل قصة تجسدها السابق . وجاء بها أنهـا كانت رجلا يدير معرضاً للعرائس المتحركة . وأنه للتأكد من مطابقة القصة للواقع ابتاع لها والدها « قراقوزاً » فما كان منها إلا أن أمسكت على الفور خيوطه بيديها بكيفية صحيحة ، مع أنها لم تكن قد رأت قراقوزاً من قبل ، وقالت : « لقد تزوجت بأربع نسوة ماتت منهن اثنتان وطلقت الثـالثة ، وظلت الرابعة على قيد الحياة حتى وفاتى ، ولا تزال حية ترزق . وكنت أحبها حباً جمـاً . وأما التى طلقتهـا فإنها كانت امرأة سليطة . وإذ أشارت إلى ندبة على كتفها أضافت : « تطلع إلى هذا . . إنها أمسكت بساطور وهوت به على كتفى » .

وقد أجرى فيلدنج هول بعض التحريات فتبين له أن عـلامة مميزة ولدت بها الطفلة تطابق تماما علامة أحدثتها بالمالك السابق لمعرض العرائس زوجته المطلقة والتى أمكن العثور عليهـــا . أما الزوجة المطلقة والزوجة المحبوبة فقد كانتا ولا تزالان على قيد الحيـاة . وحينما سئلت الفتاة ، لماذا لا تذهب للإقامة مع

الزوجة التي أحبتها كثيراً ، أجابت ببساطة الأطفال : « كيف ؟ » . لقد تم كل هذا في حياة سابقة ! . وفوق ذلك فإنها وصفت بدقة أماكن وأناساً لم ترهم يعيشون في بقاع نائية ، ولكنها عرفتهم في حياتها السابقة .

جندي يولد من جديد

نشرت القصة التالية في مجلة American Magazine بنيويورك عدد يوليو سنة ١٩١٥ بقلم إحدى الرسامات في مينابوليس . وكانت هذه الرسامة الأخت الكبرى للصغيرة آن ، وحتى وقوع الحادث لم تكن هي ولا أي فرد من أفراد أسرتها يعتقد أو يعلم شيئاً عن عقيدة العودة للتجسد . قالت :

« كانت آن ، وهي أخت غير شقيقة تصغرني بخمسة عشر عاماً ، فتاة غريبة الأطوار منذ نعومة أظفارها ، ولم تكن تشبه أحداً من أفراد الأسرة لأن لونها كان يميل إلى السمرة في حين كان الآخرون شقراً ، ينبئون بغير خطأ عن أسلافنا الايرلنديين . وما إن شرعت الفتاة تنطق بعبارات مترابطة حتى أخذت تسرد قصصا خيالية . وللتسلية كنت أخط بقلمي في مذكراتي العتيقة،ماكانت تثرثر به. ولسبب مشغولية أمي فقد كان أمر الفتـــاة موكلا إلي . وكنت فخورة بأختي ، ولم يكن نسيجها الفكري من خيالات الأطفال كالمعتاد ، بل كان يتضمن شذرات من المعرفة يقصر الطفل عن الإحاطة بها ، أو ارتشافها بأية وسيلة .

« وثمة أمر آخر عجيب ، ذلك أن كل ما كانت تأتيه « آن » كان يبدو أنه يجيء عن طريق عادة متأصلة في نفسها . وفعلا كان إلحاحهـا قويا ، ولو أنها لم تستطع أبداً أن تفسر ما تقصده . ولو أنه أتيح للقارىء أن يرى الكيفية الصاخبة التي كانت ترفع بها إلى فمها إناء اللبن ، حينما كانت لم تتجاوز الثلاث سنوات من عمرهـا ، وكيف كانت تجرعه جرعة واحدة ، لأغرق في الضحك . وقد أزعج أمي هذا الأمر فوبخت آن مراراً . وكانت الطفلة ذات روح طيبة ومطيعة، فإذا مـا أقدمت في لحظة من شرود الذهن على عمل يسبب كمداً ، فإنهـا تشرع

فوراً فى الاعتذارات مرة بعد أخرى ،وتقول بنبرات الطفولة والدموع تترقرق فى مآقيها : « لست أستطيع غير ذلك يا أمـــاه . لقد كنت أفعل ذلك بتلك الطريقة ! »

« وقد بلغت تلك الحركات الطفيفة كعادتها فى الكلام والتفكير والتذكر من الكثرة حداً قررنا معه ألا نعيرها اهتماماً . كما أنها لم تكن تدرى أنها تختلف كثيراً عن أترابهـا . وحدث ذات يوم حينما كانت فىالرابعة غضبت من أبى لسبب ما . وحينما جلست القرفصاء على أرض الغرفة أمامنا كشفت عن نيتها فى الانطلاق ومفارقتنا إلى الأبد .

وسألها الأب فى رصانة ساخرة : « أتعودين إذن إلى السماء التى أتيت منها ؟» . . ولكن الفتاة هزت رأسها وأجابت بذلك اليقين الهـادىء الذى تعودناه منها حتى الآن : إننى لم آت من السماء » . . وأضافت : « كلا . . لقد ذهبت أولا إلى القمر ، ولـكنكم تعلمون كل شىء عن القمر ، أليس كـذلك ؟ . . لقـد كان مأهولا ، ولكنه أصبح قاعاً صفصفا ، فأكرهنا على هجره » .

ولما بدأت القصة تتكشف عن أمور غريبة فقد أمسكت بقلمى وأخذت أدون ذلك فى « يومياتى » . وقال أبى : « إذن فأنت قد جئت إلينا من القمر . . أليس كذلك ؟ »

وأجابت الفتاة بطريقة عفوية : « كلا . . كلا ، لقد كنت هنـا على الأرض مرات عديدة ، وأحيانا كنت رجلا ، وأحيانا أخرى كنت امرأة ! »

« وكانت الفتاة رصينة فى حديثها حتى أن أبى ضحك كثيراً ، مما أثار غضب الفتاة لأنها كانت تمقت من يسخر منها .

وأكدت الفتاة فى حنق : « نعم ، لقد كنت كذلك ! وحدث ذات مرة أن ذهبت إلى كندا حيث كنت رجلا . إننى أتذكر اسمى جيداً حينذاك » .

وهزأ بها الأب مستخفاً وقال :« إن بنات الولايات المتحدة لا يصبحن رجالا فى كندا ! لعمرى ماذا كان اسمك الذى تذكرينه جيداً ؟ » . . .

وصمتت الفتاة هنيهة ثم هتفت قائلة: « كان اسمى ليشوس فابر Lishus Faber » ثم رددت الاسم بقوة أكثر « نعم كان اسمى ليشوس فابر » . وقد ربطت النبرات معاً بحيث لم استجمع من اللفظ أكثر من ذلك . ومازال هذا الاسم فى مذكرتى حتى الآن : « ليشوس فابر »

وابتدرها الأب بتلك الرزانة الساخرة التى تتلاءم مع تأكيداتها حتى يهدىء ثورة غضبها : « وماذا كانت مهمتك ياليشوس فابر فى تلك الأيام الخوالى ؟ »

وأردفت الفتاة بلهجة الظفر قائلة : « لقد كنت جنديا واستوليت على البوابات ! »

« وكان هذا ما سجلته بمفكرتى . وأذكر أننا حاولنا مرة بعد أخرى أن نستدرج الفتاة لكى تفسر لنا ما أغلق علينا فهمه من عباراتها الغريبة ، ولكنها لم تفعل أكثر من أن تكرر كلماتها . ثم حنقت منا لعدم فهمها ، إذ وقف خيالها عند هذا الحد . وكنا إذ ذاك نعيش فى أحضان بيئة مهذبة . ورغم أنى رويت القصة لأستعلم عن مغزاها . كما يفعل المرء أحيانا فى سرد قصص الأطفال ، فإن أحداً لم يجد لها تفسيرا . .

« على أن البعض استحثنى أن أسبرغور الأمر. ولمدى عام عكفت على دراسة كتب التاريخ التى وقعت تحت يدى عن كندا ، بحثاً عن معركة « استولى فيها شخص ما على البوابات » ، ولكن دون جدوى ، وأخيراً وبعد مرور عام فقدت فيه كل أمل فى الوقوف على دليل، وجهنى بائع كتب إلى مخطوط عتيق ومضحك يتشابه فيه رسم الحروف وتتشابك ، ولئن كان الكتاب عتيقاً وغريبا إلا أنه كان ممتعا وشيقا فى سرده لكثير من القصص . وقد استرعت إنتباهى قطعة حجبت عن ذهنى سائر ما عداها إذ كانت سرداً موجزاً لاستيلاء فرقة من الجنود قليلة العدد على مدينة صغيرة مسورة ، وهى مأثرة ممتازة من نوع معين، ولكنها ليست بذات بال. ثم قفزت أمام عينى العبارة التالية : « وقد استولى على البوابات ملازم

ثان شاب مع فرقته قليلة العدد . وكان اسم هذا الشاب ليشوس فاره . ا . . (١)

حالة « باشنس وورث (٢) :

ولدت السيدة الريفية ج . هـ. كارن Mrs. J. H. Curren من أبوين انجليزيين فى « لينوى » عام ١٨٨٢ . ولم تغادر «كارن» الغرب الأوسط للولايات المتحدة طوال حياتها . وهى محدودة الثقافة . . وفى أحد أيام عام ١٩١٢ بدأت تتلقى عن طريق الوساطة الروحية رسائل عديدة من شخصيـــة تسمى نفسها « باشنس وورث (٣) Patience Worth » .

وباشنس هذه كانت تعيش فى « دورست » Dorset فى القرن السابع عشر ، وأملت على السيدة كارين عدداً من الكتب تم طبعها جميعاً ، منها :

« القصة الحزينة » The Sorry Tale : وهى رواية طويلة عن حياة السيد المسيح ، ومسرح أحداثها فى الأرض المقدسة ، حيث جاء الوصف والرسم

---

(١) عن كتاب « العودة إلى الحياة » المترجم عن كتاب « Reincarnation : Fact or Fallacy »

(٢) عن مقال بعنوان « Recalling Former Lives » نشـــر فى مجلة « Prediction » عدد يوليو ١٩٥٦ .

(٣) باشنس وورث : من الأرواح الراقية التى أصبح الحديث عن جمال فلسفاتها ومبادئها على ألسنة الناس فى كل مكان . ومن المفيد هنا أن نشير إلى أن « الموسوعة البريطانية» وهى معروفة بشديد تحفظها وبطريقتها المحايدة — أشارت إلى أعمال عالم سيكولوجى معروف ، هو « والترف . برنس» (١٨٦٣ — ١٩٣٤) . ومن هذه الأعمال أنه حقق وساطات كثيرة للإلهام . وبخاصة وساطة السيدة « كارين » وسيطة الروح باشنس . واشترك معه فى التحقيق « وليام صوط » أستاذ علم النفس بجامعة كورنيل . ومن أهم مؤلفات برنس كتاب « حالة باشنس وورث » .

القصة بتفصيلاتها ، ولونها المحلى[1] ، واللغة والعادات — بدقة متناهية وغير عادية .

« تلكا » Telka : وهى قصة إنجليزية مختصة بالقرون الوسطى دونت بنفس الأمانة وبنفس الأصالة التاريخية .

« توب تروبلود » Tope Trueblood : وهى قصة تؤرخ القرن التاسع عشر . ومجموعة كبيرة أخرى من الشعر .

وكانت اللغة المحلية لكل تلك الأعمال مختلفة بحكم الطبيعة عن الأصل الأنجلوسكسونى ، وليس بها أية كلمة من الكلمات التى يبعد أصلها عن القرن السابع عشر .

وجاء كل ذلك عن طريق الكتابة التلقائية بواسطة امرأة لم تغادر أمريكا فى حياتها قط . وليست على شىء من الثقافة . وإنما انتقلت إليها لغة « باشنس وورث » وثقافتها وحضارتها ووجهة نظرها العقلية .

ولقد قال بعض علماء الروحية إن هذه السيدة وسيطة روحية لباشنس .

وقال بعض آخر إن هذه السيدة قد حصلت على هذه المعرفة فى حياة سابقة . حياة كانت هى فيها باشنس وورث نفسها . .

* * *

وبعد . . فهل ثمة حكم نهائى يؤيد هذه النظرية أو ينفيها ؟ يقـول الأديب الإنجليزى كولن ويلسون فى كتابه الضخم « الشىء الخفى »[2] :

« من المؤكد أن هذه الأرواح تحل فى أجساد أناس كثيرين ، أو تعود إلى الحياة فى أجسام أخرى . ولكن الشىء النادر هو أن هذه الأرواح لا تحتفظ

---

(١) طابع فى الكتابة قائم على تصوير السمات والخصائص المميزة لإقليم من البلاد أو لأبناء ذلك الإقليم .

(٢) يعد هذا الكتاب من أحدث وأمتع ما كتب فى هذا الموضوع وقـد صدر حديثا فى ٧٠٠ صفحة .

بقوة ذاكرتها . كما أن بعض الأرواح لها حرية الاختيار فى أن تحل فى جسم معين . . ومن الملاحظ أيضاً أن كل الأرواح التى تحتفظ بذاكرتها تكون قد ماتت فى ظروف عنيفة . كما أن من المؤكد علمياً أنه فى الإمكان أن تسكن روحان أو أكثر فى جسم واحد . وأن عبارات كثيرة للعالم النفسى الشهير ماكدوجال تدل على أن بعض الأمراض سببها تزاحم الأرواح أو تصارعها فى الجسم الواحد ، ولأسباب لا نعرفها الآن بوضوح »[1] . .

ويقول العالم توماس هكسلى : « لن يرفض نظرية العودة للتجسد سوى المفكرين المتعجلين ، على أساس ظاهر سخفها » .

ولنذكر فى هذا المجال أن العالم الأمريكى « سيمون نيوكومب » ، أثبت أن الطيران مستحيل ! . . وأن البروفيسور أرازموس ولسون هزأ من الكهرباء على أنها خدعة ، ومع ذلك فقد طارت الطائرة ، وأضاءت الكهرباء . .

---

(١) عن كتاب « أيها الإنسان أنت معجزة » للأستاذ أنيس منصور .

حالة « إيريس » و « لوسيا »

نظراً إلى الإهتمام الشديد الذى قوبل به كتاب « الأرواح المشاغبة فى منزل أبروشية بورلى »[1] The Haunting of Borley Rectory ، وجدت نفسى فى شوق عظيم لقراءة كتاب الدكتور « بول تابورى » Paul Tabori عن « هارى برايس[2] : سيرة الباحث عن الأرواح Harry Price the Biography of a Ghost Hunter » ؛ وذكرنى هذا بكتاب آخر معد للقراءة ألفه الأستاذ « كورميليـاس تابورى » باسم « يومياتى عن القوى الخفية » .

وهكذا كانت الفائدة مضاعفة .

والأستاذ كورميليـاس تابورى والد الدكتور بول ، كان أديبا هنغـاريا ، واسع الاطلاع ، انصرف إلى التأليف والأدب كصناعة . وله أعمال عظيمة فى الأدب والصحـافة . وقد قام منذ بضع سنوات بإعداد دراسة عن الحوادث الخارقة ، فوق العادية Paranormal .

ولقد استوعبت مذكراته ومدوناته ستة مجلدات مخطوطة ، جمع فيهـا اليوميات التى ألفها وقام ابنه بترجمتها إلى الإنجليزية . ومات الأستاذ كورنيلياس فى عام ١٩٤٤ على أيدى النازيين .

---

(١) لقد واصل التحقيق فى ظاهرة المنازل المسكونة ثلاثة أعضـاء فى جمعية البحث الروحى هم : الدكتور إريك ج . دنجوال Eric G. Dingwall ، ومسز كاثلين م . جولدنى Mrs Kathleen Goldney ، والأستاذ تريفور هـ . هال Mr. Trevor H. Hall ، وبسطوا نتائج بحثهم على نحو منظم فى هذا الكتـاب الذى نشرته دار Duckworth .

(٢) الدكتور هارى برايس الأستـاذ بجـامعة أكسفورد ورئيس « جمعية البحث الروحى » والسكرتير الفخرى لجامعة لندن ولمجلس التحقيق الروحى بها . واهتم بالتحقيق فى ظاهرة الشغب المجهول المصدر اهتماماً خاصاً ، وله مؤلفـات عديدة فى العلم الروحى بالإضافة إلى عدد آخر من المؤلفات عن المنازل المسكونة

وقد سجل كاتب اليوميات بعض حالات عجيبة ربما يكون أكثرهـا روعة تلك الحالة التى أفرد لها الدكتور بول فصلا خاصاً بها تحت عنوان « تغيير الهيئة » transmigration ، نلخصها فيما يلى :

كانت إيريس فارزادى Iris Farczady فتاة فى السابعة عشرة من عمرها ، وتقيم مع أسرتها متوسطة الحال فى إحدى ضواحى بودابست . وعند وقوع الحادث المذهل كانت قد أتمت تعليمها الابتدائى فى مدرسة راقية . وكانت — كما شهد بذلك كل من عرفها — طالبة فى منتهى الذكاء ومجتهدة للغاية ، وذات نبوغ مفرط ، ولكن صحتها لم تكن جيدة ، وكانت دائمة الحزن ، منقبضة النفس، سوداوية المزاج .

وفى شهر أغسطس سنة ١٩٣٣ إنتابها مرض شديد ، جعلها طريحة الفراش، وجلست أمها بجوارها لا تفارقها . . وفجأة تنهدت الفتاة تنهيدة طويلة ، خفق لها قلب الأم ، وطار لبها .

قالت لكاتب اليوميات : « شعرت بأن ابنتى ماتت » — ومع ذلك فقد تبين من الفحص أن تنفسها مازال مستمراً .

ولكن الأم فى صباح اليوم التالى عرفت ، حسب تعبير كاتب اليوميات ، « أن ابنتها ماتت فى أثناء الليل » .

« لقد ماتت إيريس ، ولكن جسدها (الحى) ظل باقيا معنا ، أما الروح فقد اختفت » .

ما معنى هذا ؟

معنى هذا ، حسب التقرير ، أن إيريس منذ لحظة يقظتها لم تكن إيريس إطلاقا . فقد كانت تصرفاتها منذ ذلك الحين مختلفة تماما وكان سلوكها ينطوى على الاحترام ، كما لو كانت غريبة عنا أو أجنبية — لم تعد تفهم حتى لغتها القومية ، المجارية ، إنها تتكلم اللغة الأسبانية بطلاقة . وبهذه اللغة أعلنت وهى تصرخ

وتقشع أن اسمها « لوسيا » Lusia ، وأنها زوجة لرجل يدعى « بدرو سالفيو » Pedro Salvio ، وهو عامل بالبلدية في مدينة مدريد ، ولها منه عدة أطفال . وأنها أيضاً كانت تعمل قبل زواجها خادمة بالمنازل نهاراً دون أن تبيت فيها .

وأكدت أنها توفيت في ذلك الشهر (أغسطس ١٩٣٣) في سن الأربعين .

ويمكن أن نتصور مشاعر أفراد أسرة فارزادى وأحاسيسهم في هذه اللحظة .. تحدثوا مع « لوسيا » وأخذوا يجادلونها ويحاولون إقناعها (كيما يتوصلوا إلى تبادل الحديث معها باللغة الألمانية) بدون جدوى ؛ وظلت « إيريس » (سابقا) مقتنعة بأنها إمرأة أسبانية .

ورضخ أهلها بعد ذلك للأمر الواقع ، وروضوا أنفسهم عليه ، واضطروا إلى الإذعان إلى هذا التحول المذهل والتغير الصارخ في المظهر والصفة والظروف.

وعندما استدعى الأستاذ كورنيلياس إلى المنزل وجدهم — كأناس مسئولين، وعقلاء، ولايبدو عليهم أية آثار باثولوجية كما كان ينتظر — هادئين ،ورصينين ، وعندهم الاستعداد للتشاور في هذا الموضوع .

عندئذ أخذوا في تهدئة « لوسيا » وطمأنتها وراحوا يؤكدون لها ما سينالها من الخير والفائدة في « حياتها الجديدة » كفتاة صغيرة جذابة ، وفاتنة .

وهنا راحت تجول وتدور في أنحاء البيت وهي تغني أغنيات شعبية أسبانية، « وترقص رقصات عاطفية » .

إنها لم تعد الفتاة الرزينة ، المولعة بالدراسة ، والميالة إلى التفكير والتأمل والتي كان ينتظر لها مستقبل مرموق .. لقد تغيرت تماما وأصبحت الآن فتاة مرحة ، مبتهجة ، منشرحة الصدر ، راضية عن عملها الروتيني اليومي في المنزل ، سعيدة باستيقاظها في ساعة مبكرة — بخلاف ماكانت عليه قبل أيام مرضها — كيما تنجز عمل البيت .

ولما عرضت على مدرس متخصص في اللغة الأسبانية ، قرر أن « لوسيا » تتكلم باللهجة المحلية الصحيحة لأهل « مدريد » .

وقالت إنها مسيحية كاثوليكية ، وتعرف كل كنيسة فى مدريد ، مع أن المعلومات التى جمعت ظهر منها أن أحداً من العائلة لم يذهب قط إلى مدريد وليست لأحد منهم أية صلة أو علاقة بواحد من هناك .

وظلت « ريريس » الهنغارية مصرة على ادعاء أنها « لوسيا » الأسبانية .

فكيف يمكن للإنسان أن يعلل مثل هذه القصة ؟ وما الذى يمكن أن يبديه إزاءهـا ؟

هناك ، أولا ، الظاهرة المعروفة بالفصام أو انشطار الشخصية (١) schizophrenia ، ومن أعراضه الرئيسية فى كثير من الحالات ظهور شخصيتين (أو أكثر) منفصلتين ومتميزتين تعيش إحداهما جنبا إلى جنب مع الأخرى فى فرد واحد ـ وغالبا ما يصطدم النموذج الأدنى بالنموذج الأعلى .

وبعض علماء النفس ـ المتزمتين أو المتمسكين بالحرفية على الأقل ـ لايسلمون بأن فى هذه الحالات فردين مستقلين . فهم يقولون إن كل فرد منا عنده ، إذا جاز التعبير ، طبقات من الشخصية ناشئة عن طريق الوراثة ، وأن الرجل أو المرأة العادية تنجح فى أن يكون هناك توافق وانسجام واندماج بين تلك الطبقات ، وأن يكون فيما بينها عمل مقترح كاف من حيث القوة لإحداث النتائج

---

(١) يتميز الفصام بتفكك عام فى الوظائف النفسية والعقلية . ويظهر دائما فى سن المراهقة . وأعراضه النكوص والتجول الذهنى فى عالم الخيال والوهم وعدم الاتساق بين المزاج والفكر واعتقادات باطلة والقدرة الخارقة .

ومن أشكال الفصام : الفصام البسيط ، وعرضه الرئيسى الفرار من الواقع ؛ والفصام الكتاتونى ، وأعراضه الرئيسية الجمود والصمت والمقاومة السلبية أو الإيجابية والقابلية الزائدة للإيحاء فى محاكاة الأصوات والحركات والتزام أوضاع الجسم الثابتة مدة طويلة بدون الأحساس بالتعب وعندما تحل مظاهر النشاط محل الجمود والصمت يقوم المريض بحركات نمطية فعلا وقولا وكتابة .

المرجوة . فى حين أن القضام ليس فى إمكانه ، لبعض الأسباب ، أن يفعل ذلك..
إن طبقتيه الأكثر وضوحا وصراحة تنبثقان وتظهران للعيان لتكونا شخصيتين متميزتـين .

ولا يمكن أن يكون هناك أى شك بشأن تصحيح هذا التحليل فى أمثلة كثيرة

فهل هذا هو التفسير لحالة إيريس ولوسيا ؟

إن الإنسان يمكنه أن يلاحظ أن « إيريس » المولعة بالدراسة كانت فتـاة كئيبة، حزينة ، ومنطوية على نفسها. فهل كانت تكبت فى نفسها، منـذ سنى عمرها المبكرة ، نفوراً كامناً من طريقة الحياة التى اختارتها لها أسرتها ، وهل كانت تخفى فى أعماقها رغبة شديدة فى أن تكون مبتهجة ، خالية من الهم ، لا تتحمل المسئولية نسبياً ، أى أن تكون فرداً يمكن أن يفضل بالفعل عمل البيت عن العمل الذهنى ؟

هل كان ثمة مثل هذا الصراع الداخلى ، وهل وصل هذا الصراع إلى ذروته عند قمة مرضها، فأدى إلى هذا التغير التام ليؤكد فى اللحظة الحاسمة أن « طبقة خادمة المنازل » كسبت المباراة ؟

إن جميع المخلوقات البشرية تتوق إلى أن تكون سعيدة . وكانت « لوسيا » الخالية النشيطة والقوية فيزيقيا - بلا أدنى شك - أسعد بكثير من « إيريس » العليلة ، دائمة التوجع .

قد يكون ذلك كذلك .. ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فإنه لا يمكن أن يفسر سر المعلومات المفصلة الظاهرية عن حياة وظروف الفتاة الأسبانية التى من المفروض أنها توفيت .

فماذا يقول علماء النفس فى هذا الصدد ؟

إنهم يقولون إن هذه الحالة هى نفس الحالة عند بعض الأشخاص التلقائيين ، الذين لديهم موهبة الكتابة التلقائية .

ويقولون إن إيريس ، فى مكان ما ، وفى زمان ما ، وفى حياتها ، وبالوسيلة العادية عن طريق القراءة والمحادثة ربما تكون قد اكتسبت تلك الحقائق والمعلومات عن الحالات والأوضاع الاجتماعية وشئون الحياة فى مدينة مدريد بصفة عامة ، وعن السيدة لوسيا على وجه الخصوص .

وربما تكون كذلك أيضاً فى مكان ما ، وفى وقت ما ، قد سمعت من يتحدث باللغة الأسبانية فاختزنت ذاكرتها معرفتها هذه اللغة . وساعدها ذلك على التحدث بها عندما حدث التحول إلى « لوسيا » .

وهذه النظرية ، التى يمكن أن تبدو للقارىء خيالية أو بعيدة الاحتمال ، ربما تكون نظرية محتملة وجائزة . ذلك لأنه كانت هناك حالات موثوق بها ومشهود بصحتها ، كان فيها الأشخاص فى حالة صحية غير عادية (ربما فى خلال حمى شديدة)، ووسطاء فى حالة غيبوبة تامة ، يتكلمون بطلاقة لغات أجنبية ليست لهم أية معرفة عادية بها .

ولقد ثبت بالدليل فى بعض تلك الأمثلة ، أن الشخص موضوع الدراسة، كانت عنده فى فترة سابقة ، فرصة لأن يسمع مصادفة أو اتفاقا تلك اللغة التى يتحدث بها . وأدت الذاكرة وظيفتها عندما كانت الذات العادية للمريض (أو حساسيته) معطلة أو معلقة مؤقتاً .

وإذا نحن رفضنا هذه النظرية فيما يتعلق بإيريس ، فسيكون أمامنا بديلان محتملان يمكن التخيير بينهما :

أولهما ، « تغير الهيئة transmigration » ، وهو التعبير الذى أطلق على الحالة التى جاء ذكرها فى هذا الكتاب.

وبمقتضى هذا فإن إيريس لا تحتاج بالضرورة إلى أن تموت فى تلك الليلة من أغسطس . ويمكن أن تكون الذات الخاصة بها ـ من خلال المرض ، قد ارتحلت من كائنها الحى وأمكن لروح الشخص المتوفى (لوسيا) أن تجد فيها مثوى لها .

وعلى هذه النظرية ، إذا كانت روح إريس قد حلت محلهـا روح أخرى مؤقتا ، فإنها ربما تعود فى يوم من الأيام وتطرد روح لوسيا المغتصبة .

وهذه الحالة يمكن مطابقتها ببعض حالات من الأمراض الجسدية والعصبية المستعصية التى قد تعزى إلى المس الروحى obsession المعروف لدى الروحيين .

أما النظرية الأخرى فتنتمى إلى العودة للتجسد .

ويقول المؤيدون للعودة للتجسد إن الذكاء المركزى عند الفرد إنما هو الذات التى تظل حية بعد وفاة الشخص .

ويقولون إن هذه الذات الحقيقية تمضى بصورة طبيعية بعد الموت فترة من الوقت معينة ، كما لو تكون ، فى غرفة انتظار (فى الواقع حالة كائن لا مكان) حيث يعود الفرد إلى الحياة ويعيد باختصار التجارب التى مر خلالها . وعندما يتم هذا المسح وهذا الاستيعاب يكون الفرد عندئذ مهيأ لحياة أرضية، عن طريق عملية قانون طبيعى ، انجذاب تجاه شخصين ، ذكر وانثى ، يوشكان أن يكونا والدين .

وفترة غرفة الانتظار يمكن أن تكون واحدة من الفترات المهمة التى تستحق الاعتبار ، فهى تنتهى عندما تكون تجارب الحيوات السابقة مهضومة ومفهومة .

وإذا كانت البيانات والحقائق التى أعلنتها « لوسيا » بخصوص حياة مدريد السابقة قد ثبت صحتها ، فيبدو أن هذا كان مطابقا لأى نظرية من النظريات سالفة الذكر ـ نظرية الشيزوفرانيا ، أو نظرية اللغة المخبوءة فى الذاكرة ، أو نظرية الاستبدال المؤقت displacement (أو الإزاحة) ، أو نظرية تغير الهيئة أو نظرية العودة للتجسد .

النكوص بالذاكرة

عن طريق التنويم المغناطيسي

من الأدلة المعززة لقضية العودة للتجسد والمستمدة من المعرفة المباشرة لحيوات المرء الماضية ، بعض حالات أخضعت للتحقيق العلمي . وقد بدأ هذه التجارب منذ مطلع القرن الحالي الكونت كولونيل ألبير دى روشا Albert De Rochas (١٨٣٧ — ١٩١٤) ، مدير المدرسة الفنية العسكرية بباريس وشرحها في مؤلفاته المعروفة [١] . وأورد أدلة قوية في كتابه «الحيوات المتعاقبة» Le Vies Successives ، حيث وصف اختباراته مع أشخاص ذوى حساسية وضعوا في حالة غيبوبة بالتنويم المغنطيسي . وأفلح المنومنون على عملية ارتداد الذاكرة ، في الرجوع بهم إلى الماضي السحيق ، إلى حيث تجسداتهم السابقة. وحصلوا بهذه الوسيلة على تفصيلات تاريخية تأيد صدقها بالمراجعة .

وفي أحد التجارب ، وقع الاختيار على فتاة صغيرة السن غير مثقفة تقريبا. ولا تعرف من التاريخ سوى النذر اليسير ، وحينما أرجعت إلى حياتها السابقة وصفت بإطناب حوادث لا يلم بها سوى القليلين ، من بينها العادات العتيقة التي تجهلها هي تماما في تجسدها الحالي [٢] .

ومن تجارب الكولونيل دى روشا أيضا نقدم المثال الآتي [٣] الذى أورده

---

(١) مؤلفاته : « القوى غير المحددة » (١٨٨٧) ، « سيال المغناطيسيين » (١٨٩١) ، « الحالات العميقة للمغنطيسية » (١٨٩٢) ، « بروز القوة المحركة » (١٨٩٦) ، « الحالات السطحية للمغنطيسية » (١٨٩٨) ، « الانبعاثات الشاذة والتعاويذ وحدود العلم » (١٩٠٢) ، « الحيوات المتتابعة » (١٩١١) ، « تعليق الحياة » (١٩١٣)

(٢) عن كتاب « العودة إلى الحياة » ص ٣٢

(٣) عن «معطول الإنسان روح لا جسد » الجزء الثاني ص ٢٦٣ / ٢٦٦

فى مؤلفه « الحيوات المتعاقبة » ، فقد روى أن السيدة (ج) البالغة من العمر ٣٩ عاما نومت تنويما مغناطيسيا ، ونجح فى إرجاع عقلها إلى ثالث وجود لها عندما كانت فى مـــدينة بريانسون سنة ١٧٤٨ ، وقالت إنهـا فى حياتهـا الرابعة كانت جنديا مات بطعنة من حربة .

س : وفى أى مكان أصبت بجرحك القاتل ؟

ج : فى ماريفيان **Marignan** سنة ١٥١٥

س : وفى أي جانب كنت تحارب ؟

ج : مع الفرنسيين ، وتحت إمرة فرانسيس

س : أى فرانسيس ؟

ج : فرانسيس ملك فرنسا

س : وما اسمك ؟

ج : ميشيل بيرى **Michel Berry**

س : ومن ذا تحارب ؟

ج : أولئك السويسريين الخنازير

ثم استجوبها عن حياتها السادسة فكانت الإجابات كالآتى :

س : أين أنت الآن ؟

ج : فى سنة ١٣٠٢ ، وأنا الآن شاب مدرس أبلغ من العمر ١٨ عاما وأقيم مع أسرة الكونتس جين

س : وما اسم ملككم ؟

ج : لست متأكداً منه ، وأعتقد أنه الملك فيليب الطيب **Phillippe Le Bon**

ثم استجوبها عن حياتها السابقة فكانت الإجابات كالآتى : أنا فى سنة ١٠١٠ ميلادية ، وعمرى ٨٧ سنة ، وأعمل رئيسة فى دير ، وأعتقد أن نهاية العالم قد اقتربت

س : هل تستطيعين أن تخبريني عن اسم الملك ؟

ج : إنه روبرت الثانى .

س : وحينما كنت فى السبعين من عمرك من كان الملك ؟

ج : كابت Cabet

س : وفى الستين ؟

ج : لويس الرابع

س : وفى سن ٣٦ ؟

ج : لويس الرابع ، ويقولون إنه رجل ليس جميل المنظر ، فهو سمين متورم ولم أره قط

س : وحينما كنت فى سن ٢٤ فماذا كانت السنة ؟

ج : ٩٤٧ ميلادية

س : ومن كان الملك ؟

ج : لويس الرابع

س : وحينما كنت فى سن الخامسة عشرة ؟

ج : هو نفسه لويس الرابع

ثم سأل السيدة المنومة عن حياتها الثامنة فأجابت بالآتى :

س : من أنت الآن ؟

ج : قائد الفرنجة Franks ، وقد أسرنى أتيلافىشالون سيرمارن ، وهناك أحرقوا عينى .

س : فى أية سنة ؟

ج : سنة ٤٤٩

س : هل تعتقد فى الله ؟

ج : فوقنا من نسميه ثيوس Thors

س : وكيف تعبدونه ؟

ج : نضحى له بالرجال فنحرقهم أحياء .

وعن الحياة التاسعة أجابت المنومة مغنطيسياً بما يلى :

س : من أنت الآن ؟

ج : أنا أحد حراس الامبراطور بروبوس Probus .

س : وأين كان هذا ؟

ج : فى روميولوس (روما) سنة ٢٧٩ بعد الميلاد .

س : وماذا كنت تصنع فى سن الخامسة والعشرين ؟

ج : كنت أقيم فى تورينو مع زوجتى .

وعن الحياة العاشرة كانت الإجابات كالآتى :

س : ما أسمك ؟

ج : إريسيه Erisé .

ولما سئلت عن البلد التى فيها ذكرت الاسم ، ولكنها لما سئلت عن التاريخ قالت إنها لا تعرفه ولكن الآلهة تعرف .

والمدهش فى هذا كله أنه لا السائل ولا المسئول كانا يعرفان شيئاً عن هذه التواريخ ، ولكن لما روجعت كتب التاريخ الخاصة بهذه الأزمنة كانت التواريخ كالآتى :

فرانسيس الأول : ١٥١٥ — ١٩٤٧
فيليب الطيب : ١٤٧٨ — ١٥٠٦
روبرت الثانى : ٩٩٦ — ١٠٣١
لويس الرابع : ٩٣٦ — ٩٥٤
أتيلا : ٤٣٤ — ٤٥٣

وبمقارنة هذه التواريخ بتلك التى ذكرتها السيدة ، وهى واقعة فى التنويم

المغنطيسى ، اتضح أنها تكاد تكون متطابقة ماعدا حالة أو اثنتين فى حياتها السادسة والسابعة فإن التواريخ تختلف عن الواقع بضع سنين فقط .

وهكذا يسرد دى روشا حالات أخرى من هذا القبيل ، وقد واصل غيره نفس التجارب فى عدة بلاد فحصلوا على نتائج متشابهة نسردها فيما يلى :

حالة « مورى برنشتين » [1] :

قال لها المنوم المغنطيسى :

ـــ أنت ترتدين إلى الماضى . . عمرك الآن ثلاث سنوات . . سنتان . . سنة واحدة . . أنت الآن قد ولدت لتوك . . ولكنك مع ذلك تمضين إلى الوراء . . إلى غياهب الزمن والفضاء . . سترين فى ذاكرتك رؤى سحيقة . . ماذا ترين ؟ . . ما اسمك ؟ . .

وتحركت شفتا السيدة التى راحت فى غيبوبة مغنطيسية عميقة لتقول بصوت خافت :

ـــ اسمى « بريدى مورفى » Bridey Murphy . . لقد سمونى على اسم جدتى « بريدجت » .

ـــ فى أى عام تعيشين الآن؟

ـــ فى عام ألف وثمانمائة و . . فى عام ١٨٠٦ ، وعمرى الآن ٨ سنوات .

ـــ فى أى بلد تعيشين ؟

ـــ فى بلدة « كورك » . .

ـــ أين هى ؟

ـــ فى أيرلنده .

ولم تكن السيدة التى قالت هذا الكلام ، وهى تحت تأثير النوم المغنطيسى

---

(١) عن مجلة « ميكانكس الستريتد » ١٩٥٥ ومجلة « بريديكشن » عدد يوليو ١٩٥٦ .

العميق ، سوى سيدة أمريكية ربة بيت تدعى « مسز فرجينيـــا تاى » Virginia Tighe ، من مواليد نبراسكا ، ولم تر فى حياتها أيرلنده قط . ومع ذلك فقد أقرت فى تلك الجلسة المغنطيسية التى عقدت لها فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٥٢ ، بأنها عاشت فى هذه الدنيا من قبل متنقلة بين مدينتى بلفاست وكاونتى كورك فى أيرلنده فيما بين عامى ١٧٩٨ و ١٨٦٤ .

وقد أثارت هذه التجربة اهتماما كبيراً فى أمريكا ، حتى لقد وضع عنها كتاب بعنوان « البحث عن برايدى مورفى » .. طبع فى أمريكا عام ١٩٥٥ ونال شهرة عالمية لم ينلها كتاب آخر ، وبيع منه أكثر من مليون نسخة فى زمن وجـــيز . ونشر مسلسلا فى أكثر من ٤٠ جريدة . وكان موضوع فيلم من الأفلام السينمائية لقى نجاحاً كبيراً .

أما الذى أجرى هذه التجربة فهو « مورى بيرنشتاين » Morey Bernstein مؤلف الكتاب ، وهو رجل من الأثرياء علم نفسه التنويم المغنطيسى وبرع فيه لدرجة كبيرة (١) .

ولقد قام بهذه التجربة أكثر من خمس مرات وسجل أقوال السيدة فى كل مرة على جهاز تسجيل فجاءت كل منها مطابقة للأخرى تماما .. فـــلم يختلف أى معنى من معانيها أو أى تاريخ من التواريخ أو الأسماء التى تضمنتها ..

وروت السيدة « فرجينيا تاى » تفاصيل حياتها السابقة ... أو تفاصيل حياة السيدة التى كانت روحها تجسدها ـ بدقة وأمكنها أن تتذكر المدرسة التى تعلمت فيها .. والعملات التى كانت متداولة فى أيرلنده وقتذاك . كما ذكرت أسماء بعض من كانت تعرفهم فى ذلك الوقت وأسماء شوارع المدينتين .. وأسمـــاء المحلات التجارية الكبيرة فى بلفاست . وروت الكثير عن حوادث وقعت هناك . ولم تختلف أقوالها أبداً فى أى من المرات التى أجريت فيها التجارب عليها .

---

(١) للمؤلف كتاب آخر بعنوان « كانوا هناك وأصبحوا هنا » صدر فى سنة ١٩٥٦ .

كما ذكرت أنها كانت زوجة لأحد المحامين فى المحاكم العليا ، اسمــه « بريان ماك كارثى » وكان عضوا فى هيئة أساتذة كلية الملـكة فى بلفاست Queen's College . ورسمت خريطة بيذت عليها بدوائر صغيرة موقع بيتها فى شارع مرصوف بالحصى . وكانت هى وزوجها المحامى مداومين على الصلاة فى كنيسة سنت تيريزا .

وبالبحث تبين أن ثمة سيدة باسم « برايدى مورفى ماك آرثر » عاشت بالفعل فى نفس المكان والزمان اللذين ذكرتهما فرجينيا ومرت بنفس الأحـــداث والظروف التى جاء ذكرها فى أقوالها . . وكان كل ماذكرته عن ظروف الحياة فى المدينتين الأيرلنديتين صحيحا مائة فى المائة .ولا يمكن لأحد أن يتخيله إلا إذا عاش فيه بالفعل !

وفرجينيا فى الثانية والثلاثين من عمرها . . أم لثلاثة أطفـــال أكبرهم فى الثالثة عشرة من عمره . وهى أمريكية ـ كما قلنا ـ ولم تغـــادر الولايات المتحدة أبداً . . وتتكلم الإنجليزية بلهجة أمريكية ، ولكنها حين تخضع للتجربة وتتحدث عن نفسها بوصفها « برايدى » تتكلم الانجليزية بلهجةأيرلندية سليمة كما هى مألوفة فى تلك البقعة من المدينة ..حتى صوتها يختلف تماماعن صوتها وهى«فرجينيا» .. وإذا صحت من النوم المغنطيسى عادت إلى طبيعتها ونسيت كل شىء قالته .

إن « مورى » يؤكد أن الأبحاث التى يجريهـــا علماء النفس ستؤكد نظرية « العودة للتجسد » إن عاجلا أو آجلا .. وأنه كان ـ إلى ما قبل إجراء التجارب على فرجينيا ـ ملحداً لا يؤمن بشىء . أما بعد هـــذه التجارب فقد آمن بالله وبالحياة الآخرة .

ويتساءل الناس الذين وقفوا على قصة « برايدى مورفى » : أتراهـا جلت شيئا من غوامض الحياة قبل الميلاد وبعد الموت ؟ هل عاشت مسز فرجينيا تاى أو عاشت روحها فى القرن التاسع عشر فى إحدى مدن أيرلنده ؟

إن بعض علماء النفس يقولون إن ما تفوهت به هذه السيدة قد يكون مختزنا فى ذاكرتها مما قرأته أو سمعته عن أيرلنده فى طفولتها الأولى ،وقد يكون موحى

به من المنوم المغنطيسي نفسه الذى يسيطر فى هذه الحالة سيطرة تامة على الشخص الواقع تحت تأثيره ، فيقرأ النائم أفكاره..وأن معظم التذكرات التى استخلصت تحت تأثير هذه العملية المغنطيسية تعرف باسم « النكوص » وهو ارتداد العقل تحت سلطة المنوم ، إلى الخلف عبر الزمن .

ويعتقد آخرون أن ما يسمى ببينة الحيوات السابقة التى يتم استخلاصها تحت تأثير غيبوبة مغنطيسيه عميقة إنما هى ما اصطلح على تسميته بالشخصية الثانوية .. ويمكن أن يكون هذا ، فى الغالب ،عملا عدوانيا للشخصية العادية، أو لمظهر من مظاهرها . .

ولحماية الشخصية الثانوية أو المنعزلة ، تعمل الذات العادية على إنكار كل معرفة عن الوجود السابق ، الذى ينبثق تحت تأثير التنويم فحسب،عندما يغوص العقل الواعى فى أعماق الأعماق . .

على أن المعروف عن المنوم روبنشتين،والسيدة فرجينيا أنهما فوق الشبهات، وأنه لامصلحة لأحدهما فى تزييف الواقع ، وهما واثقان أنهما وقعا على إحدى الظواهر التى تؤيد نظرية « العودة للتجسد » .

° ° °

ولعل من أشهر الأمثلة المشابهة ، حادث الطبيب الأمريكى إدجار كايس ، أستاذ الفيزياء النووية الذى ولد فى بلدة هوبكنز فيل بولاية كنتوكى الأمريكية عام ١٨٧٧ ـ فقد اشتهر بقدرته الخارقة على تشخيص العلل البدنية ، ومن ثم استطاع أن يشفى ٩٠ ٪ من الحالات المرضية التى عرضت عليه ومجموعها ٣٠,٠٠٠ حالة . ثم اشتهر ، بعد ذلك ، بقدرته لا على مجرد الغوص فى أحشاء إنسان، بل وعلى الغوص فى أعماق ذاكرته حتى يصل إلى ذكريات حيواته السابقة.

وقد قال لأحد هؤلاء الذين ارتاد أعمق ذكرياتهم إنه كان ضابطا فى الحرب الأهلية الأمريكية ، وذكر له اسمه ، ورتبته العسكرية ، والمواقع الحربية التى خاضها . .وقد فتش الرجل ، بعد ذلك ،فى سجلات الحرب الأهلية فاتضح له أنه كان هنالك فعلا ضابطا بهذا الاسم وبهذه الرتبة . .

تجارب الدكتور أرنولد بلوكسام (١) :



الدكتور أرنولد بلوكسام

والدكتور أرنولد بلوكسام دكتور فى العلوم النفسية ، اتخذ العلاج بالتنويم مهنة له . وقد استطاع خلال ربع القرن الماضى أن يشفى بشهادة الأطباء الذين كانوا يلجأون إليه كثيراً ، مجموعة كبيرة من الأمراض والعلل مستخدماً فى ذلك أساليب سرية يقول إنه تعلمها فى الشرق . ومنذ عام ١٩٥٦ بدأ إيمانه « بالعودة للتجسد » يتأكد بتنويمه للمرضى وإعادتهم إلى أكثر من حياة سابقة لهم ثم تسجيل الهام من أقوالهم على أشرطة .

وقد استطاع بمساعدة زوجته « دولشى » التى توفيت فى ديسمبر عام ١٩٧٠ أن يكون مكتبة صوتية غريبة يحتار أمامها العقل ، فى صورة حوار مع الماضى مدته مائتا ساعة . كما أسديا خدمة ضخمة للتاريخ بتسجيل الحقائق التاريخية والجغرافية كما كانت عليه أصلا. ولكل شريط الآن ملف خاص به يتضمن دراسة دقيقة للأدلة العلمية التى تؤكده. ومعظم الأشرطة تتعدى بالطبع الوقائع التاريخية الشائعة وتزودها بإضافات فريدة .

ومن نسيج هذه الوقائع ومن تجاربه مع المرضى نفسانيا ، خرج بلوكسام بفلسفة شخصية تختلف كثيرا عن النظرية الهندية فى العودة للتجسد وتقترب من عقيدة شكسبير فى القدرة البشرية وتحقق الذات . وهو قادر على إستخدام هذه

---

(١) عن مجلة « الأهداف » العدد ٢١٣ السنة ٢٥ عن جريدة الصنداى تايمز

المعتقدات فى عمله الطبى ، فهو يرى أن تشخيص مرض عصبى ما يمكن أن يصبح أدق كثيراً عند الرجوع إلى خصائص المريض الشخصية فى أعماره السابقة .

وهو يرى أن خصائص المرء التى اكتسبها فى أعماره السابقة تظل معه فى حيواته التالية لكن بعض المواهب قد تصير ثانوية . فادوارد هيث زعيم حزب المحافظين لابد أنه كان موسيقيا فى حياة سابقة ، والأمير فيليب ولى العهد كان رياضيا .

كما أن تفاعل الحيوات السابقة قد يجعل المرء فى انحدار مستمر . هتلر مثلا لابد أنه كان نتاج حيوات شريرة كثيرة . والحق أن مواهب كثيرة تكمن فينا جميعاً ، ولكن نادراً مايوجد شخص يستطيع استثمارها جميعا .

وهكذا فإن « بلوكسام » يأخذ بنظرية « الكارما » القائلة بأن قدر المرء يلاحقه حتى بعد وفاته . ولكنه يرى أن تفهم الإنسان لقدراته ومعرفته لإمكانياته كفيلة بأن تغير وجه العالم .

وهو يقول : « إن عيب معظم الناس أنهم لايتنفسون بالأسلوب الصحيح » . فهو يرى أن علينا التنفس من عضلات البطن (على طريقة اليوجا) بحيث تطرد الهواء الفاسد من رئاتنا مع كل زفير وإلا تراكمت السموم فى الجسم وتكاثرت العلل باختلافها . أى أنك إذا تنفست بمقدار النصف فأنت نصف حى ونصف ناجح » .

على أن التنفس العميق يدوم تأثيره طالما ركزت تفكيرك فيه . فإذا فكرت فى شىء آخر بقيت السموم فى الجسم .

ومنهج بلوكسام يقوم على تنويم المرء وتدريب عقله الباطن (اللاشعور) على التنفس السليم . والواقع أنه كثيرا ماشفى الناس باللجوء إلى « لاشعورهم » .

ولكن .. كيف اكتشف بلوكسام قدراته الخارقة ؟ . .

بدأت القصة فى طفولته حين كان يدهمه إحساس بأنه كان صيفيا من قبل ثم

مات وهو شاب ، وأنه كان حساساً للألوان والأصوات . وذات مرة جلس إلى البيانو وعزف لأبيه موسيقى صينية دون سابق خبرة بها .

ثم تراءت حيواته الأخرى فى منامه واحلامه على أنه لم يستطع التمييز بين أضغاث الأحلام والحقيقة فيها إلا بعد أن تدرب روحانيا فى الشرق كما يقول . وقد قال له اثنان من المعالجين الروحيين إنه عاش متصوفا فى عهد الملك شوباد قبل ٤٠٠ سنة ، وأن المتصوفين الروحيين وحدهم هم الذين يولدون من جديد بإيمان فطرى بـ « العودة للتجسد » .

وقد تراءى له ماضيه بطرق غريبة . فنى صباه كان يصنع من الورق دمى لوجوه شخصيات تاريخية مختلفة دون سابق معرفة بهذا الفن أو بهذه الشخصيات. وبعد بضع سنوات اكتشفت زوجته أنها مشابهة تماما للأصل .

أما خبرته التنويمية فقد بدأت بعد ذلك بسنوات كثيرة . ومنذ ذلك الحين راح يتولى أمر « النكوص » كجزء من العلاج وكغاية فى حد ذاتها معاً مؤمنا بأننا نعيش عادة ربع مليون مرة على الأقل !. .

ذهب إليه صحفى كبير يعمل فى جريدة الصانداى تايمز المشهورة واسمه انتونى هولدن . . وهو هنا يصف ما رآه عندما ارتد إلى حياته السابقة خلال تنويمه :

أنا صحفى معروف . . إسمى انتونى هولدن . . لكننى عندما رحت فى غيبوبة التنويم فى عيادة الدكتور بلوكسام ، اكتشفت أننى كنت قبل هذه الحياة شخصا آخر ، اسمه إدموند كين . وإدموند كين الذى كنته هو ممثل . كان يمثل دور ريتشارد الثالث على مسارح لندن فى أواخر القرن الثامن عشر . وكان الملك جورج الرابع يحضر حفلاته أو حفلاتى أنا بمعنى أصح . وكنت عادة أفرط فى الشراب وأعبد نفسى وأعامل النساء كأنهن حثالة .

وهناك . . أو فى هذه الحياة السابقة التى كنت فيها إدموند كين ، سمعت من

العاملين فى المسرح أن شكسبير الحقيقى كان رجلا ضئيلا قذراً يملأ الدهن شعره ويكرهه الممثلون لأنه لم يكن يتقدم أجرهم . كما كانت الملكة اليزابيث تصفه بأنه « خنوع ».

هذه الحقائق وغيرها عرفتها فى مدينة كارديف فى منزل الدكتور ارنولد بلوكسام الذى ناهز الخامسة والسبعين .

سألته مرة : « مادام عدد الناس الآن أكثر مما كانوا عليه فى الماضى ، فكيف يمكن أن نكون قد عشنا جميعا قبل ذلك ؟ »

فكان رده : « هناك فترة غير محددة بين كل حياة وأخرى . . فأحيانا يولد المرء من جديد بعد ساعات من وفاته ، وأحيانا بعد مائة عام . لهذا فإننا لا نعيش كلنا معاً فى وقت واحد . وبالمناسبة أنا لا أقبل الفكرة البوذية القائلة بأن الناس يمسخون إلى طيور أو قردة » .

سألته : « هل يتحدث المرء فى حياته السابقة بلغة عصره مهما كانت غريبة عليه ؟ » .

فرد بالإيجاب . .

وقد تطوعت شخصيا للتنويم لأعيش لحظات فصلا فى عالم إدمونـدكسين الخاص كما ذكرت لكم . .

ه ه ه

سيدة تكتشف منزلها السابق (١):

كانت السيدة رينود تعمل فى وقت ما مساعدة للدكتور درفيل فى باريس Dr . Durville of Paris . وقد استيقظ تذكرها لحياتها السابقة من تلقاء ذاته وفى إبان يقظتها ، وحينما محصت هذه الذكريات فيما بعد ، وجدت صادقة جملة وتفصيلا .

---

(١) عن « العودة إلى الحياة » ص ٣٢ / ٣٤ عن « العودة للتجسد » لجيوفرى هودسون ص ٣١ / ٣٣ .

فمنذ طفولتها المبكرة كانت تلازم السيدة رينود **Madame Raymond** رؤيا منزل عتيق ذى تصميم خاص ، يقع فى منتزه جميل وتظلله سماء الجنوب الصافية . وعلى شرفات ذلك المنزل كانت ترى نفسها ، تخطر جيئة وذهابا حزينة مكتئبة وفريسة لمرض متيم . وقد أكدت أنها ماتت هناك فى الخامسة والعشرين بداء السل الوبيل منذ مائة عام .

وفى سنة ١٩١٣ رحلت السيدة رينود إلى إيطاليا للمرة الأولى وحينما بلغت جنوا تعرفت فوراً على مكان تجسدها السابق . وحينذاك تطوع أصدقاء الدكتور درفيل الذين كانت تلك السيدة تقيم معهم لمعونتها فى البحث عن منزلها السابق . ولكنها هى التى كانت تتقدمهم فى أثناء تجوالهم فى المدينة . وفى النهاية أرشدتهم إلى المنزل الذى طالما تراءى لها فى أحلام يقظتها . وحينما بلغت منعطفا فى الطريق تكشف عن بوابة لمنزل ريفى عتيق هتفت قائلة : « هاهو ! هو ذا المنزل الذى عشت ومت فيه منذ مائة عام » .

وقال مضيفها : « وكيف ذلك . إن هذا هو قصر الأسرة س . . وهى معروفة جيداً فى جنوا . ثم أنه ليس من العسير التقصى عمن عاشوا هنا فى القرن الماضى » .

وفى مساء ذلك اليوم وعلى حين فجأة صاحت السيدة رينود ، التى يبدو أن مواهبها قد نشطت برؤية منزلها القديم قائلة : إننى لم أوسد الثرى كالآخرين بل نقلت رفاتى إلى كنيسة . . إننى واثقة من ذلك » .

ولم تسمح الظروف للسيدة رينود أن تطيل مقامها فى جنوا . . ولكن ما أن عادت إلى باريس حتى أجرى الدكتور درفيل أبحاثاً دقيقة بين أصدقائه الإيطاليين ووقف على النتيجة التالية : ففى سجلات كنيسة سان فرانسسكو دلبارو تحفظ محاضر وفيات الأبروشية التى يقع فيها قصر الأسرة س . . وفى غمار تلك السجلات دون القيد الآتى الذى بعث بنسخة منه إلى الدكتور درفيل وهو :

« ٢٣ أكتوبر سنة ١٨٠٩

« إن السيدة جوانا س Lady Goanna S . . أرملة دى بـ . . . De B كانت دائمة الشكوى من العلل فى أثناء السنوات القليلة الماضية وهى بمنزلها فى البارو ، وقد تفاقمت حالتها فى الأيام الأخيرة ، وقضت نحبها فى ٢١ الجارى بعد تناولها أسرار الكنيسة . واليوم مع تصريحنا الكتابى ، وترخيص العمدة الكتابى أيضا ، نقلت جثتها إلى كنيسة العذراء فوق الجبل ودفنت بها » . . ويلى ذلك التوقيعات المعتادة .

ويلاحظ أن شهادة الوفاة هذه تطابق قصة السيدة رينود فى ثلاث نقط هامه : التاريخ التقريبى للوفاة ، والمرض الطويل الأمد ثم الحادث غير العـــادى بدفن رفاتها فى كنيسة ، بدلا من مواراتها التراب فى مقبرة جنوا .

وقبل وصول هذه التفصيلات إلى علم الدكتور درفيل ، مما يمتنع معه احتمال التراسل الفكرى غير الواعى ، نوم الدكتور درفيل مغنطيسيـــا أحد ذوى الحساسية الشديدة ، بأمل الحصول على تفصيلات عن الحياة السابقة للسيدة رينود ، فوصف هذا مدينة جنوا فوراً واكتشف السيدة جوانا ، ونطق باسم اسرتها فى شىء من التردد وأكد أنها قد عادت الآن إلى الحيـــاة ، ثم هتفت بغتة : كيف ! . . أيكون هذا مستطاعاً ؟ إنها السيدة رينود .. لقد اندمجت إحداها فى الأخرى . إنها ذات الشخص الواحد !! »

° ° °

تجارب الدكتور « لاند » :

قرر البرفيسور رودلف فيرشوف Rudolf Virchov وهو أعظم باثولوجى [١] أوربا شهرة فى القرن التاسع عشر ، أنه « قطع وشرح » مئات الأجساد ، ومع ذلك لم يستطع أن يجد نفس شخص .

---

(١) الباثولوجى : الاخصائى فى علم الأمراض ، وبخاصة من يجرى الفحوص بعد الوفاة أو من يشخص التغيرات المرضية فى الأنسجة المتأصلة بالجراحة .

ولكن معاصره يوهان فولفجانج جوته Yohan Wolfgang Goethe ، الكاتب المسرحي والشاعر الذي شملت عبقريته العالمية ميادين أخرى وبخاصة ميدان العلم ، كان مقتنعاً بأن النفس لم تك « شيئا غير ذي حياة » ولكنها تتخلل الأجسام الملائمة لطبيعتها المتأصلة متنقلة من جسم إلى جسم آخر ، مدفوعة في الجسد بالقوة ، كما تكيف نفسها بدون اختيار .

وكان جوته مؤمنا إلى درجة كبيرة بعقيدة « العودة للتجسد » ، ولم يكتم إيمانه هذا ، بل كان يجاهر به ، ويناضل عنه ، حتى لقد كتب مرة إلى « شارلوت فون ستين » Charlotte Von Stein يقول لها : « إنني متأكد تماماً انك كنت أختي أو زوجتي في حياة سابقة »

إن جوته هو الذي أعطانا هذا التلخيص الملائم : « إن فكرة الموت تتركني ثابتا ، باقيا في مكاني ، في حين أني مقتنع بأن روحنا غير قابلة للتلف، وأنها شيء يرتقي على الدوام وإلى الأبد » .

وقد كتب علماء النفس والروح مطولات عن هذا الموضوع . ولاغرابة في ذلك..فهذه الومضات الخاطفة من الماضي المظلم بما يكتنفها من الأسرار والغموض تثير اهتمام أي إنسان تعرض له بصورة أو بأخرى . وقد كثرت التجارب عليها في مختلف المدارس النفسية والروحية .

ومن التجارب التي أجريت منذ وقت قريب تلك التي قام بها الدكتور « لاند » الأستاذ بجامعة أوبسالا Dr. Lund of Upsala University .وقد اكتسبت أهميتها من أن ذلك العالم السويدي جعل هذا الجانب من موضوع العودة للتجسد في المتناول ووضعه في مقدمة الموضوعات الهامة .

وعلى سبيل المثال فإن الدكتور لاند قد سجل بحضور شهود عدول حالة سيدة في الأربعين من عمرها ، بعد أن نومها تنويما مغنطيسيا . وأرجعها تحت هذا التأثير إلى طفولتها المبكرة . ومن ثم تصرفت السيدة تصرف طفلة صغيرة جداً تسلك سلوكا حسناً ..

إلى هنا والأمر عادى لا جديد فيه .. ولكن الدكتور لاند راح يستدرج هذه الطفلة إلى ما قبل الولادة . وبعد تأتأة وفأفأة وجيزة أخذت وضعها كجنين ثم استمر فى تجربته سائراً بها القهقرى حتى سألها : أين كنت قبـــل ولادتك بخمس سنين ؟

وهنا تغير صوت السيدة فجأة إلى نبرة ذكر فيها خشونة :

ــ الجو شديد الحرارة هنا !

ثم كان حوار نسجله فيما يلى :

ــ ما اسمك ؟

إيج كاريستروم Age Karlström

ــ ما مهنتك ؟

فأعلنت بصوت أجش فيه بحة :

ــ أنا فلاح فى مجولبى Mjölby

ــ هل عندك أولاد ؟

ــ نعم ، عندى ثلاثة .. (وذكر أسماءهم)

وبعد فحوص وتحقيقات عاجلة اتضح أن مزارعاً بهـذا الاسم كان يعيش فى تلك البلدة التى أشارت إليها ، وتوفى قبل ولادة هذه السيدة بأربعة شهور تاركا وراءه الأطفال الثلاثة الذين ذكرت أسماءهم فى أثناء الجلسة المغنطيسية .

وواصل الدكتور لاند بعد ذلك تجـاربه فى هذا الحقل على عدة وسطاء عن طريق التنويم المغنطيسى فى حالات مماثلة . وكانت النتيجة أن هـذه الاختبارات والتجارب كانت تروى بعد ذلك على أنها طريقة علمية (١) لها قيمتها .

---

(١) طريقة فى البحث عن المعرفة قوامها جمع المعلومات من طريق الملاحظة والتجريب وصوغ الفرضيات واختبارها .

والذين يشتغلون بالتنويم المغنطيسى يواجهون الكثير من هذه الأحداث والنوادر . فمن الممكن أن يطلب المنوم المغنطيسى إلى الشخص الذى نومه أن يعود إلى طفولته وأى يروى ماحدث فى ذلك الوقت .. ويفاجـــأ المنوم المغنطيسى بأن طفولة هذا الشخص النائم كانت فى القرن العاشر أو الحادى عشر أو كانت قبل ميلاد المسيح .. ثم إنه يروى أحداثا عجيبة وبلغات لا يعرفها الشخص إذا صحا من هذا النوم .

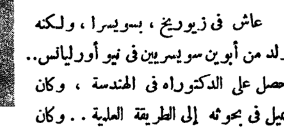
وهناك سجلات لحوادث لا أول لها ولا آخر فى أوروبا وأمريكا .. وهى جميعا تستحق الدراسة والاهتمام (١)

---

(١) عن كتاب « الشىء الخفى » للكاتب الانجليزى « كولن ويلسون » .

بحوث حديثة فى العودة للتجسد

الدكتور كارل مولر Dr Karl Muller الذى توفى فى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٨ أثر اصابته بالسكتة القلبية ، قضى عشر سنوات فى دراسة موضوع العودة للتجسد فى أجزاء مختلفة من العالم .


كارل مولر

عاش فى زيوريخ ، بسويسرا ، ولكنه ولد من أبوين سويسريين فى نيو أورليانس.. حصل على الدكتوراه فى الهندسة ، وكان يميل فى بحوثه إلى الطريقة العلمية . . وكان يعطى كل اهتماماته إلى الموضوعات العلمية . شغل عدة وظائف فى المكسيك وجنوب أفريقيا فى باكورة حياته ،ولكنه اشتغل أخيراً فى زيوريخ بالبحوث والتحقيقات الروحية بالإضافة إلى مواصلة العمل فى الإبحاث الفيزيقية ذات العلاقة بالمسائل الروحية التى كان يعقد جلساتها فى الشقة التى اشترك فى إيجارها مع عمه برنارد وزوجته .

بدأ الدكتور مولر بحثه فى الموضوع الجدلى (١) الخاص بالعودة للتجسد ، والتقى بالبروفيسور ستيفنسون العالم الأمريكى عدة مرات وتبادل معه مراسلات كثيرة وطويلة . والدكتور ستيفنسون يعد من المراجع المعترف بها فى هذا الموضوع ـ كما قلنا فى الفصل السابق الذى أفردناه لدراسة بحوثه وتحقيقاته العلميـة .

وقضى كارل مولر عدة سنوات فى إعداد كتاب بعنوان « العودة للتجسد ، مبنية على حقائق » Reincarnation, Based on Facts .. وكانت أمنيته أن

---

(١) مثير الجدل والخلاف .

يرى الكتاب مطبوعاً فى أثناء حياته ، ولكن رغبته لم تتحقق للأسف . وكان المخطوط مفصلا وطويلا جداً ، مما اضطر برنارد موللر الوصى على تركة كارل ، أن يعالج الأمر ويختصره بحذف بعض فصول منه وجعله فى شكل مقبول يصلح لتقديمه للناشر .. وقد ساعد « إلا شريدان » Ella Sheridan – الذى كتب المقدمة – فى إعداده وتنسيقه والإشراف على التصحيح والطبع إلخ.. وتم طبعه فى دار مجلة «السايكك نيوز » .

ولقد سرد الدكتور موللر بالتفصيل ٧٠٠ حالة ، ولكنها اختصرت بعد ذلك اختصاراً شديدا . وقدم فيما قدم دراسة شائقة عن الحياة بعد الموت ، والعودة إلى الأرض . وكان بذلك كتابا ممتازا من الطراز الأول فى مجاله، يزود بالبرهان أولئك الذين يؤيدون العودة للتجسد ويؤمنون بها كحقيقة وكأمر يقينى لا شك فيه يجعلهم يتفكرون ويمعنون النظر فيمن يكون هؤلاء المتمالمون المتذبذبون بين فكرين أو رأيين ، أو أولئك الذين يرفضونهما كلية ..

وكان الدكتور موللر رئيسا للاتحاد الروحى العالمى International Spiritual Federation. وعضوا عاملا فى الجمعية الباراسيكولوجية فى زيوريخ. وكان لغويا كبيرا يجيد كثيرا من اللغات إجادة تامة . حتى لقد كان يستعان به فى الترجمة فى كثير من مؤتمرات الاتحاد الروحى العالمى I. S F. وكانت الحسرة شديدة على فقده فى المؤتمر الذى عقد فى جلاسجو عام١٩٦٩ .وكان الأمل معقودا على أن يكون الكتاب معداً لتقديمه فى ذلك المؤتمر ، ولكن حالت دون ذلك أسباب لم تكن فى الحسبان .

حديث للسيد سيلفر بيرش[1]

عن العودة للتجسد



السيد سيلفر بيرش

[كانت قضية العودة للتجسد ، على ماأسلفنا في غير موضع ، مثار جدل كبير بين المشتغلين بالروحية ونضيف هنا أن الخلاف حول هذا الموضوع قد ظهر حتى بين الأرواح المرشدة. على أن السيد سيلفر بيرش المعروف بمكانته العليا فى هذه الدائرة يتخذ موقفا إيجابيا فى هذا الصدد فهو يعلن أن العودة للتجسد إنما هى حقيقة . بيد أنه يقرر أن أقسام الوعى المختلفة تتجسد فى أزمان مختلفة . وفيما يلى بعض الأسئلة التى أجاب عليها فى هذا الموضوع]

— هل من الممكن لوعى الإنسان أن يؤدى وظيفته فى جوانب متفرقة ؟

— هناك الوعى الذى هو أنت ، الذى تعبر عنه فى عالم المادة بأنه جزء بالغ الصغر ، وهناك أجزاء من ذات هذا الوعى تعبر عن نفسها فى مجالات أخرى من التعبير .

— بلا ارتباط أو قيد ؟

---

(١) السيد سيلفر بيرش : الروح المرشد للكاتب الكبير موريس باربانيل نقيب الصحافة البريطانية ورئيس تحرير جريدة « الأنباء الروحية » وعضو جمعية « البحث الروحى » بلندن ، ووسيط جلسات دائرة هانن سوافر . ولقد قمنا بترجمة هذا الحديث عن كتاب « Teachings of Silver Birch Edited by A.W. Austen P. 172/177. edition 1969.

— كلا . . ليس بلا قيد . فأنت والتعبيرات الأخـــرى جميعا إنعكاسات لحقيقة روحية واحدة داخلية . إنها أجزاء من كل ، والأجزاء تعبر عن نفسها كاجزاء من الكل ، ولكن عن طريق مركبات (أدوات نقـل) التعبير التى تلتحم بين الفينة والفينة . إنهـا لاتجهـل بعضها البعض بداخل نفسها ، إلا عندما تبـدأ المرة الأولى فى التعبير عن نفسهـا ، إلى أن تجـد مكانا للقـاء عاماً وتتـلاءم معاً فى الكل مرة أخرى .

— هل يمكن لاثنين من تلك الأطراف أن تلتقى إحداهما مع الأخرى دون أن تعرف ؟

— حاول أن تتصور الوعى الأكبر كدائرة ، ثم تحقق من أن هناك قطاعات من تلك الدائرة تدور حول محورها . وهذه القطاعات تتقابل فى بعض الأحيان . وعندما تلتقى يكون ثمة تسليم وإقرار بتوحدها المشترك . وحين تكف فى النهاية عن الدوران تحتـل القطاعات المختلفـة أماكنهـا المخصصـة لهـا فتـكون الدائرة موحدة وكاملة .

— هل من الممكن لجزئين من تلك الروح أن يتصلا ببعضها ؟

— إذا كان ذلك ضروريا .

— هل يحدث أحيانا أن يتجسد جزءان من نفس الروح على الأرض فى نفس الوقت ؟

— كلا . لأن هذا يمكن أن يكون متعارضا مع الغرض الصحيح . إن غرض الشخص هو أن يتوصل إلى تجربة على جميـع مستويات التعبير ، ولايرجع إلى نفس المستوى إلا عندما يكون هناك شىء يكتسب عن طريق العودة .

— هل حقيقـة مايقال من أن لـكل قسـم من أقسام الوعى أن يحقق لنفسه تقدما روحيـاً خاصـاً به ولايستطيع أن يستفيد من الدروس الناتجـة عن طريق إنعكاسات أخرى لنفس الروح ؟

ـــ نعم . إنها جميعاً أجزاء من نفس واحدة تعبر عن نفسها بأشكال مختلفة. أن تغدو مدركا لنفسك على نحو متزايد أكثر فأكثر .

ـــ وهناك نقطة فى التطور تلتحق بها جميع تلك الأجزاء المختلفة ؟

ـــ نعم . فى اللانهاية .

ـــ هل حقا ما يقال إن كلا من هذه القطاعات يتجسد مرة واحدة فقط ، وعندما نأخذ بعين الاعتبار « النفس الكاملة » فإن العودة للتجسد تكون غير حقيقية فى كل قطاع ؟

ـــ هذا يتوقف على مايراد إنجازه . إلا أنه عندما تكون هناك رسالة خاصة وهامة بعض الشىء ومطلوب إنجازها فإن نفس الجزء من الوعى يتمنى أن يتجسد أكثر من مرة .

ـــ ماذا تعنى بالأجزاء المختلفة من نفس الوعى ؟

ـــ من الصعب أن أجيبك على سؤالك ، لأنك لاتفهم المعنى الحقيقى للحياة . فالحياة بالنسبة لك قد عبرت عن نفسها عمليا بأدنى صورها . وأنت لاتستطيع أن تتخيل أو تتصور الحياة الحقة ، الحياة بشدة فى وعى أرفع منزلة وأفضل من أى شىء تتخيله .

إن أرق الخبرات فى الصوفية ، وأرفع إلهام عند الفنان ، وأسمى استرواح ونشوة لدى الشاعر ـــ حتى هؤلاء إن هم إلا ظلال باهتة للحقيقة التى نطلق عليها « حياة » فى العوالم الروحية . وأنت لا يمكنك أن تقدر هذا ولاتعرف قيمته ، ذلك لأن قدرتك على التعبير محدودة فى عالم المادة الذى يتذبذب ببطء . كيف يمكننى أن أشرح لك : ما هو الوعى، وكيف يستطيع هـــذا الوعى أن يسجل نفسه ؟ . . ألا ترى الصعوبة التى ألقاها ؟ . . إذا كان عندك مقياس معتدل للمقارنة فقد يكون الأمر سهلا . . إنك تستطيع فقط أن تقارن النور بالظلام ، وأشعة الشمس بالظل . ولكنك لاتستطيع أن تقارن ألوان قوس قزح بالألوان التى وراء نطاق موارد فهمك وإدراكك .

— هل هى فضائل مختلفة أم أنها مظاهر الصفات توصف بالانفصام ؟

— كلا . مطلقا .. إنها ليست مظهراً آخر للشخصية الفردية بأية حال. وأنت حين تسأل هذه الأسئلة تكون أشبه بمن يحاول أن يصف لشخص أصيب بالعمى منذ ولادته ، ما الذى يشبه لون السماء عندما تكون الشمس فى إشراقها . فأنت ليس لديك مقياس للموازنة أو المقارنة .

— ألا يعبر شرحك « لانفصام » الوعى عن نفس الحقيقة التى جاءت فى تصريحات فردريك و . هـ . مايرز (١) فيما يتعلق بالنفوس « الجماعية » ؟

— إنه فى الحقيقة نفس الشىء . إلا أنه ليس تجميعا لنفوس مختلفة . وإنما هو اتحاد لأجزاء من الوعى مختلفة عادت لتتمم الكل وتجعله بالغاً حد الكمال .

— يبدو أن أجزاء الوعى المختلفة عندما تتحد ثانية فإن كلا منها يمكن أن يفقد شخصيته الفردية .

— وهل يفقد النهر نفسه عندما يصب فى المحيط العظيم أم أن المحيط كثرة كثيرة من الأنهار ؟ وهل تفقد نغمة الكمان نفسها عندما تندمج فى تناغم الألحان الذى أبدعته الفرقة الموسيقية كلها ؟ ..

— لماذا لم يعطنا عالم الروح دليلا على العودة للتجسد ؟

— ماذا يمكن أن يكون دليلا على العودة للتجسد التى لا يمكنك أن تفسرها عن طريق ضبط الروح والسيطرة عليها ؟ .. إنك ستتقبلها فقط عندما يكون وعيك معداً لذلك .. عندما يكون واضحاً لك أنها القانون ... وهذا هو السبب فى أن هناك كثيرا فى عالمى من يقول إن هذا لا يحدث .. يقولون إن هذا لا يحدث لأنهم لم يصلوا بعد إلى مرحلة الوعى التى يعرفون عندها أن هذا يحدث. هل يمكن أن يفسر الصوفى مذهبه الباطنى لرجل من رجال الأعمال ؟ .. هل يمكن

---

(١) مايرز (١٨٤٣ - ١٩٠١) : كان أستاذاً لعلم النفس بجامعة كامبردج . وكان من أهم الأعضاء العاملين فى « جمعية البحث الروحى » حتى انتقاله .

أن يفسر الفنان لهؤلاء الذين لم يوهبوا رقة إحساسه ورهافة شعوره شيئاً عن إلهامه وعن أفكاره الموحاه ؟ .. إنه لايستطيع .. إنهم فى مستويات عقلية مختلفه.

— هل تعرف الروح متى تكون على وشك أن تتجسد ؟

— الروح تعرف ، ولكنها لا تستطيع أن تعبر عن ذاتها من خلال العقل . والروح، التى هى الروح الأعظم ، إنما تعبر عن ذاتها عن طريق الخلود ، بالتدريج، خطوة خطوة ، وهناك عند أية مرحلة لا يزال يوجد جزء عظيم غير واضح لم يعبر عنه .

— إذن هل الروح تتجسد لا شعوريا (بلا وعى) ؟

— يتوقف هذا على حالة تطور تلك الروح . هناك كثير من الأرواح التى تعرف أنها قد تجسدت من قبل . وهناك أرواح أخرى لا تعرف .. إن نفوسها ربما تعرف ، وإدراكها ربما يعرف ولكنها ربما لا تكون معروفة لدى العقل. إنك على صلة بأعظم أسرار الحياة ، وأنا أجد أنه من الصعب جداً أن أحصل على كلمات فى اللغة الإنجليزية لكى أعبر بها عن الحالات العامة للروح .

— إذا كانت الحيـــاة فى تغيير وتطور مستمرين ، وكانت العودة للتجسد حقيقة ، فكيف يمكننا أن نتحقق من لقاء أحبائنا بعد وفاتنـا والاستمتاع بحياة النعيم التى وعدنا بها؟

— إن الحب سوف يميز ويعرف دائمـا من يقره ويعترف به . لأن الحب أعظم قوة فى الكون جميعا . الحب سوف يجتذب دائما محبيه . . والحب سوف يلتقى دائما بحبه .. فليس هناك أى شىء يمكن أن يحول دون الاتحـــاد بأولئك الذين يحبون .

— ولكن مع العودة للتجسد سيكون هناك انفصال مستمر. فهل هذا يتلاءم مع فكرة النعيم الأبدى ؟

— إن فكرتك عن النعيم الأبدى لا تتلاءم مع فكرتى عن النعيم الأبدى، إنما

الكون وما فيه من القوانين كأن وقائم كما صنعه الخالق لا كما صنعه الخلق . والعاقل هو الذى يغير عقله عندما يواجه حقائق جديدة ، لأنه يعرف تماما أنه لا يمكنه أن يبدل الحقائق لكى يرضى هواه .

— إذا كان حقاً مايقـــال من أننا كنا موجودين خلال حيوات لاعد لها قبل هذه الحياة ، فلماذا إذن لم نكن أكثر تقدما وارتقاء ، وأكثر مثالية مما نحن عليه الآن ؟

— أنت يمكنك أن توجد فى عالم المادة وتكون قديساً ، ويمكنك أن تكون فى العالم المادى أحط من الإنحطـاط وأتفه من التفاهة . وهذا لا يتوقف على المستوى الأرضى ، بل يتوقف على تطور الروح .

— ألا يزال لنا عدد غير متناه من حيوات النضال والكفاح والألم والعذاب سنجتازها فى المستقبل كالتى كابدناها فى الماضى ؟

— نعم . . عدد غير متناه . . كفاح ومعاناة . . معاناة تجعل الروح الأعظم بداخلك قادرة على البزوغ نقية مطهرة ، معززة ، مؤيدة ، مهذبة ، مصفاة ، مثل الذهب ينبثق من الجوهر الخام بالتحطيم والصقل والتهذيب إلى أن يتكشف أصله عن طريق تلك العمليات .

— إذا كان الأمر كذلك ، فما جدوى فكرة دار البقاء بعد الموت ؟

— إن ما تعتبره اليوم نعيما مقيما لن تعتبره كذلك غداً ، لأن السعادة تكمن فى الكفاح والجهاد . الجهاد دائما . . لأن الأعلى والأسمى والأرقى وراء ذلك .

— إذا تجسدت الروح فهل تعود إلى نفس الجنسية كما كانت فى آخر تجسد لها ـ الهندى إلى هندى ـ والإنجليزى إلى انجليزى ، مثلا ؟

— ليس ضروريا . إنها ستختـــار المدينة والأمة والسلالة والأسرة التى تراها ضرورية ومناسبة لظهورها الجديد .

— هل ينطبق نفس الشىء على مسألة الجنس ؟

— نعم . ليس من الضرورى أن تعود الروح بنفس الجنس الذى كانت عليه من قبل .

— هل يمكن أن يكون صحيحا أننا نعاقب على ذنوبنا فى حيـاة أخرى على الأرض ، كما أنه يجب أن نكفر عن خطـايانا قبل أن نرتقى فى عالم الروح ؟ هل يعاقبنا الله مرتين على نفس المعصية ؟

— ليست المسألة مسألة عقـاب . وإنما هى ارتقاء . . واجب يجب أن يؤدى .. درس يجب أن يعلم ويستذكر . . حلقة أخرى يجب أن تصهر وتطرق وتدخل فى سلسلة تهذيب الروح وتنقيتها وإعلائهـا والسمو بهـا . . إن العودة للتجسد لا تعنى دائما أنك يجب أن تعاقب . . إنها تعنى فى الغالب أن هنـاك ثمة فجوات أو فراغ يجب أن يملأ . . وهذا يمكن أن يكون فى بعض الأحيـان تأديبا وتهذيبا للأفراد ، وقد يكون فى أحيان أخرى دروسا لم تعرف بعد . . هذا لا يعنى دائما العقاب . . وأنت لا يمكن أن تعاقب مرتين . وحين تكون على علم ودراية بـ « القـانون » فستعجب من كماله ، لأنه لا يطفف الكيل ولا يخسر الميزان . القانون كامل . . والشريعة كاملة ،والكمال صفة من صفات الله.

— هل يمكن أن تخبرنا عن أى واحد فى العالم الآخر يعلم أنه أو أنهـا قد اجتازت دورة أو أكثر من دورة بالتجسد فى هذا العالم؟

— إن للروح أن تعرف عندما يتم بعثها فى مرحلة يكون فيها من الضرورى أن تعرف . إنها لا تستطيع أن ترى النور حتى تستطيع عيناها احتمال النور . لن أذكر أسماء لأنهـا لا تعتبر بينة . ولقد قلت من قبل إن كل ما هو حق وصدق عن العودة للتجسد يمكن أن « يفسر » عن طريق المراقبة . وإنى أتحدث عن قوانين الروح الأعظم على قدر ما وصل إليه فهمى . وإنى إنما أتحدث عن الحقيقة كما أعرفها . ولا يهمنى إذا كان هناك من لا يتفق معى .. إنهم لو كانوا قد عاشوا أمداً طويلا مثل ما عشت ، فربما غيروا عقولهم.

ـــ هنالك جملة قضايا وكثير من المناقشات بخصوص العودة للتجسد . ألا تكون أكثر حكمة أن نهتم بمسألة الحياة بعد الموت ؟

ـــ من الأفضل أن تعيش فى النور لا فى الظلام . . من الأحسن أن تكون على علم لا على جهل . . وأن تعرف القوانين خير من أن لا تعرف القوانين . . وأجدى لك دائما أن تبحث عن الحقيقة باجتهاد واهتمام وصبر ، من أن تظل فى مكانك ساكنا دون حراك . من الأحسن دائما أن تكافح من أجل التقدم والارتقاء . . إن الحياة بعد الموت ليست هى النهاية . . أن هى إلا البداية ، لانك حينما تفهم أنك جزء من الروح الأعظم ستعرف السبب فى أنك تجتاز ممر الموت دون ضرر ودون تغيير . . وليست هذه هى النهاية لجميع الأشياء . . إن هى إلا البداية . .

° ° °

حوار آخر مع سيلفر بيرش : (١)

كنا نناقش بهدوء فى إحدى الجلسات عن « العودة للتجسد » ، وفجأة فى أثناء المناقشة ، وقع وسيط السيد سيلفر بيرش فى غيبوبة ، ووجدنا أنفسنا نتحدث ، إلى جالس يعارض العودة للتجسد ، وإنما إلى مرشد روحى مؤيد لها .

قالت الروح لسوافر (٢) الذى كان مسرفاً فى إنكاره للنظرية : « أنا لا أتفق معك » .

---

(١) قمت بترجمة هذا الحديث عن كتاب « Home Circle : by A. W. Austen, Pub 1640 p. 144/148

(٢) هانن سوافر : من الكتاب البريطانيين الذين كانوا من أعلام الروحية . وكان نقيباً للصحافة وانتقل إلى عالم الروح فى يناير ١٩٦٢ . أخذ يواصل البحث منذ عام ١٩٢٤ ويعقد جلسات دورية منتظمة فى منزله إلى حين انتقاله . وكان من أهم وسطائها الاستاذ موريس باربانيل الوسيط للروح الحكيم =

فسأل سوافر : « حدثنى عن ذلك ،لماذا أكون سليلا مباشراً لأسلافى ؟ »

فأجاب المرشد : « أرنى واحداً من أسلافك استطاع أن يقوم بالعمل الذى تقـوم به »

قال سوافر : « إننى أنتمى إلى زمـــن مختلف . إن جدتى كانت ذات صفة بارزة مثـلى »

— « إنك تتحدث عن المسائل الخاصة بالمخ ،أعنى مسائل الروح»

قال سوافر : « حسنا ، إذن حدثنى عن تجسداتى السابقة »

أجاب المرشد : « هذا لا يهم . ولكنك عدت للتجسد ، سواء كنت تعترف بذلك أو ترفضه . تظن مَن مِن أسلافك أعطاك القوة كيما تكون ملهما ؟ »

فقال سوافر ، قاصداً جون كيتس (١) : « واحد من أقاربى ، مات قبل أن يبلغ الثامنة والعشرين من عمره ، وكان أحد كبار الشعراء »

قالت الروح : « نعم . أعرف ذلك ، وقد انتقل هذا فى مجرى الدم . ولكن من ذا الذى كان يدير الجلسات ؟ »

قال الوسيط : « لقد كان يسيطر على الناس بالآلاف . وكان يشعر بمشكلات المجتمع . وعندما كتب قصيدته (شىء من الجمال معناه سرور إلى الأبد) ،ذاعت شهرتها حول العالم »

— « خبرنى مَن مِن أسلافك كان خطيبا ؟ »

فقرر سوافر : « هذا ما لا أستطيع أن أخبرك عنه »

= سيلفر بيرش ، وهى التى كانت تتولى الإرشاد الدائم فى دائرة هانن سوافر المنزلية . وله مؤلفات عديدة فى موضوع الارواح ترجم أكثرها إلى أغلب لغات العالم الحية . « المترجم »

(١) جون كيتس : (١٧٩٥ - ١٨٢١) من أكـــبر الشعراء الرومانسيين الإنجليز . « المترجم »

— « قل لى من يكون ذلك الذى ولد من طبقة دنيا وسار مع الملوك والأمراء ؟ »

فقال سوافر : « إن ذلك كان بسبب مركزى وبحكم وظيفتى . . إنهم كانوا يعيشون فى القرية ، أما أنا فكنت أعيش فى لندن »

— « ولكنهم ولدوا فى القرية ، وأنت أيضا ولدت فى القرية »

وواصل سوافر حديثه : « كان لى أخ يصغرنى بعشرين سنة وكان واحداً من أحسن الصحفيين فى « فليت ستريت »

سأل المرشد : « هل يستحوذ على أفكار الملايين ؟ »

— « كلا . ولكنه قد يستطيع »

— « ولكنه لا يفعل »

أجاب سوافر : « كلا ، ولكنى لم أفعل عندما كنت فى سنه »

قال المرشد : « إن جسمك الفيزيقى هو الذى جاء من أبويك الطبيعيين ، أما نفسك فقد جاءت من الروح الأعظم . وإن صفات النفس هى تلك التى أظهرتها وكشفت لك عنها . . جسمك المادى محدد عن طريق : الوراثة ، والبيئة ، وصحة الوالدين . وهذه العوامل تؤثر فى الحالات العامة للمادة لا فى النفس »

قال سوافر وهو يحاوره : « ولكن إذا كانت هناك عودة للتجسد ، فلماذا لا ترتقى المخلوقات البشرية بمعدلات أسرع وبدرجات أكبر ؟ يبدو لى أنهم يرتقون بارتقاء حالاتهم الخارجية »

قال المرشد : « نعم ، ولكن الحالات إنما ترتقى فقط بارتقاء المخلوقات البشرية »

قال سوافر معترضا : « ولكن يبدو أنهم يرتقون بنفس المعدل »

قالت الروح : « لا . إن الحالات ترتقى تبعاً لارتقاء الروح »

— « نعم ، ولكن الحالات تؤثر على الروح »

قال المرشد : « إنك تعرض الروح بكيفية مخالفة للواقع من مختلف الزوايا . إن الارتقاء أو التحسن إنما يبرز إلى الوجود مع الروح ، وينطلق معها، ويعبر عن نفسه فى المادة . إنه لا ينطلق مع التعبير فى المادة ثم يطور الروح »

قال سوافر : « هذه مناقشة عن الروح ، لا عن العودة للتجسد . . إذا كانت ولادتنا تتكرر دائما وباستمرار ، إذن لماذا لا تنتج ذرية من أناس أعظم من هومر أو شكسبير أو سمبسون (١) . . لماذا لا يحدث الارتقاء فى النماذج دائما ؟ . إنك ترقى النماذج فقط مثلما ترقى الحالات حول الناس »

— « إن ما تسميه بالنماذج إنما يشير إلى أشياء المادة . وأنا أشير إلى خاصية الروح»

سأل سوافر : « هل نجد اليوم رجلا روحه أسمى من روح سقراط ؟ »

— « أوه ، نعم »

— « أو يسوع الناصرى ؟»

— « لا . . »

— « أو جان دارك ؟ »

— « نعم . »

قاو سوافر معلقاً : « كلا . . إن منطقى يتمرد ضد العودة للتجسد »

قال المرشد : « إنى أعرف . ولذلك فأنت على حق فى عدم قبولها . »

قال سوافر : « لقد تعلمت أن أتقبل فقط تلك الأشياء التى يثبت لى صحتها بالبرهان . إنى أوافقك ولكن يجب ألا أتوقع أن آخذ منك الأشياء التى تتمرد ضد إحساسى بالمنطق»

قال المرشد : « لقد عرفتنى منذ أمد طويل . فهل طلبت منك أو من أحد

(١) سير جيمس يونج سمبسون : (١٨١١ — ١٨٧٠) طبيب اسكتلندى أول من استخدم التخدير العام فى الولادة سنة ١٨٤٧ «المترجم»

غيرك طوال هذه المدة أن تقبل ما يرفضه عقلك ؟ .. »

قال سوافر : « كلا . ثم أنه قــد قيل لى إننى حينما أتطور إلى حالة معينة سأكون قادراً على قبول نظرية العودة للتجسد بطريقة طبيعية . فهل يكون الناس الذين تقبلوها أكثر تطوراً منى ؟ »

فأجابت الروح: « كلا . إنهم يفعلون ذلك أحيانا لأنها تعطيهم فرصة للتفكير فى أنهم مخبيون ومحبطون . وهناك بعض أنفس متطورة على دراية بتجسداتها الماضية . ولكنك تجسدت من جديد . وأنا كذلك قد تجسدت »

سأل سوافر : « لماذا لم تتجسد منذ أن انتقلت من ثلاثة آلاف سنةمضت؟.. »

فقال المرشد : « لقد تجسدت قبل ذاك ، وسأخبرك بذلك حتى يمكنك أن تفهم . من المهم جداً أن عالمك يجب أن يفهم قوانين الروح لكى يستطيع أن يكشف عن حاجيات عالم الروح ويردها إليه . وهذا ما يحدث فعلا بالتدريج . والمرحلة التالية هى أنهم سيفهمون عن حيواتهم السابقة أكثر وأكثر،وسيعرفون المزيد عن علاقاتهم بحيواتهم الحالية . وهذه المرحلة ليست فى أهمية الأخرى ، ولكنى أقول لكم إنها كذلك . وإذا أعلنتم أنكم لاتوافقوننى فإننى مع ذلك سأظل محبا لكم »

قال سوافر : « لقد قال لى (ردكلاود) [1] Red Cloud أننى تجسدت فى هذا الزمن ثانية طوعا واختياراً »

فأجاب المرشد : « نعم ،هو ذلك »

سأل سوافر : « لماذا إذن قد تجسدت باختيارى ، إذا كانت العودة للتجسد قانوناً ؟ »

قالت الروح : « هناك عــدة قوانين تقوم بعملها ، وهناك كثير من الناس

---

(١) رد كلاود : أو « السحابة الحمراء » ، الروح المرشد للوسيطة استيلا روبرتس .

لا يعرفون شيئا عن عمليات القانون إلى أن يحين الوقت للقانون أن يعمل خلال حيواتهم .»

فقال سوافر بعناد : « ولكن لماذا اخترت العودة للتجسد إذا كانت العودة للتجسد قانونا ؟ »

قال المرشد : « لقد كان لك الخيار فى أن تظل مستمراً فى عالم الروح أو أن تفعل مثل ما فعلت أنا ، بتنازلى عن بعض تطورى كيما أساعد عالمك . أنت تختار أن تعود . وكان لذلك الاختيار صلة بكل المتاعب التى صادفتك فى السنين القليلة الماضية »

سأل سوافر : « إلى أى مدى ، تظن ، كان نتاج هذا العمل الذى قمت به ؟ »

وكان الجواب : « قدر كبير . ومع ذلك ، فأنت لم تصل بعد إلى النهاية . وهذا هو السبب فى أنك دائما تحاط علماً بالعمل الذى كان يجب عليك أن تقوم به »

وهنا انصرف السيد المرشد الكريم . وخرج الوسيط من غيبوبته منكرا ورافضا كل ما قاله المرشد .وبالرغم من أن المرشد يقوم بتعليم العودة للتجسد، فإن وسيطه يرفض النظرية ! .. واستمر النقاش بعد ذلك ساعة من الزمن ، مع الوسيط الذى كان يرفض بشدة القضية التى أقامها مرشده ..

° ° °

مقتطفات من أحاديث أخرى :

وفى جلسة من الجلسات وجهت للروح المرشد بعض أسئلة أجاب عليها كما يلى : (١)

ــ هل تظن أن الخلق مستمر وأن نفوساً جديدة تولد باستمرار (أى لا عودة للتجسد ؟)

ــ « الروح الأعظم لانهائى . وكذلك عملية الخلق لانهائية . فهى مستمرة

---

(١) عن كتاب « أرواح مرسلة» الدكتور على عبدالجليل راضى ص ٥٧ / ٥٨

دائماً فى صورها العديدة من النقص إلى الكمال ، ومن الفجاجة إلى النضج . وهذه العملية لازمن لها ،لابداية ولانهاية . . ولكن هل نقصد بالنفوس الجديدة شيئاً لم يكن موجوداً من قبل ؟ . .

« هذا مستحيل ، لأن كل الحياة مبنية على حياة سابقة . . الحياة تولد حياة، وباستمرار تعبر عن نفسها بأشكال عديدة . . والروح التى لم تتصل بأرضكم تجد تعبيراً لنفسها فى عالمكم خلال أجسام فيزيقية مشابهة حتى تنال بواسطتها المعرفة الأرضية اللازمة لتقدمها . الروح إذن جديدة بالنسبة لتجربتها الأرضية ولكنها ليست جديدة إذا كان لها وجود روحى من قبل . الروح هى المادة الأولية للخلق . الروح كروح كانت موجودة وسوف تظل موجودة دائماً . .

« وباستثناء الأرواح المتجسدة لايكون للروح قبل ولادتها فى الأرض أية شخصية فردية ولاضمير بشرى . إذ أن الضمير البشرى ينشأ فقط فى الصورة الأرضية . المادة هى العامل المساعد على صنع الحلقة الموصلة التى تساعد الروح على الوصول إلى حالة الإحساس بنفسها كصاحبة وعى فردى » .

— هل هناك نفوس متقدمة وأخرى غير متقدمة ؟

— « نعم ، حتى يستمر التقدم . إعلم أن الحياة دائماً غير ساكنة . . الحياة لحن وحركة ، تقدم وإنتشار ، إرتقاء واقتراب من الكمال . إذا كان الجميع فى نفس الطور ، إذا وصل إلى الكمال ، وإذا لم تكن هناك حاجة إلى الجهاد أو حاجة للأرتقاء ، فلن تكون هناك رغبة فى الحياة . . . » .

— ولكن النفوس غير المتقدمة تسبب متاعب فى العالم وتعوق التقدم ؟

— « أنتم تسمونها غير متقدمة ، إنما هى تسمية نسبية ، أى غير متقدمة بالنسبة لغيرها ، هل تظنون أن الإنسانية جمعاء تصل إلى نفس مستوى التقدم فى نفس الوقت؟ أتريدون الضوء بدون ظلال ، وأشعة الشمس بدون عواصف ، وفضيلة بدون رذيلة ، وضحكاً بدون دموع ؟ » .

* * *

وفى مناسبة أخرى أعطى سيلفربيرش وصفاً جميلا للموت بصفته جزءاً من دورة الحياة . وبمناسبة عيد الفصح أخذ يقارنه مع فصول السنة فقال (١) :

« فكروا فى معجزة الفصول . إن الدورة الخالدة دائرة إلى الأبد على منوال لا يختل . ثلوج الشتاء عندما تنام كل الحياة ، نداء الربيع عندما تستيقظ الحياة ، كمال الصيف عندما تكشف الحياة عن كل جمالها ، والخريف عندما يحتجب صوت الطبيعة وتتهيأ للنوم قبل أن تأتى لها فترة الانتعاش . .

« إنكم على وشك مشاهدة وحى الطبيعة العظيم ، الربيع والفصح والبعث — عندما تجعل الحياة الجديدة نفسها منظورة فى كل عالمكم ، تلك الحياة التى كانت نائمة ، تلك الحياة التى اضمحلت فى ظلام أمكم الأرض ، كما تجسد السكون والسلام فى الظلام . . ! وسرعان ماترون عصارة النبات صاعدة ثم البرعم ثم الويقة ثم الورقة ثم الزهرة ثم ترفع الأقحوانات الصغيرة رؤوسها ويعلن ألف صوت ميلاد حياة جديدة . .

إلى أن يقول :

« إن الدورة تتكرر فى كل حياة إنسانية . لقد تجسد بهاء الطبيعة مرة ثانية فى كل نفس إنسانية. أولا هناك الربيع فى الوعى المستيقظ والصيف عندما تصعد قوى الإنسان إلى ذروتها والخريف لما تبدأ الحياة فى التناقص ثم الشتاء لما يأتى النوم للنفس المتعبة المرهقة . ولكن مع ذلك يأتى بعد شتاء الحياة الفيزيقية ربيع الروح عندما تستيقظ فى عالم آخر كما تتمم الدورة الخالدة . خذوا من الطبيعة هذه الرسالة وكونوا متأكدين أن القوانين التى لم تفشل أبداً سوف تستمر فى عملها فى حالتكم وفى حالة كل حياة إنسانية » .

* * *

---

(١) عن كتاب « سفير الأرواح العليا » ترجمة الدكتور على عبد الجليل راضى ص ٢٦/٢٧ .

يذكرنا هذا الحديث الذى أدلى به السيد الروح سيلفربيرش بأشواق كانت تراود الشعراء فى تيارهم الشعرى الجديد قبيل العشرينات . ونجد مثالا لها عند الأستاذ مفيد الشوباشى فى القصيدة التى أوردها فى كتابه « خواطر غريب » وقال فيها يخاطب دوحة الفرصاد :

ياقلب ليتك فى الحيــاة وفى الردى   أبد الزمان كدوحة الفرصاد
فلقد يعود مــع الربيع شبابها   وشباب هذا العيش غــير معاد

كما نجدها عند الأستاذ عباس العقاد فى قصيدته «الصبابة المنشورة» إذ يقول:

حياة لها حــد ولاحد للردى   فليت المنايا والحيــاة تواليا
كما تتوالى يقظــة العيش والكرى   وتعقب أنوار الصبــاح الدياجيا
إذن لتشوقنا الحمــام اشتياقنا   إلى النوم واشتقنا الحيــاة دواليا

وهذا الذى كان يمثل أمانى شعرية أصبح الآن محل دراسات وتحقيقات يقوم بها علماء الروحية ويؤكدون أن للحياة دوراتها المتصلة اللانهائية .ولقد عبر السيد سيلفربيرش عن هذه المعانى السامية فى كثير من أحاديثه العميقة ببلاغته المعهودة نكتفى منها بمــا أوردناه فى هذا الفصل .

حديث لروح مرشد

هذا الحديث لروح مرشد مجهول ، سئل عن اسمه فقال: أنا عبد من عباد الله، من عالم سقطت فيه الأسماء . جاء على لسان وسيط روحى . وهو حديث طويل نجتزئه فيما يلى .

ويدور الحديث فى جملته حول تفسير صوفى روحى لسورة « سبح اسم ربك الأعلى » ، حتى إذا وصل إلى آية « فذكر إن نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى » قال :

« فذكر إن نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى ، ويتجنبها الأشقى ، فذكر ولا تميز بين الناس ، إجعل الناس معك فيما تذكر سواسية ولا تحكم عليهم بأنهم غير صالحين أو صالحين لما به تذكر .. ولكن أنظر إلى ما تحس به أنت .. هل أنت منشرح لأن تذكر ؟ . . هل تحس بأن مجال التذكير فى نفسك مع قومك له وجود ؟ .. إن أحسست أن مجال التذكير فيك قائم فذكر ، وإن الذى سيقع: سيذكر من يخشى ، ويتجنبها الأشقى .

والأشقى ، يصلى النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيا . « فما استطاعوا مضيا ، ولا إلى أهلهم يرجعون .. كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ، ليذوقوا العذاب » حتى تبرز لهم الجحيم حيث هم ، وحتى تزلف لهم الجنة حيث هم دانية قطوفها « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » .

قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ..

نظرية التناسخ:

نجد فى الآية : « سيصلى النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيا .. » تسجيلا لنظرية التناسخ عند أهل الشرق فى ديانات آسيا والصين والهند – فى تفهم معانى القيامة والبعث عن طريق التواجد المتعدد للإنسان بين الأرض والكواكب وبين عوالم الروح .

وهذا ما يعارضه الفقهاء عندنا ..

ولكنها واضحة فى القرآن . . ذلك لأن الفقهاء لا يقبلون شيئا من ديانات الفطرة التى سبقت الرسالة المحمدية .

ومن هنا نجد الفقهاء متحيرين فى فهم ماجاءنا فى كتابنا وديننا . فهو يقول : تبدل جلودهم .. فهل هناك حياة فيها جلود غير التى نحن فيها . ونحن عندما نفارق الأرض سندخل فى حياة خالية من هذا ، سندخل فى حياة روحية ليس لها جلود. فلا تبديل لجلود ولا غيره .

أما تبديل الجلود . . وبلى قادرين على أن نسوى بنانه .. وإن يوم الفصل كان ميقاتا ، للطاغين مآبا .. وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل شىء عليم .. أوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، قال : أنى يحي هـــذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، قال : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما أو بعض يوم . قال : بل لبثت مائة عام .

فالقرآن ملىء فى شرح قضية البعث على الصورة المعروفة ، والتى قامت على أسسها ديانات براهما وبوذا والشرق .

والبيان التفصيلى الذى ورد فى الفيدا والموجود فى مختلف ديانات الشرق هو ما أجمل ـ فى القرآن ـ بمعانى البعث وتبديل الجلود على الأرض ، مع مواصلة الشخصية . لأن الإنسان ـ كل صورة أبرزت (له) على الأرض ستضاف بوجودها وبحياتها وبمعناها ، وهذا ما يعنيه معنى التناسخ .

فمعنى التناسخ من محو الماضى وإيجاد الحاضر مع محو الماضى .. هذا التفسير خاطىء . إنما التناسخ ، هو معنى إعطاء الفرصة للذات أو للإنسان أن يتواجد بثوب أرضى مع بقاء المعنى الروحى،والذى انطلق من ثوب سابق ، حتى يعطى فرصة أخرى لتصحيح أوضاعه فى معراج التطور .

وهنا ، الرسول يقول لك : كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه . . يعنى : أن كل فرصة للتواجد فى هذه البشرية يولد فيها ، هو مولد على الفطرة ، والفرصة فيه كاملة مهيأة لمولد الفطرة هذا أن يصحح قديمه ، وأن يهيء لجديدة : « من صلح أصلحنا له من آبائه وأزواجه وذرياته » .

إذاً الإنسان فى كل مولد فطرة على أرضنا هذه تتهيأ به فرصة لقديمه الموجود من أصول لهذه الذات إلى آدم ومن فروع لهذه الذات إلى أن يتجدد آدم وتتم دورة من آدم القديم لآدم الجديد بآدمية قيام الإنسان .

وهنا نفهم : ثم لا يموت فيها ولا يحيا . . أى أن الشخص يعطى الفرصة ، المرة بعد المرة ، ولا يريد فى مولد الفطرة أن يحيا أو أن يدرك ، أو أن يصلح قديمه ، أو أن يعد جديده .

هذا الإنسان سماه القرآن : لا يموت فيها ولا يحيا . . وحضرة الإنسان هذا هو عالمنا الذاتى وثلاثة عوالم روحية فوق هذا العالم. كلها مرتبطة بعالمنا لا يخرج عنها الإنسان . فالنار الكبرى فى عرف علم الروح هى المستوى الثالث لعالم الروح، والدائم الإرتباط بالأرض،والذى يجدد مولده على الأرض كلما أعطيت له فرصة ، وكلما تعطى له فرصة .

يعنى أنه : كل على مولاه .

ربنا أرجعنا نعمل صالحا . . ولكنهم ، يعودون إلى ما نهوا عنه - المرة بعد المرة . يقول : ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا ، فهل إلى خروج من سبيل .

والله يعطيه المرة والثانية وحتى الرابعة وهو لا يموت ولا يحيا .

الارتفاع فوق المستوى الثالث :

أما الإرتفاع فوق المستوى الثالث من عوالم الروح فلا يأتى عن طريق فعل الإنسان ، ولكنه يأتى عن طريق رضاء المستويات العليا . . أى رضاء المستوى

الرابع واختياره من المستوى الثالث . . وإذا اختار (أخشير) من المستوى الثالث فاختار تسلسله من الأرض إلى المستوى الثالث بالاجتباء ، وهذا ما يعنيه الرسول عندما يقول : « لا يدخل الجنة أحدكم بعمله ، وأن الإنسان إذا ارتضاه الله اختاره » .

وهنا يدرك : أخفى الرضا فى الطاعة . والغضب فى المعصية .

ويفهم : لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية .

ويفهم حديث الرسول : « إن لله فى أيام دهركم لنفحات » .

وهنا يدرك : « قد أفلح من تزكى » .. حيث ذكر أولا : سبح اسم ربك الأعلى .. ثم بين كيف يتزكى فقال : ذكر اسم ربه فصلى .. وهنا نتساءل : من يكون اسم ربه ؟

هـذه هى القضية ـ ذلك الذى إذا ذكره ووصله يعتبر من المصلين ، وقد صلى ؟ .. حيث إن الرسول يقول : الصلاة صلة بين العبد وربه .

ويقول القرآن : هو العروة الوثقى لا انفصام لها .

ويقول : يا أيها الناس ، يا أيها الذين آمنوا (بالله ورسوله) (صلوه كما وصله الله) صلوا عليه ، وسلموا تسليما ، فإن الله يصلى عليه، صلوه فإن الله يصله. وإن الله لا يتلاقى معكم ،وليس لهمكان التلاقى،ولا موعد اللقاء إلا إذا وصلتموه، وصليتم عليه ، ودخلتم فى قلبه ، ودخلتم فى حضرته . فهو فى حضرته يتواجد ويتصل ، فتتلاقون فيه .

فمن دخله كان آمنا .

من دخله وجد منشوده ، قد سبقه إليه .

أنتم تعلمون أنكم فى هذه الحياة الدنيا تمارسون معنى الحياة فـتـرة زمنية لا تتجاوز قرنا من الزمان . أما فى الحياة الآخرة فأنتم فيهـا تبقون قرونا حتى تنقلوا لمستويات أعلى ، أو حتى تردوا إلى الأرض رجماً من السماء ، وللآخرة خير وأبقى .

قانون الله :

إن هذا الذى نعطيك يامحمد ، ونعطى أمتك ليس جديداً فى جنسك.فمن قبل أخذنا ميثاق النبيين لك ، ولست أنت بمعزل عنهم برجعك إلينا ، أو غيبتك عنهم ، لقد جعلناك شهيداً على الشهداء نأخذ من كل أمة بشهيد ثم نأتى بك شهيداً على الشهداء . .

إن هذا قانون الله ، صبغة الله ، ولا جديد فى الله ، ولا جديد على صبغة الله . .

هكذا الله أزلا ، وهكذا الله قياماً ، وهكذا الله أبداً . .

وهكذا الخلق أزلا ، وهكذا الخلق قياماً ، وهكذا الخلق أبداً . .

إن الذى نجدده بك فى الناس سبق أن أوجدناه فى الناس بك أيضا برسالتك فى رسل من قبلك . كانوا بسملة الله ،وكانوا اسم الله ،وكانوا ذكر الله،لذواتهم..

أما أنت فاسم الله لدائمه . . وما ظهروا باسم الله إلا من دائمك ، ومن قبل بشرنا الأنبياء بك . وأخذنا به عليهم العهد أن ينصروك ، وأن يقيموا الدين معك ، فإذا كنت تقوم وتتقلب فى الساجدين ففى أمتك الآن كل الأنبياء من قبلك يقومون ويتقلبون فى الساجدين ، ومأخوذ عليهم الميثاق لك . فيستجيبون لك ويتابعون قبلك ، ويصلون خلفك ، ويسيرون إلى ما أنت إليه سائر . فأنت مثلهم الأعلى لهم على ما وعدناهم وعلى ما قدرنا لك فى سابق وجود لك بجوارنا.

ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .

إن هذا لنى أمم الأنبياء من قبلك . لقد كان أمم الأنبياء صحائف كتبهم وكلمات قرآنهم .

وإذا بدأنا رسالة لا ننهيها ، وإذا بدأنا خلقاً لا ينتهى، لأن الخلق إذا دخل فى معانى الحق بدءاً فى الحق ، عرف الحق لا ينتهى وعرف الحق لا يتناهى .

إن الخلق إذا دخل فى معانى الحق ، عرف أنه بدء لقديم بدء ، وأنه جديد

القديم ، وأنه أصل لقـــادم ـــ دواليك ـــ فى الله الصمد ، الذى تأزل وصف الخالق له ، فتأزل وصف الخلائق فيه .

والذى تأبد وصف الوجود له ، فتأبد دوام الخلق فيه .

إن هذا لفى الصحف الأولى ، التى لا انتهـاء لهـا . صحف إبراهيم وموسى لا انتهاء لهـــا . . فإذا كنت فى أمة أنت تمثل معانى البدء خلقا لها . فأنت الأمة الوسطى ، وهى خير الأمم والأمر الوسط وهو خير الأمور . والآدم الوسط وهو خير الأوادم . والروح الوسط وهو خير الأرواح . لأنك تعرف أن الله ظهر فى الإنسان من قبلك فى أمم خلت منها الأرض ، وقامت بالحق .

وكما تعلم أن الله يظهر بالإنســـان من بعد أمتك فى أمم تحدث وهى للأمم السابقة بوصف العبد والعالم فكنتم خير أمة أخرجت للنـاس تأمرون بالمعروف ـــ وهو الله . وتنهون عن المنكر ـــ وهو المادة ، وهو الشيطـان . وتؤمنون بالله وهو بين جوانحكم ، قائما على كل نفس ، وأقرب إليها من حبل الوريد .

هذا بعض ما نقدر أن نتذوقه من معـــانى هذه السورة . وطبيعى أننا لو أردنا أن نستزيد فى الفهم فى هذه السورة يمكن أن نخرج من كنوزهـا كل ما جاء به القرآن .

وهذه خاصية فى القرآن . ومعنى ذلك : أننا لو بدأنا نشرح فى الفاتحة وفى البسملة نقدر أن نأتى على معانى القرآن كله فى الفاتحة والبسملة .

وكذلك الحال لو أننا شرحنا : قل هو الله أحد . . أو إنا أعطيناك الكوثر.

يعنى أى سورة فى القرآن نستطيع أن ننطلق منها ونأتى بمعانى القرآن كله .

نسأل الله أن يفتح علينا وعليكم ، وينير قلوبنا جميعا .

من حياة إلى حياة

وجهة نظر ثيوصوفية

إذا كان هناك من لا يؤمن بالعودة للتجسد ولا يصدقها ، فلأنه لا يرغب فى ذلك ، ولا يميل إلى فكرة العودة إلى هذه الأرض . وعلى الرغم من ذلك فإن بضع لحظات من التفكير الجاد يمكن أن تبين أن هذا الاتجاه غير حكيم لأن العودة للتجسد إذا كانت قانوناً للطبيعة ، فإنها ستؤدى عملها سواء آمنا أو لم نؤمن ، صدقنا أم لم نصدق .

أما إذا لم تكن قانوناً للطبيعة فلا يمكن لأى قدر من الحديث أو الحوار أن يجعلها كذلك . ونحن نأخذ هذه المقولة من جانبها الإيجابى — لأنه ليس أسهل من النفى والسلبية — فنقرر أن العودة للتجسد هى القانون الذى يطبق عمليا على المخلوقات البشرية فقط ، فإننا كيما نفهمه يلزمنا أولا أن نعرف شيئاً عن طبيعة ذلك المخلوق البشرى ، وأى دور يقوم به كل من الجسم والروح فى تكوينه وتركيبه . .

إن عبارة « جسد ، ونفس ، وروح » كانت تستعمل فى الغالب لتشير إلى معنى الإنسان برمته (أى أنه المخلوق البشرى ، سواء كان رجلا أو امرأة) ، وأن النفس والروح قد اضطرب فى أمرهما فى أحوال كثيرة حتى لقد استعملا كمصطلحين مترادفين .

ولقد قيل منذ الأيام المبكرة للجمعية الثيوصوفية (١) إن للإنسان سبعة مبادىء أو وسائل يؤدى بها عمله عبر سبعة مستويات مختلفة من مستويات

---

(١) الثيوصوفية : معرفة الله من طريق الكشف الصوفى أو التأمل الفلسفى أو كليهما — والجمعية الثيوصوفية نشأت فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٧٥ لتكون أداة لنشر تلك المعرفة بواسطة طائفة الطلاب الذين يعنون بدراسة الحكمة الإلهية ، وهدفهم خدمة الإنسانية طبقا للقيم الروحية .

الوعى ، فى حين أنه هو نفسه « وحدة » أو « ذاتية » ، وحدة الوعى . وإذا نظرنا إلى هذه المستويات من زاوية الذاتية أو وحدة الوعى أولا ، فإن الباقى يمكن أن يقع عندئذ فى منظور مستقيم بسهولة أكثر .

إن وحدة الوعى التى وراءنا ، كما كانت ، هى وحدة وعينا ، التى يجب أن ينظر إليها على اعتبار أنها روح ، أو المبدأ السابع . ولكن الروح هنا على الأرض ضعيفة ، واهنة ، إنها صافية جداً ، لاشية فيها من المادة التى صنعت منها أرضنا ، وليس لديها أية وسيلة للإتصال المباشر . ولأننا ندرك أنه لكى نعرف أى شىء عن مستوى مختلف فعلينا أن نغلف (نكسو) أنفسنا بما يناسب ماديا هذا المستوى .

وكما أن لافائدة ولا جدوى من محاولة استكشاف أعماق المحيط أو أجواء الفضاء العليا بدون أن نحيط أنفسنا قبل كل شىء بالمعدات اللازمة والأجهزة الضروريه ، كذلك نحن بصفتنا وحدات وعى قد أحاط كل منا نفسه بمادة من كل مستوى نود أن نستكشفه . فالروح ، أو مبدؤنا السابع ، يغطيه ويقيه حب الحكمة ، مبدؤنا السادس ، وهو يظل ضعيفا واهنا عند مستويات أكثف من مستواه إلى أن يغدو لاثقاً للمبدأ الخامس ، أى العقل المجرد abstract mind الذى يستطيع أن يصير فعالا .. وعندئذ يكون أرفع مثال وأروع نموذج للمعرفة العقلية الموصولة بما نسميه المبدأ الرابع ، الذى يمكن وحدة الوعى من أن تعمل كنفس soul .

ولكن إذا كان للنفس أن تتعلم من العالم الذى نعيش فيه « بمستويات وعيها الثلاثة » ، إذن فلابد من أن يكون لها أيضاً مندوب عنها فى هذا العالم ، ليس واحداً ولكن كثيرين ، لأن هناك الكثير جداً مما يجب أن ندرسه فى حين أننا نتعلم ببطء . ومن ثم فإن النفس عندنا يناسبها استعمال مادة من مستويات عالمنا الثلاثة : العقلى ، والعاطفى ، والفيزيقى الأثيرى . مقدمة شخصية ثلاثية

الأثواب أى ذات ثلاثة غلافات ، تتلق من خلالها معلومات صحيحة عن عالمنا ، وتكون قادرة فى النهاية على أن تجعل من نفسها مندوبا حقيقياً على هذه الأرض.
وفى كثير من المرات توفد النفس شخصيات مختلفة ، لأن النفس خالدة لاتموت ، ما الشخصيات فقد لايدوم أى منها لأكثر من يوم واحد، والعودة للتجسد هى فى الواقع ولادة ثانية أو ميلاد جديد فى أجسام مختلفة لتجلى [1] النفس .

وكل شخصية ذات قوة خاصة بها فى الحيـــاة ، إنما هى ثالوث ، بمعنى أنها تتكون من : قدرة عقلية كى توجه ، وقوة عاطفية كى تحرك ؛ وجسم فيزيقى يمكن الشخصية من خلاله أن تكون ذات حيوية وذات فعالية فى العالم الفيزيقى. ويمكننا من خـلال لقدرة العقلية أن نصل إلى النفس من أسفل ، ومع ذلك ومن ناحية أخرى ، يجب أن يكون هنـــاك قدر معين من العاطفة وإلا فلن يكون هناك أى جهد .

ولـكن لا تستطيع أية شخصية بعينهـا أن تبين أى ميل أو أية نزعة فتكون فرصة تستفيد منها بوصل أو بربط نفسهـا مع النفس . إنهـا فى الواقع تستطيع أن تستخدم كل قدرتها العقلية كيا تشبع شهوتهـــا الحيوانية وترضى رغبتها الجنسية ، وفى هذه الحـالة لن يكون هنـاك محصول للنفس كى تحصده عند موت هذا الجسم الخاص(حتى فى أثناء عمره لن يكون ارتباط بين الإثنين)،وشيئا فشيئا ستوقف الشخصية نفسها عن مصدرها لانعدام أى شىء فيها يجانس للنفس .

ومن جهة أخرى ، إذا أضحت الشخصية فى حنين إلى طبيعتهـــا الحقيقية وفى اشتياق لها واهتمام بها، فإنها ستوجه طبيعتها الفيزيقية والعـاطفية وتدربها إلى أن تغدو الشخصية وحدة واحدة أو « كلا تاما موحداً » قادراً على تلقى الإلهـــام والتنوير من النفس ، والعمل من خلال الجسم الفيزيقى بطريقة متوازنة . وبهذه الطريقة سيأتى وقت تبدى الشخصية فيه استعدادها للنفس ورغبتها فى أن تكون

---

(١) التجلى : المظهر

بمثابة آلة أو أداة أو واسطة لكى تستعملهـا فى الحياة . وهنا تتحول الرغبة فى اللذة والسرور الدنيوى إلى شىء أسمى ، وتستمر الخبرة المكتسبة فى أداء عملها عن طريق النفس أكثر مما تؤديه عن طريق الشخصية التى تعيش للنفس وحسب.

ولقد علمنا أن بعض أفراد الأسرة البشرية ، خلال تجسدات متكررة ، لم يتوصلوا إلى جعل شخصياتهم آلات كاملة لتستعملها نفوسهم ، ولكنهم جعلوا نفوسهم أيضا متحدة ومنسجمة مع أرواحهم ، تسعى وتكد لإنجاز الإضافى الذى يتم به توحيد هذا كله مع المنبع الذى برزت منه .

وعندما نعرف جميعا أن هذه الحياة إنما هى لتعليمنا ، لانلبث غير بعيد حتى يفرض علينا التجسد بالقوة ، ومع ذلك يمكننا أن نختار لأنفسنا ذاك كما نساعد الآخرين للوصول إلى المرحلة التى يستطيعون هم أيضاً أن يكونوا فيها قادرين على تحرير أنفسهم من عمل هذا القانون .

واذا أردنا أن نستعرض بإيجاز عملية العودة للتجسد فعلينا أن نفترض أننا بوصفنا وحدات وعى موجودون فى العالم السماوى الذى يقع فى أحد مستويات العقل المجرد ، ولذلك فنحن يمكننا أن نقول إننا نؤدى عملنا كنفوس ، ولقد دبرنا لنتائجها المنطقية كل الأفعال التى رتبناها ونظمنا حركتها فى حياتنا الأرضية السابقة ، وحصلت على الحكمة . ولقد أخذنا جرعات طويلة من شراب أسمى مطامحنا.ومن داخل أنفسنا تبرز الرغبة فى تجربة الحياة على الأرض مرة أخرى.

وهذه الرغبة تسبب لنا اهتزازاً (ذبذبة) بطريقة خاصة ، لأننا علمنا أن لكل نفس حركتها الخاصة بها ،وهذه الحركة تتصرف كمغنطيس يجتذب إليه تلك النماذج من المادة العقلية والعاطفية والفيزيقية الأثيرية التى تهتز مع نفسها اهتزازا فيه تناسق وتناغم ـ شبيه الشىء منجذب اليه .

وتضم النفس تلك المادة بعضها إلى بعض بأنواعها الثلاثة التى يمكنها أن تضمد فيها نفسها،وتستطيع من خلالها أن تنطبع فيها وتعبرعن نفسها فى النواحى الثلاثة

التى نعيش فيها على الأرض . شىء واحد آخر نعتبره ضروريا ومطلوبا ، نجسم كثيف فيزيقى يعمل كنقطة بؤرية من أجل أغلفة المادة العقلية والعاطفية والفيزيقية الأثيرية . وبذلك تكون النفس موجهة نحو أحد الآباء وإحدى الأمهات، لتكون معها حلقة من نوع ما ، تبدأ معها عملية الحمل الفيزيقى ، والولادة ..

ومرة أخرى تكون النفس قد أعدت لها مندوبا أو نائبا عنهـا على الأرض يمكنها بمساعدته أن تظل حلقة مفتوحة (أو مقفولة) فى خلال رغباتها وأهوائها . وربما يكون قليلا جداً ما يمكن أن يتم عمـله إلى أن يصبح الجسم الفيزيقى المغلف فى مستوى من النضج معين . وعندئذ سيقدم التدريب المبـكر الذى تؤديه تلك الشخصية الجديدة والبيئة التى عاشت فيهـا إلى المجتمع رغبات وأهواء ومشوقات معينه ، سواء فى تناغمها مع النفس ذاتها أو فيما يعارضها . ذلك لأن الأجسام العقلية والعاطفيه والفيزيقية تهتز بتآلف وتناسق أو بتنافر ونشاز، مع العالم الذى تجد فيه نفسها ، ومع أولئك الذين كانوا أحياء لها . وفى إمكانها أن تفعـل ذلك بالطريقة التى يفقدون أو يقوون بها صلتهم بوساطة اهـــتزازات طبيعتهم أو نفسهم الحقيقيه .

ويبدو أن الغرض من عملية العودة للتجسد هو تمـــكين النفس من أن تبنى تدريجيا الشخصية التى سترتبط بها ، أو بمعنى آخر النائب عنها فى الحياة ، بالحس الذى سوف تكون متفتحة به لإلهام يجىء منهـــا وتعمل فى الدنيا كما لو كانت سفيرها الحقيقى . والخلق هو الشىء الذى يظـل خالداً فى الشخصية ، الشىء الذى لا يمكـن لأى فرد أن يمنحه أو يسلبه ، والذى يجب أن يبنى بمثابرة ومشقة لتكوين شخصية كل فرد منا . إنه ذلك الشىء الذى يبدولنا أنه من الممكن أن نحصل عليه عن طريق اتصالاتنا المباشرة مع الآخرين وتـلامسنا ببعضنا . ويتم هذا بمجيئنا فى أجسام من أجسام أخرى مختلفة، مكونين علاقات مع آخرين من أى نموذج ممكن ، عائشين فى ظروف وحالات جغرافية مختلفة ، تساعدنا جميعـا على كشف بعض الإمكانيات الجديدة ونشرها ، وتكوين سطيح جـــديد لخلقنا

شيئاً فنياً .

وإذا أمكننا أن نتقبل بصدق هذا المذهب الذى يقول إن هذه لم تكن المرة الأولى التى نوجد فيها فى هذه الحياة الحاضرة ، وأنها لن تكون المرة الأخيرة ، وأننا موجودون فى هذه الحياة من أجل غرض لا يستطيع شخص آخر أن يحققه لنا ، أو يمنعنا من الحصول عليه ، عندئذ ستكون الحياة بكل تأكيد أكثر متعة وذات معنى . وسوف نأخذ على عاتقنا واجب تغيير أنفسنا ، وبناء أخلاقنا كيما يمكن أن يكون هذا التجسد الخاص مثمراً فى قيم النفس الدائمة أكثر من الملذات الشخصية العابرة سريعة الزوال . وسوف نجد أننا بدلا من أن نكون شخصيات تعسة بائسة هزيلة ، كما يمكن أن نتوقع ، سنزداد رضا وسعادة حقيقية ، ونغدو منبعاً ثراً لهذه السعادة لكل من سيكون على صلة بنا .

مفتاح الحكمة والسعادة

يتساءل معظم الناس فى بعض الأحيان وهم فى دهشة من أمر أنفسهم عما إذا كانوا قد عاشوا من قبل .. وهم فى شوق وفضول لمعرفة حقيقة هذا الأمر .

هناك مع الأسف قليل من الذين يعرفون . وكثير من الذين لا يعرفون .

أما الذين يعرفون فهم الذين فتح الله عليهم وأنار قلوبهم وبصائرهم بنور الإيمان واليقين ، وأفاض عليهم من علمه ، وأولئك هم المحظوظون الذين تلقوا تجربة إيجابية ، وأولئك هم الذين يسعدهم الاستماع دواماً إلى صوت الحق من ربهم .

أما الذين لا يعرفون فهم الأشخاص الذين يسألون : « كيف ؟ ولماذا ؟ .. وماذا يمكنني أن أفعل لكى أفهم ولكى أساعد غيرى على أن يفهم ؟ » .

وفى هذا الصدد نقول إنه لا يكفى أن يكون لدينا إيمان أو اعتقاد بما نقتبسه أو نستمده من المعرفة التى اعتدنا أن ننقب عنها فى بطون الكتب . فهذه المعرفة لا تجدى فتيلا إلا إذا كان الفرد قد حصل عليها عن تجربة إيجابية تحقق له الغرض المطلوب .

والذين درسوا اليوجا ومارسوها يعرفون ـ وفقاً لهذه الفلسفة ـ أن المفتاح لكل الحكمة فى التاريخ الغابر هو ذلك التطور الشخصى الذى يدعى « العودة للتجسد » .

والمتشككون الذين يرفضون قبول إمكانية العودة للتجسد يعلنون بقوة وبطريقة حتمية : « ولكن إذا لم نستطع أن نتذكر شيئاً عن حيواتنا الماضية ، ألا يكون ذلك دليلا على أن ليس هناك عودة للتجسد ؟ » .

ورداً على هذا السؤال ـ علاوة على ما بيناه فى فصل سابق ـ نقول إن التذكر موهبة ومقدرة عقلية طبيعية أساسية من شأنها أن تخفى أو تمحو، بقدر ما تستطيع

من سرعة وخفة حركة ، جميع الذكريات المريرة والمؤلمة والبغيضة . وكما أن الحياة فى خلودها وسرمديتها ينبغى لها أن تكون سلسلة متوالية من الوقائع والأحداث والخطوات ، يمكننا أن نفترض بلا خوف ، أن الحياة الأرضية السابقة ، تكون فى معظم الحالات ، أقل شأناً وأدنى قيمة من الحياة الحالية . والاستثناء إنما يكون حيث تكون الحياة الحالية أقل قيمة ، حسب العقوبة الكارمية للأخطاء التى اقترفت فى كوكب أعلى وفى زمن سابق .

ومن الواضح ، أننا إذا تذكرنا بوضوح أحداث الحيوات السابقة فإن ما قد نستفيده من آلام ومصاعب ومتاعب يمكن أن يكون أكبر من أن نتحملها. وأكثر من ذلك فإن ذواتنا السابقة إذا عرضت مع إدراكنا الواعى الحالى ، فإنها بطرق كثيرة مختلفة يمكن أن تبدو أمام الشخصية الحالية بهيئة متنافرة وبشكل وضيع . ولا يمكن أن يتم الوصول إلى غرض طيب عن طريق تلك الذاكرة .

ومن ناحية أخرى ، فقد تبين من استدلالات مماثلة ، أن عناصر معينة فى « ذات الشخصية » تظل باقية ومندمجة بدرجة أكبر أو أقل فى الشخصية الحية الحالية التى وهبها لنا الله .

وكذلك فإن الدروس الأخلاقية الرائعة والنادرة التى تعلمناها فى الحيوات السابقة ، تترك انطباعاتها وبصماتها فى أعماق العقل الباطن ، ولذلك فإنه ربما تستدعى ثانية عن طريق الكمال والنمو الروحى .

وهذا الاستدعاء مع ذلك ، خطير للغاية . . إذ علينا أن نفكر فى حالات الموت غير الطبيعية ، الناشئة عن عمل من أعمال العنف ، التى احتملت من قبل ، وكذا الآلام المبرحة الأخرى .

ولتفادى الاحتفاظ بمثل تلك التذكرات الرجعية (التى تعود إلى صفات الأسلاف التى ابتعدت عنها الأنسال السابقة) فإن اليوجى يدرب نفسه على التزام النظام والطاعة ، وعلى ضبط النفس والسيطرة عليها ، وعلى التحكم فى نفسه طوال حياته ، كيما يساعده كل هذا حين يحين حينه .

وإذا حدث الموت بدون ألم مبرح وبدون « خطرفة » ، وإذا كان العقل قبل ذلك منفصولا أى محرراً غير متحيز أو متفرضاً فإن الحكمة الملقنة فى الحياة الحاضرة يمكن أن ترتحل حتما وتسلك سبيلها إلى اللاشعور ومن ثم تعود مرة أخرى إلى سنوات الولادة الثانية فيما بعد .

أما المواهب العظيمة والمقدرات الهائلة والقوى المادية فى الحياة الجديدة فلا بد أن تؤتى ثمارها ، ولو أن العقل الواعى الجديد لن يتذكر بأى حال كيف اكتسب هذه الحكمة .

وبعبارة أخرى ، من الأفضل لنا أن نحصل ، عن طريق التوجيه الروحى والنفسى فى الحياة الحالية ، على إلماعة أو فكرة ولو طفيفة عما تلقيناه بمشقة من دروس روحية عظيمة فى تلك التجسدات السابقة .

وهذا الارتقاء لا يمكن أبداً أن يغتصب أو يؤخذ قسراً . ولكنه سوف يأتى أولا يأتى على نحو كامل حسب تطور الفرد . . و المخلوق الوحيد الذى يستطيع أن يحدد بالضبط وبوضوح مقدار ذلك التطور فى أية لحظة محددة هو البرهمى (١) .

والمريد (الطالب) الجاد يستطيع بعد أن يدرس هذه المسألة ويقدر الأخطار التى سيتعرض لها من جرائها . يستطيع أن يقرر أنه يميل إلى هذا التذكر ويوافق عليه . كيما يعيش حياة جديدة بعض الشىء عن الحياة السابقة .

وإذا كان ذلك كذلك ، فمن المفيد أن نبدأ فى لحظات التأمل الباطنى ممارسة تمرينات التنفس اليوجية التى سنذكرها فيما بعد ، وتتأمل مليا بتدبر وإنعام نظر فى شخصية الفرد الحاضرة : ماذا أكون الآن ؟ هل أنا حساس أو رقيق الشعور ، أو منطقى ، أو عاطفى ؟ . . ومن الناحية الفيزيائية ؛ هل أنا عملى ، ناشط ، أم إنى كسول ؟ .

---

(١) أحد أفراد طبقة الكهنوت العليا عند الهندوس .

أى نوع من الأشخاص أحاول أن أصاحبه وأسعى إلى صداقته ؟ .. أى فرع من فروع الموسيقى يجتذبنى ، وأى الألوان أميل إليه ويريح أعصابى، وأيها يستفزنى ويثير شجونى ؟ ..

وبالإجابة على هذه التساؤلات يستطيع الفرد أى يحصل على المفتاح لحل لغز الذات الباطنية الحقيقية . وبعد ذلك ينبغى للفرد أن يدع العقل يطوف فى الفضاء ويفكر مليا – أى البلاد وأى البقاع تجتذبنى وتثير اهتمامى ؟ (سواء كنت قد زرتها أم لم أزرها) . هل هناك أية جنسية معينة تستهوينى وتفتننى ، أو أنفر منها وأكرهها ؟ أية حقبة وأى عصر من عصور التاريخ يثير إعجابى واهتمامى ؟ .

من كل تلك التأملات سوف تنبثق نتائج معينة تقريبية توحى بالمجتمعات والمواقع الهامة الغريبة التى وقعت فيها تجسدات ماضية للفرد .

أما العامل الذى يلى ذلك والذى يستحق الاهتمام فإنه يتمثـــل فى الدروس العملية فى الوجود مما استطعنا استيعابها وفهمها .

وأول خطوة هى أن تتأمل السمات الخلقية الحاليـة للفرد وصفاته الغالبة وما يوحى به القدر الحالى يمكن أن يكون درساً للفرد فى مجرى « الحياة أو الأحداث » .

فكر ، إذن ، فيما يجب أن تكون عليه الحالة الملائمة والمرجوة للفرد « خطوة واحدة نحو الماضى » فى الزمان والمكان .

وأفضل وقت لممارسة هذا « التذكر للماضى » هو المساء ، ويحسن أن يكون فى ساعة يكون العقل فيها حراً وخلواً من الأفكار وغير مشغول بعمل ما ، لا يغلب عليه التعب أو النعاس . فى غرفة مظلمة إلا من ضوء خافت . ويا حبذا لو كان بها نافذة أو شرفة يطل منها على منظر السماء فى سكون الليل وصمته . وهذه الحالات الجيدة تساعد العقل على أن يلوذ بالفرار إلى تأمل باطنى عميق .

وبالنسبة لأولئك الذين تجتذبهم تجارب مثل الانتقال الروحى أو الارتحال

الكوكبي ، والذين يحرزون ارتقاء روحيا شاملا ، يعتمد على طبيعة الفرد واتباع الطريقة اليوجية ، فإن كثيراً من المعارف العميقة والعلوم الخفية يمكن أن تدخل العقل عن طريق مثل هذه التدريبات .

على أنه يجب القول إن كل خبرة أو تجربة تتوقف فى الدرجة الأولى على ما يستطيع عقل الفرد المستقل أن يستوعبه ويعرف قيمته ويقدره حق قدره ، فيتعقبه ويحاول اكتسابه أوتوماتيكيا ، إلى أن تبوح الذات الكلية بأسرارها التى لا تعرف إلا عن طريق الوحى وحـــده بقدر ما يستحقه الفرد من ثواب روحى .

الولادة الجديدة تعالج مشاكلنا :

إن العودة للتجسد من أعظم السبل التى يمكن أن تفيد منها البشرية إلى أبعد حدود الإفادة . لأنها الإلهام الذى يفسر كل مشاكل الوجود البشرى ، ويحل المشكلات الإنسانية الخاصة بتوزيع العدل بين البشر ، والتفاوت البين فى الفهم والإدراك ، وعـــدم المساواة فى الفرص والحظوظ ، والاختلاف الواضح فى القدرات والطاقات ، وفى الخير والشر ، وفى الأمراض المستعصية ، وفى ظواهر النبوغ والذكاء المفرط ، وغيرها . . ذلك لأن العمل الدائب الذى لا ينفك يقوم بتأديته على خير وجه ، قانون السبب والنتيجة ، ذلك القانون الثابت الذى لا يحيد قيد أنملة عن خطه المرسوم ، يتخذ سبيلا لا عوج فيه بالتضامن مع القانون الخاص بالولادة الثانية .

ولقد قرر « هوايت إيجل » وغيره من الأرواح العالية أن « العودة للتجسد ، إنما هى قانون الحياة الأزلى ، لا يعفى ولا يستثنى منه أحد » .

وبالنسبة لأولئك الذين يضجون ويصرخون مطالبين بالبرهان على العودة للتجسد ، يجيبهم « هوايت إيجل » مرة أخرى بقوله : « لأولئك الذين يطلبون برهانا نستطيع أن نكرر ما سبق أن قلناه لرجل أراد منا أن نقنعه بأن

الإنسان يحيا حياة أخروية أى يظل حياً بعد الموت الفيزيقى. فقد طلبنا من السائل أن يعطينا الدليل المقنع والبرهان الحاسم على عدم وجود حياة بعد الموت » .

وعندما يولد الإنسان على الأرض يموت فى عالم الروح . ولكنه يكون تحت توجيه مخلوقات سامية وإرشادها لتحويل وعيه إلى داخله ، ولدفعه إلى الأمام لتوسيع إدراكه نحو ميراثه السماوى. وحينئذ « تتفتح عيناه » على توحده مع الروح الكلية .

والعودة للتجسد والكارما يهيئان معاً فلسفة ملهمة ومنطقية للحياة ، يمكن أن تضمنها حقائق أربع هى (١) :

١ — إن الرجولة الكاملة هى الهدف الأكبر للنفس الروحية لكل إنسان .

٢ — إن العودة للتجسد كوسيلة تطورية ، تهيىء الوقت والفرصة اللازمين لإكمال النفس .

٣ — إن قانون الفعل ، ورد الفعل ، الذى يحور أحيانا ، يوفر العدالة لجميع الناس .

٤ — أن بلوغ الكمال يصبح أكيداً بواسطة الإحساس الداخلى لقوة مقدسة لا نهائية ، تعمل بغير انقطاع بداخل النفس الروحية .

مفتاح الحكمة والسعادة :

وفى ختام هذا الفصل أقدم للقارىء العزيز هذا المفتاح ابتغاء وجه الله . فما هذا المفتاح إلا الترقية الروحية . .

ومفتاح الترقية الروحية هو التأنى والرقة وعدم التسرع فى النتائج . أما العادات المتأصلة فينا والتى تقف حجر عثرة فى سبيل الرقى الروحى فإننا بالمداومة على التمارين سنشمئز منها من تلقاء أنفسنا . .

---

(١) عن كتاب « العودة إلى الحياة » ترجمة الأستاذ زكى عوض عن كتاب « Reincarnation » لجيوفرى هودسون ص ٧٠ .

أما التمرينات العملية فى الترقية الروحية التى أقترحها على القارىء والتى كان لها أثر كبير عند الكثيرين ممن أعرفهم ، فهى استعمال طريقة التنفس المنتظم العميق. وأفضل وقت لهذه التمرينات هو فى الصباح الباكر عند الاستيقاظ من النوم ، وفى المساء قبل أن يأوى الانسان إلى فراشه . ويحسن أن يكون ذلك فى غرفة متجددة الهواء ، وأمام نافذة مفتوحة .

التمرين الأول :

تناول كمية من الماء البارد بإدخالها فى أنفك ، حال قيامك من نومك صباحاً ، فإن هذا يفيد الجسم فائدة عظيمة ويمنع ألم الرأس ويبقى المخ طوال النهار رطبا منتعشاً . وهو فوق ذلك يحفظ الجسم من هجمات البرد . أما كيفية استعمال هذا فسهلة جداً . إذ أنك تضع أنفك فى الماء ثم تدفعه إلى الحلق . وإن أمكن تخرجه من الفم .

التمرين الثانى :

ضع الإبهام على الخيشوم الإيمن واستنشق ما استطعت من الهـــواء النقى بالأيسر ثم سارع فى إخراج هذا الهواء من الأيمن بعد أن يملأ رئتيك . فأنت إذا عالجت ذلك ثلاثة مرات أو خمس مرات فى اليوم — فى أوقات مختلفة ، فى الصباح وفى الظهر وفى المساء وفى منتصف الليل وعند مطلع الفجر ، مدة خمسة عشر يوما أو شهر ، فإن أعصابك تطهر وتقوى فتصير إنساناً آخر .

التمرين الثالث :

استجمع فكرك ما استطعت موليا نظرك صوب أرنبة أنفك وابق كذلك بضع دقائق ثم جرب هذا مرة بعد مرة مطيلا زمن استحضار ذهنك واستجماع فكرك ، كل مرة عن سابقتها ، فإنك بعد زمن قليل تشم رائحة زكية .

فائدة هذا التمرين ، تطهير المشاعر دون أن يكون هناك اتصال بأشياء طبيعية .

التمرين الرابع :

إجلس على كرسى جلسة مريحة معتدلة رافعاً قامتك . ثم ابدأ بتلاوة بعض الآيات القرآنية وبعض الأدعية ، وبعد ذلك تنفس تنفساً عميقاً وبطيئاً بطريقة الشهيق والزفير ، فيكون الشهيق فى نفس كامل من فتحة الأنف اليسرى ببطء ، ثم تلفظه من الأنف اليمنى . ثم تعكس هذه العملية بأن يكون الشهيق من فتحة الأنف اليمنى والزفير من الفتحة اليسرى .وهكذا تكرر ذلك بالتنـــاوب سبع مرات شهيقا وزفيراً من كل من الفتحتين أو بمعنى آخر ١٤ مرة من الاثنتين.

ولهذا التمرين فائدة عظمى لأنه يقوى الدورة العصبية وينظمها ويبعث الهدوء والراحة للأعصاب .

ويهمنا هنا أن يعرف القارىء أن هذه كلها وسائل لاغايات . ويجب عليه أن يعالج هذه التمارين فى جو هادىء على شكل منظم ، فإذا ما أحس من نفسه كللا أو مللا أوضعفا ، وقف عن العمل ريثما يعود إليه نشاطه وهدوؤه ، وعليه قبل البدء أن يتلو بعض آيات قرآنية ويقرأ الفاتحـــة على أرواح جميع الأنبياء والمرسلين . والله نسأل أن يجنبنا الخطأ ويلهمنا الصواب ويهدينا إلى سواء السبيل.

٥ ٥ ٥

فى جميع مراحل الحياة، لا بد أن يكون هناك بداية .وهذا هو الذى يحدث فى كل وقت على مر السنين والأعوام فى خلال الحياة على أى مستوى من المستويات . وهذه البداية إنما هى جزء من طريق الإحاطة بالحياة بمـــا فيها من نشاط وهمـــة .

ولنا أن نتصور القدر الهائل الذى لاحد له من الأفكار التى يجب على المريد (الطالب) أن يخلقها ويبتدعها، كيما يكون على مستوى عملى سام كما هو مطلوب. وذلك باستعمال العدد والآلات التى زوده الله بها ووهبه إياهـا . وكل فرد فى الدنيا عنده عدته . وإذا تساءل سائل : «ماذا عندى من أدوات يمكن استغلالها

واستعمالها فى خلال حياتى ؟ » فالجواب على السؤال موجود . » .

ويبدو بالنسبة لنا أننا يمكن أن نعيش يوما بيوم فحسب و « ندع الماضى يمر » دون أن نفكر فيه . ولكن ينبغى لنا أن ندرك تماما أن هناك قوة واحدة عالية أساسية تهب الحياة لجميع من على الأرض من بشر وحيوان وطير ونبات ؛ ولما فى البحار من أسماك وحيتان ؛ ولما تحت الأرض من جن وشياطين ومردة ؛ ولمن فى السموات من أرواح وملائكة . . ونفس الروح تتخلل تلك الكائنات وتنفذ فيها وتغذيها وتمدها بأسباب الحياة . فأين كانت تقيم هذه الروح العالمية أولا ؟ أين كان مقامها الأول ؟ . . وهل هى تعم المخلوقات كافة ؟ . . . أدائمة الوجود هى ، وفى كل مكان ؟ . . وعندما تترك الروح الجسد الفيزيقى أو تنسلخ عنه ، أو تخرج منه عنوة ، يحدث الموت . وهذه هى الحالة الوحيدة التى تحل فيها النفس الكلية .

وعندما يولد الإنسان على الأرض يموت فى عالم الروح . ولكنه يكون تحت توجيه مخلوقات سامية وإرشادها لتحويل وعيه إلى داخله ، ولدفعه إلى الأمام لتوسيع إدراكه نحو ميراثه السماوى . وحينئذ « تتفتح عيناه » على توحده مع الروح الكلية .

إذن فالعمل المنوط بكل إنسان فى أثناء وجوده على الأرض هو ان يكافح ويجاهد من أجل الكمال : جسديا ، وعقليا ، وروحيا . . وإنا لنعتقد أن هذا إنما هو الغرض الأسمى من حياة الإنسان على الأرض إلى أن يغادرها عن طريق موت الجسد الفيزيقى فتعاد ولادته فى عالم الروح .

ولا أظن أن هناك أى فرد يستطيع أن يتقدم « بتعليمات » دقيقة ومحددة عن الطرق أو الوسائل التى تكشف عن العدد الروحية لنوردها على سبيل المثال . ولكنى أقترح طريقة واحدة كان لها أثر كبير عند الكثيرين ممن أعرفهم ، هى ممارسة التمرينات العملية التى سبق ذكرها .

وإذا أنت أردت أن تكون خادماً مخلصـــاً لخير البشرية ، فعليك أن تنسى نفســك وتعمل على خـدمة الآخرين ، وعندئذ ستجد نفسك فى رعاية تامة من القانون الطبيعى .

وها هى بعض الأمثلة القليلة التى يمكن أن تمارسها وتعمل بها :

ه ليكن تفكيرك دائما إيجابيا .

ه حاول بكل الوســائل الممكنة ـــ إن لم يكن بيدك ، فبلســانك ، وإن لم تستطع فبقلبك ـــ أن تقف ضد الرياضات العنيفة ، الدموية كمصــارعة الثيران والملاكمة والمصارعة الحرة وغيرها .

ه كن مركزاً حساساً مستجيبا للمؤثرات الروحية ، كيما تصبح صلة وصل بين العالم الأرضى وعالم الروح . وكن دائما على استعداد لتوصيل هذه الافكار إلى الآخرين ممن يكونون على استعداد لتقبل التعاليم الروحية .

ه كن مثلا طيبــا يحتذى به بإخلاصك وسلوكك مع نفسك ومع غيرك . وكن سفيراً فاضلا وبارعاً للروحية .

ه إلتحق بإحدى الدوائر الروحية لترى إذا كانت لديك ملكات وساطية يمكن تنميتها . وياحبذا لو انتسبت أيضاً إلى إحدى الطرق الصوفية .

ه حاول أن تعالج بالإيحاء ، فربمـا تكون وسيطـاً لقوة إلهية ، ذات طبيعة أسمى من طبيعة البشر ، تساعد على شفاء المرضى .

ه عندما تنتقل إلى العالم الآخر ستقرر درجة رتبتك بحسب نموك الروحى ، وتحدد وفقـا لما قمت به من جهد ، ولما أديت من الخير فى دنيــاك . وهذا هو الفرق الوحيد فى المنزلة بين شخص وآخر فى العالم الآخر .

إن وجودك الأرضى يقرر أيضا نوع البيئة التى ستعيش فيها . . جنــات النعيم ، أو العذاب الأليم . . إننـا هنا ، فى هـذه الحياة الدنيـا ، نقرر مصيرنا

الذى سنكون عليه فى العالم الآخر . . وذلك بأخلاقنا التى نميناها على الأرض .

« من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد »

« ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »

هذا ما يمكن أن أقدمه لقارئى الكريم من إرشادات روحية . وأرجو أن يكون ما أوجزته هنا من قول ، كافيا لمن ألقى السمع وهو شهيد ، ليظل الناس مشغولين بأعمالهم مدى الحياة ، إذا كانوا مخلصين حقا فى أداء الخير . .

ثبت بأسماء بعض المراجع

الخاصة بالموضوع

يحسن بنا فى ختام هذا البحث أن نذكر بعض المراجع التى يمكن أن يجد فيها القارىء ضالته إذا رغب فى الحصـــول على مزيد من المعلومات فى موضوع « العودة للتجسد » :

Dr. Karl Muller : Reincarnation, based on Facts.

Shaw Desmond : Reincarnation, for Everyman

Morey Bernstein : The Search for Bridey Murphy.

Noel Langley : Edger Cayce on Reincarnation

E. D. Walker : Reincarnation, A Study of Forgotten Truth.

Gina Cerminara : 1 - Many Mansions.
2 - The World Within.

F. Bligh Bond : 1 - Gate of Remembrance
2 - The Company of Avalon.

Annie Besant : 1 - The Reincarnation Manual.
2 - Initiation, The Perfecting of Man.
3 - The Lives of Alcyone

Leslei D. Weatherhead : The Case for Reincarnation.

William Walker Atkinson : Reincarnation and The Law of Karma

Dr. Ian Stevenson : 1 - The Evidence for Survival from Claimed Memories of Former Incarnation
2 - Twenty Cases Suggestive of Reincarnation

H. P. Blavatsky : Isis Unveiled

L. Stanley Jast : What It All Means

A. P. Sinnett : Karma.

Geoffrey Hodson : 1 - The Miracle of Birth
2 - Reincarnation, Fact or Fallacy ?

W. H. Evans : Reincarnation : Fact or Fallacy ?

Dr. Louis Cristoforo Postiglioro : Fundamental Scientific Philosophy about Survival and Reincarnation.

Robert James Lees : An Astral Bridgeroom and Reincarnation Study

Joseph Head and S. L. Cranston : Reincarnation : An East - West Anthology.

وراجع ما جاء فى الجزء الثانى من كتاب « مطول الإنسان روح لا جسد » للدكتور رءوف عبيد فى الصفحات ٢٥٧ / ٢٧٧

وراجع بحثاً للأستاذ ج. آرثر هيل G. Arthur Hill فى مضابط « جمعية البحث الروحى » بلندن (المجلد الثامن والثلاثين) عنوانه :

Some Reincarnationist Automatic Scripts

وقد أملت روح عالم النفس المعروف فردريك مايرز بيانا من هناك عن صحة العودة للتجسد فى مؤلف للوسيطة جيرالدين كامينز عن « الطريق إلى الخلود » The Road to Immortality

ويمكن الرجوع أيضاً إلى ما جاء بدائرة المعارف البريطانية Encyclopedia Britanica فى مادة Metempsychosis .

رجاء :

يسعدنى أن أتلقى من القراء الكرام ما يعن لهم من ملاحظات تتصل بحياة سابقة على غرار ما جاء من تفصيلات فى هذا الكتاب ، أو اقتراحات ، أو حالات يكونون قد لمسوها فى محيطهم الأسرى أو الاجتماعى ويرون أنها تدخل فى نطاق هذه البحوث ، لتكون موضع التنويه والاهتمام فى الطبعات التالية .. وشكراً .

عبد العزيز جادو
٧ شارع الجمال - كليوباترة
رمل الاسكندرية

مراجع البحث

مراجع عربيه :

١ ــ القرآن الكريم ، كتب الحديث والسنة .

٢ ــ الكتاب المقدس .

٣ ــ دائرة المعارف الإسلامية .

٤ ــ مطول الإنسان روح لا جسد : الدكتور رءوف عبيد (الطبعة الثالثة)

٥ ــ التسيير والتخيير : الدكتور رءوف عبيد

٦ ــ الفلسفة اليونانية : الدكتور يوسف كرم

٧ ــ تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط : الدكتور يوسف كرم

٨ ــ أفلاطون : الدكتور عبد الرحمن بدوى

٩ ــ نيتشه : » » » »

١٠ ــ نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام : الدكتور على سامى النشار

١١ ــ الأصول الأفلاطونية ـ فيدون : ترجمة الدكتور نجيب بلدى ودكتور على سامى النشار

١٢ ــ ديكارت : الدكتور نجيب بلدى

١٣ ــ مروج الذهب : المسعودي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

١٤ ــ حياة الحيوان : الدميرى

١٥ ــ الخطط : المقريزى

١٦ ــ الفرق بين الفرق : البغدادى

١٧ ــ التبصير فى الدين : الاسفرايينى .

١٨ ــ الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدى

١٩ ــ سيرة النبي لأبى محمد عبد الملك ابن هشام

٢٠ ــ فصوص الحكم لابن عربى تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى

٢١ ـــ تفسير العارف بالله محي الدين بن عربي
٢٢ ـــ تهافت التهافت : لإبن رشد
٢٣ ـــ أبو نصر الفارابي «كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين» : د. ألبير نصرى نادر
٢٤ ـــ تحقيق ما للهند : البيرونى
٢٥ ـــ تاريخ الحضارة المصرية : وزارة الثقافة بالقاهرة
٢٦ ـــ أهداف الفلسفة الإسلامية : الدكتور عبد الدايم أبو العطا
٢٧ ـــ الفلسفة العربية والأخلاق : الأستاذ سلطان محمد
٢٨ ـــ أسرار وعجب : الدكتور عبد الرزاق نوفل
٢٩ ـــ أيها الإنسان أنت معجزة : الأستاذ أنيس منصور
٣٠ ـــ أصالة الثقافات : من مطبوعات اليونسكو ترجمة الأستاذ حافظ الجمالى ومراجعة الدكتور يوسف مراد
٣١ ـــ فلسفة اليوجا : يوجى راما شاراكا ترجمة الأستاذ عريان يوسف سعد
٣٢ ـــ دعوة المعلم العظيم : القاضى دارياى لال : ترجمة الأستاذ زكى عوض
٣٣ ـــ العودة إلى الحياة : ترجمة الأستاذ زكى عوض
٣٤ ـــ تناسخ الأرواح : الأستاذ مصطفى الكيك
٣٥ ـــ ولــيم جيمس : الدكتور محمد فتحى الشنيطى
٣٦ ـــ برجسون : الدكتور زكريا ابراهيم
٣٧ ـــ المجمل مما أرى } الأستاذ جميل صدقى الزهاوى
٣٨ ـــ اللبـــاب } الأستاذ جميل صدقى الزهاوى
٣٩ ـــ ديوان الزهاوى } الأستاذ جميل صدقى الزهاوى
٤٠ ـــ الروح والخلود بين العلم والفلسفة : عبد العزيز جادو

دوريات : جريدة الأهرام — مجلة الأهداف
جريدة الأخبار — تراث الإنسانية
مجلة صوت الشرق — مجلة الحوادث البيروتية

مراجع انجليزيه :

— Initiation, The Perfecting of Man : Annie Besant

— The Selected Writings of Mahatma Ghandi

— Pre - existence and Reincarnation : Lutoslauski

— Death and After : Annie Besant.

— The Mystery of Death : Geoffrey Hodson.

— Reincarnation : Fact or Fallacy : Geoffrey Hodson.

— The Mind and its Place in Nature : Dr Chales Broad.

— Twenty Cases Suggestive of Reincarnation · Dr. Ian Stevenson.

— Encyclopedia Britanica.

— Psychic News.

— Prediction Mag.

فهرست الموضوعات

كتب أخرى للمؤلف

مطبعة الوادى

شارع ابن زنكى أمام ٢٢ بالاسكندرية

هـذا الكتاب

يبحث هذا الكتاب – الذى يعد الأول من نوعه باللغة العربية – فى موضوع دوام الحياة الإنسانية عبر تجاربها الجسدية الكثيرة واستمرار دورتها الأبدية فى سبيل الكمال وتحقيق المشيئة الإلهية فى العدل الأسمى ..

ويقدم هذا الكتاب من واقع دراساته الدينية والفلسفية والعلمية براهين وطيدة على خضوع حياة الإنسان الروحية لنواميس طبيعية لا تقل فى اطرادها وفى صرامتها عن نواميس المادة والطاقة ..

هذا إلى ما يحويه الكتاب من نفائس الحكمة الشرقية القديمة ، وكشوف الفلسفات والعلوم الحديثة فى المجالات الروحية المتعددة وما يعرضه بأسلوب شائق من وقائع وتحقيقات مثيرة فى هذا الصدد تمتع العقول وتخلب الألباب ..

ومن الفصول التى يحتويها الكتاب بين دفتيه :

— عقيدة العودة للتجسد ؛ متى وكيف بدأت ؟
— هل هناك تعارض بين « الروحية » و « العودة للتجسد » ؟
— النبوغ المبكر عند الأطفال .
— قانون الكارما .
— أين كنا قبل أن نكون ؟
— تذكر الحيوات السابقة .
— مفتاح للحكمة والسعادة .. الخ ..